الصراع على السلطة في سوريا

الطبعة الأولى
يناير(كانون الثاني) 1995
الطبعة الثانية المزيدة والمنقحة
يونيو (حزيران) 1995
الطبعة الإلكترونية الأولى المعتمدة باللغة العربية
ديسمبر (كانون الأول) 2006

الصراع على السلطة في سوريا

الطائفية والإقليمية والعشائرية في السياسة

1961– 1995

الدكتور نيقولاوس فان دام

مكتبة مدبولي

القاهرة

رقم الايداع 1949 لسنة 1995

ISBN 977-208-141-5

إهداء

إلى ذكرى أمي وأبي

إلى مارينكا

إلى نيكولاس، يان، ايما واسكندر

محتويات الكتاب

استهلال

إن مما لا يمكن إنكاره أن الولاءات الطائفية والإقليمية والعشائرية[1] قد لعبت دوراً في تاريخ سوريا السياسي والإجتماعي والإقتصادي في القرن العشرين. ولكن الآراء تختلف كثيراً حول مدى أهمية هذا الدور، ويميل العديد من الكتابّ والمؤلفين الغربيين وغير السوريين إلى تعليق أهمية كبيرة على هذا الدور، معتقدين أن هذه العوامل مازالت ذات أهمية حتى بعد الإستقلال.

ومن ناحية أخرى، فإن العديد من الكُتاب العرب القوميين الإشتراكيين والسياسيين السوريين يرفضون تماماً وجهة النظر هذه ويعارضونها علانية، وخاصة إذا كان الأمر يتعلق بنظام يحظى بدعمهم. إلا أن نفس أولئك الكتاب والسياسيين يعلقون أهمية كبيرة على الطائفية والإقليمية والعشائرية عندما تتعلق القضية المطروحة بنشاطات أنظمة معادية أو مخلوعة أو بمعارضين سياسيين داخل نظام حكمهم.

إن جميع هذه العوامل يمكن بطبيعة الحال أن يُبالغ فيها أو يستهان بها، وفقاً للموقف المُتخذ، فالحقيقة تكمن هناك في مكان ما ولا يمكن أن تنكشف إلا بالفحص الدقيق للحقائق المادية على أوسع نطاق ممكن.

إن هدفنا هو التحقق من مدى الدور الذي تلعبه الولاءات الإنصرافية والإلتزامات، مثل الطائفية والإقليمية والعشائرية، في الصراع على السلطة السياسية في سوريا والأسلوب الذي اتبعته، وسيُركَز الإهتمام بصورة رئيسية على التطورات داخل نخبة السلطة العسكرية والسلطة البيروقراطية المدنية في الفترة منذ انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة في سبتمبر (أيلول) عام 1961، وبهذا سنحاول الإجابة على السؤال الذي يدور حول مدى أهمية المعايير الطائفية والإقليمية والعشائرية في تكوين مراكز القوى داخل القوات المسلحة السورية وداخل تنظيم حزب البعث الذي تقلد زمام السلطة في عام 1963. وقبل

---

[1] جرى تعريف الطائفية والاقليمية والعشائرية في هذه الدراسة على النحو التالي:

الطائفية: التصرف أو التسبب في القيام بعمل بدافع الانتماء الى مجموعة دينية معينة.

الاقليمية: التصرف أو التسبب في القيام بعمل بدافع الانتماء الى أصل اقليمي معين.

العشائرية: التصرف أو التسبب في القيام بعمل بدافع الانتماء الى عشيرة او عائلة معينة، ويمكن ان يُطلق على الأخيرة العائلية.

كل ذلك، سوف نبحث في نوعية العوامل والتطورات التي شجعت على ظهور قوى للاقليات الدينية في الحياة السياسية السورية منذ عام 1963، خاصة العلويين والدروز والإسماعيليين والمسيحيين الروم الأرثوذكس.

ولم يسبق لأي من الأعمال المنشورة حول سوريا حتى الآن أن تناولت هذا الموضوع على هذا النطاق. إن دراسات بيري وبيخل وماعوز وفان دوزن وغيرهم الواردة بمراجع هذا الكتاب تميل إلى التركيز على عامل دون الآخر، مغفلة بقية العوامل أو تاركة تلك العوامل خارج دائرة الإهتمام، وكُتاَّب مثل دفلين وبتران ورابينوفيتش وسيل (1965) وتورى وغيرهم يتناولون بالتفصيل بعض مراحل تطور التاريخ السياسي في سوريا، ولكنهم يشيرون باختصار أو عرضاً للطائفية والإقليمية والعشائرية لأن دور هذه العوامل لا يمثل لب دراساتهم.

المصادر المستخدمة

يصعب الحصول على مواد معتمدة فيما يتعلق بموضوع هذه الدراسة وذلك لأسباب كثيرة. ففي المقام الأول معظم المصادر المتاحة تبدو منحازة للغاية وغالباً ما تكون ذات طابع دعائي، وربما يكون الأهم من ذلك كله أنه في سوريا وأجزاء أخرى من العالم العربي يوجد نوع من الحظر على التحدث والكتابة العلنية والصريحة حول التناقضات الطائفية والإقليمية والعشائرية[2]، ويُمَارس هذا الحظر على وجه الخصوص في الدوائر القومية العربية ويكون أقوى في حالة الطائفية عنه في كل من الإقليمية والعشائرية. وتمنع الحساسية السياسية السياسيين عن التعبير عن أنفسهم بسهولة حول موضوع مثل الطائفية، سواء كان ذلك شفهياً أو كتابة، ولاسيما إذا كانت لهم تطلعات سياسية مستقبلية. ففي هذه الحالة عليهم أن يضعوا في الحسبان ردود الفعل المحتملة إذا ما عبروا عن أنفسهم صراحة فيما يتعلق بالشئون الداخلية السورية والتي غالباً ما تعتبر "سرية".

[2] قارن خطاب الرئيس حافظ الأسد في إذاعة دمشق بتاريخ 12 أبريل (نيسان) 1976؛

Morroe Berger, The Arab World Today (New York, 1962), p. 265;

Moshe Ma'oz, "Alawi Military Officers in Syrian Politics, 1966−1974", Military and State in Modern Asia (Jerusalem, 1976), p. 279.

فضلا عن ذلك، فإن التنظيم البعثي الذي تقلد زمام السلطة في سوريا منذ عام 1963 يتسم بالسرية، حيث كانت سوريا في وضع شبه حرب في فترات متفاوتة منذ عام 1948 • لذا، فإنه من الطبيعي، في كثير من الأحيان، أن يُقابل الباحثون الأجانب الذين يتناولون التطورات السياسية والإجتماعية المعاصرة بالشك فيما يتعلق بهدفهم الحقيقي٠

وقد تم الحصول على الوثائق المتعلقة بالطائفية والإقليمية والعشائرية في سوريا من ثلاثة مصادر رئيسية: وثائق حزب البعث الداخلية؛ سير الحياة والمذكرات والكتابات الجدلية؛ الصحافة والإذاعات العربية٠ وقد تم تدعيم المعلومات المأخوذة عن تلك المصادر بمقابلات شخصية٠

وثائق حزب البعث الداخلية

إن العديد من وثائق حزب البعث المستخدمة في هذه الدراسة لم يُنشر بعد، وقد صدر عن القطاعين المدني والعسكري بجهاز الحزب، والوثائق تتكون بصورة رئيسية من نشرات الحزب الداخلية والكتيبات ومحاضر إجتماعات الحزب ووثائق أخرى صادرة عن القيادة القطرية السورية للحزب والقيادة القومية والمكاتب التابعة لها وفروعها٠

وقد قامت دار الطليعة في بيروت بنشر الكثير من وثائق الحزب التي كانت سرية فيما قبل، وذلك في شكل سلسلة تحت اسم "نضال حزب البعث" تتكون من أحد عشر مجلداً تشمل الفترة حتى 23 فبراير (شباط) 1966 • إن حزب البعث يعلن رسمياً عن إيديولوجية تهدف إلى تحقيق مجتمع عربي موحد مثالي بنظام إشتراكي، لذلك فإنه من الواضح أن هذا الحزب يحجم عن الإعتراف بأن عوامل مثل الطائفية والإقليمية والعشائرية والتي تعتبر جميعها من رواسب المجتمع التقليدي الذي يعيق يقظة الشعور القومي والإجتماعي والإقتصادي قد لعبت دوراً في الصراع على السلطة داخل صفوف الحزب٠ إن معظم المادة حول هذه العوامل مأخوذ من وثائق الحزب غير المنشورة والتي كانت كثيراً ما تصنف كوثائق سرية في ذلك الوقت، أو كانت مطروحة للتداول فقط داخل جهاز الحزب٠

سير الحياة والمذكرات والكتابات الجدلية

تقدم سير الحياة والمذكرات الخاصة بالسياسيين السوريين والعرب الآخرين تفاصيل ودلائل لا يمكن الإستغناء عنها إذا ما أردنا الحصول على إنطباع كامل ومقبول حول دور الطائفية والإقليمية والعشائرية في الصراع على السلطة السياسية في سوريا. إن معظم سير الحياة والمذكرات المستخدمة في هذه الدراسة ومنها أعمال منيف الرزاز وسامي الجندي ومحمد عمران مصطفى طلاس وعبد الكريم زهر الدين وشبلي العيسمي وغيرهم وكلها واردة بمراجع الكتاب تقدم رؤية جزئية أو تفسيراً للأحداث والظروف التي مرت أو عايشها أولئك المؤلفون. وهذا المنحى كثيراً ما يضفى على كتاباتهم صفة الجدلية. وتبدو أعمال كل من مطاع الصفدي وخليل مصطفى وفؤاد الأطرش وغيرهم ممن ذُكروا بمراجع الكتاب وهوامشه أكثر جدلا، فهؤلاء المؤلفون يقدمون تفسيراً للاراء والأفكار السائدة بين فئات معينة من الشعب السوري، لذلك شملتهم هذه الدراسة.

الصحافة والإذاعات العربية

نادراً ما قدمت الصحافة والإذاعة الخاضعتان لرقابة الحكومة السورية أي تحليل عميق للدور الذي تلعبه الولاءات والإلتزامات الطائفية والإقليمية والعشائرية في الحياة السياسية السورية، سواء في الخفاء أو على الملأ. وفى الحالات الإستثنائية التي قدمت فيها وسائل الإعلام السورية أية معلومات على الإطلاق كان ذلك كرد فعل أو لتكذيب تقارير ظهرت في الصحافة أو الإذاعات الأجنبية.

أما وسائل الإعلام غير السورية، وبخاصة اللبنانية، فلديها الكثير لتقدمه في هذا الشأن. ولقد قامت الصحافة اللبنانية أكثر من مرة بدور صمام الأمان للعديد من الفصائل السياسية والأنظمة في توجيه النقد والترويج ضد المعارضين السياسيين والمنافسين. ففي السنوات التي تلت تقلد البعث لزمام الحكم في سوريا عام 1963 فقد العديد من فصائل حزب البعث فرصة التعبير عن آرائهم السياسية بحرية عبر وسائل الإعلام المحلية، وذلك لأسباب كثيرة. لذلك، فقد لجأوا في بعض الأحيان لإصدار صحف يومية ونشرات دورية خاصة بهم من بيروت، مثل الأحرار والراية، وكثيراً ما عمدوا لتسريب معلومات سرية أو خاصة عن الحزب أو النظام للصحف اليومية اللبنانية مثل الحياة والنهار والجريدة والمحرر والأنوار،

كلما بدا ذلك في مصلحتهم[3]٠

وتتبع تلك المادة المتعلقة بهذه الدراسة في الصحافة والإذاعات العربية أصبح ميسوراً عن طريق مطبوعات مثل الوثائق العربية و
The Arab World, Arab Report and Record, Middle East Record, Daily Report, Middle East & North Africa of the Foreign Broadcast Information Service (Springfield, Virginia).

وخلال الستينات والسبعينات شنت وسائل الإعلام العربية والإسرائيلية حملات دعاية طائفية بصفة متكررة بهدف بث وإثارة الإنقسامات الطائفية، وذلك لتقويض وضع السلطة في نظام البعث السوري[4]٠ وهذه الدراسة لا تتناول الدعاية الطائفية إلا بشكل محدود، حيث أن هذا يشكل فصلاً منفصلاً ويقع خارج النطاق الحالي، ولأسباب مماثلة سوف نترك جانباً المظاهرات الطائفية التي حدثت مرارا في سوريا بعد عام 1963 والتي كانت موجهة بصفة خاصة ضد البعثيين في السلطة التابعين لأقليات دينية، علماً بأن المادة المتعلقة بهذه المظاهرات متوفرة في الصحافة اللبنانية ولكن مدى صحتها أمر مشكوك فيه[5]٠

المقابلات الشخصية

---

[3] عبد الكريم زهر الدين، مذكراتي عن فترة الإنفصال في سوريا ما بين 28 أيلول و8 آذار 1963 (بيروت 1968)، ص 345؛ حزب البعث العربي الإشتراكي، القطر السوري، القيادة القطرية،مقررات المؤتمر القطري العادي الثاني للقطر السوري والمنعقد بين 3/18 و 1966/4/4: التقرير التنظيمي، التقرير السياسي، التقرير الإقتصادي الإجتماعي (دمشق 1966) (مذكور فيما بعد كالتقرير التنظيمي 1965) ص 18 ٠

[4] انظر
Nikolaos van Dam, 'Israeli Sectarian Propaganda during the October, 1973, War', Muslim World, Vol. LXVII, No. 4, October 1977, pp. 295−305.

[5] انظر
John J. Donohue, 'La Nouvelle Constitution Syrienne et ses Déctracteurs', Travaux et Jours (Bayrut), April−June 1973, pp. 93−111.

وعن طريق إجراء مقابلات مع عدد من السياسيين العرب السوريين والأردنيين والفلسطينيين والعراقيين واللبنانيين الذين كان لهم علاقة مباشرة أو غير مباشرة بتطور الأحداث السياسية الواردة بهذه الدراسة كان بالإمكان إضافة معلومات جديدة وتحليلات عميقة للمادة المستخلصة من المصادر الرئيسية٠ وبديهي أن بعض أولئك الأشخاص لا يرغبون في ذكر أسمائهم، ولكن من بينهم سياسيين قدامى مثل شبلي العيسمي وصلاح الدين البيطار و الدكتور جمال الاتاسي والفريق أمين الحافظ و الدكتور الياس فرح و جورج صدقني و عبد الله الأحمد و العقيد جاسم علوان (سوريا) والدكتور منيف الرزاز والدكتور فواز الصياغ (الأردن) وطارق عزيز وزهير بيرقدار (العراق) ومالك الأمين والدكتور بشير الداعوق والمهندس نيقولا فرزلي وبشارة مرهج ومنح الصلح (لبنان)، علماً بأن أياً منهم لا يتحمل أدنى مسئولية عن التفسيرات قيد هذه الدراسة٠

شكر وتقدير

تعتبر هذه الدراسة نسخة منقحة وحديثة لأطروحة دكتوراه قُدمت في الأصل لجامعة أمستردام في مارس (آذار) 1977 تحت عنوان:

De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme bij de Strijd om de Politieke Macht in Syrië (1961−1976)

دور الطائفية والإقليمية والعشائرية في الصراع على السلطة السياسية في سوريا (1961-1976)• وإنني لمدين بالشكر للأستاذ الدكتور س٠ ويلد (جامعة بون) الذي أشرف على إعداد النسخة المخطوطة في شكلها الأصلي كأطروحة دكتوراه٠

كما أود أن أعرب عن إمتناني للأستاذ الدكتور ي٠ بروخمان (جامعة ليدن) لتعليقه ونقده القيم للنسخة الإنجليزية٠

وأتقدم بعميق الشكر لأولئك من الشرق الأوسط الذين قدموا لي يد العون في تجميع البيانات والمواد اللازمة لصياغة هذا الكتاب٠

وقد تم نشر الفصل السادس والجداول من 1 إلى 7 بشكل آخر كجزء من المقال المعنون
'Sectarian and Regional Factionalism in the Syrian Political Elite'
(الشقاق الحزبي الطائفي والإقليمي بين نخبة السياسيين السوريين)، والذي نُشر في
The Middle East Journal (Vol. 32, No. 2 , Spring 1978, pp. 201-210).
وإنني لمدين لمعهد الشرق الأوسط بوشنطون لتفضله مشكوراً وسماحه لي بإعادة النشر.

وأخيراً، أود أن أعرب عن امتناني للهيئة الهولندية لتطوير الأبحاث المجردة ومعهد الشرق (ليدن) اللذين دعما هذه الدراسة مادياً.

مقدمة الطبعة الثانية

لقد نُشرت طبعة الكتاب الأولى في ربيع عام 1979 وشملت التطورات المتعلقة بدور الطائفية والإقليمية والعشائرية في الصراع على السلطة في سوريا حتى نهاية 1978 . أما الطبعة الثانية فتتضمن تذييلاً تحت عنوان "التحريض الطائفي والمواجهة" والذي يغطى أهم الأحداث من ذلك الحين وحتى منتصف عام 1980 . وقد تم تعديل عنوان الكتاب الفرعي تبعاً لذلك. وبإستثناء بعض التعديلات الطفيفة التي تتعلق بالشكل أكثر منها بالمحتوى فإن نص الكتاب لم يتغير. والفصل الجديد لم يكن ضرورياً فقط لتحديث الكتاب، بل أيضاً لأن الصراع على السلطة في سوريا قد أخذ بُعداً إضافياً هاماً. أما بشأن تأثير الصراع على السلطة السياسية في سوريا فإن الطائفية كانت محصورة فيما مضى على صفوة السياسيين البعثيين وجهاز حزبهم، إلا أنه في النصف الثاني من السبعينات احتوت هذه الظاهرة قطاعات أوسع، ونتيجة للاغتيالات الطائفية وبعض عوامل أخرى ومن جراء التأثر بالحرب الأهلية الطائفية التي تفشت في لبنان منذ عام 1975، فإن الطائفية لم تؤثر فقط في جهاز حزب البعث والقوات المسلحة والهيئات الأمنية الأخرى ولكنها أثرت في الجزء الأكبر من المجتمع السوري. بالتالي، فإن القوات المسلحة أصبحت مهددة بالإنقسام طائفياً إلى درجة أكبر مما كانت عليه فيما قبل، وأصبحت البلاد في خطر الإنزلاق إلى أهوال الحرب الأهلية.

28 يونيو (حزيران) 1980

مقدمة الطبعة الثالثة (الأولى باللغة العربية)

لقد طُلب منى في العديد من المناسبات منذ نشر الطبعة الأولى لهذه الدراسة باللغة الانجليزية في عام 1979 أن أقوم بترجمة هذا العمل ونشره باللغة العربية٠ ورغم عدم قيامي بنشر الطبعة العربية في ذلك الحين إلا أنه تم تداول ترجمات عربية مختلفة دون الحصول على موافقة مسبقة منى، ويبدو أن هذه النسخ كانت بغرض التداول المحدود بين أطراف مختلفة، سواء مؤيدة أو معارضة لنظام الحكم في سوريا٠ ولم أكن دائماً موافقاً على مثل هذه الترجمات٠ وأخيراً قررت نشر ترجمة خاصة بي، نظراً للإلحاح المستمر على كتابي، رغم مرور 15 عاماً على صدوره٠

وهذه الطبعة العربية هي ترجمة للطبعة الثانية باللغة الانجليزية التي صدرت في عام 1980، وذلك بعد تحديثها لتشمل أهم التطورات المتعلقة بهذه الدراسة والتي وقعت منذ ذلك الحين وحتى نهاية عام 1994٠

وبعد صدور الطبعة الثانية من هذا الكتاب بالانجليزية عام 1980 ظهر العديد من الدراسات الأكاديمية معظمها في إطار مختلف التي اهتمت بدور الطائفية والإقليمية والعشائرية بجانب العوامل الإجتماعية السياسية وغيرها٠ وقد تم أخذ هذه الأعمال في الاعتبار، خاصة في الفصول الثلاث الأخيرة والتي تشمل أعمال بطاطو ودريسديل وهينبوش وكينله وبرتز وسيل وغيرهم ممن وردت أسمائهم بالمراجع٠

القاهرة، ديسمبر (كانون الأول) 1994

مقدمة الطبعة الثانية المزيدة والمنقحة باللغة العربية

لقد نفدت الطبعة الأولى باللغة العربية خلال شهور قليلة من نشرها في يناير (كانون الثاني) 1995، وذلك رغم عدم توافرها خلال هذه الفترة في البلاد العربية التي من المفترض أنها تضم الأغلبية العظمى من القراء المهتمين بهذا الموضوع٠

وقد تمت مراجعة النسخة الجديدة وتحديثها والتوسع فيها لتشمل أهم التطورات ذات الصلة التي وقعت في سوريا منذ نشر الطبعة الأولى، كما تم تحديث الجداول الإحصائية حتى عام 1995 •

القاهرة، مايو (ايار) 1995

مقدمة الطبعة الإلكترونية الأولى المعتمدة باللغة العربية

إنه لمن دواعي سروري أن ألاحظ الاستخدام المكثف لدراستي منذ نشرها باللغة العربية، والإنجليزية، والتركية أيضاً؛

وقد ساعد ظهورها على العديد من المواقع العربية بشبكة الانترنت قيام الكثيرين باستخدامها؛

ولا شك أنه لمن دواعي الفخر والاعتزاز للمؤلف أن يجد أعماله تتعرض لعمليات "القرصنة" في إشارة واضحة لأهميتها؛

وحيث أن النُسخ المدرجة على شبكة الانترنت حتى الآن غير مكتملة وينقصها الدقة، فقد قررت القيام بطرح الطبعة الإلكترونية الأولى باللغة العربية، بغرض توفير النص الأصلي المعتمد؛ وهذه الطبعة تحتوي على بعض التغيرات البسيطة وذات الصلة، ما بين إضافة وحذف، كما تم تحديث المراجع؛

وأود أن أشكر السيدة منى شنودة لمساعدتها القيمة في إعداد النسخ العربية•

الدكتور نيقولاوس فان دام

جاكارتا، ديسمبر (كانون الأول) 2006

الفصل الأول

مقدمة

بالرغم من الدرجة الكبيرة من التجانس الثقافي، إلا أن سكان سوريا الحاليين يتميزون بتنوع قوى في الأصول الدينية والعرقية[6]٠ فالتقسيم الفرعي للسكان نسبة إلى اللغة أو الدين يكشف لنا أن 82،5٪ يتحدثون العربية و68،7٪ مسلمون سنيون٠ ونجد أن المسلمين السنيين الذين يتحدثون العربية يشكلون أغلبية عددية قوامها 57،4٪ من مجموع السكان من حيث اللغة والدين، أما المجموعات المتبقية فيمكن أن تُصنف كأقليات عرقية و/أو أقليات دينية٠

وأكبر الأقليات الدينية في سوريا هم العلويون (11،5٪) والدروز (3،0٪) والإسماعيليون (1،5٪) والمسيحيون الروم الأرثوذكس (4،7٪) وهم أهم الجاليات المسيحية في سوريا (14،1٪)٠

أما الأقليات العرقية الرئيسية فهم الأكراد (8،5٪) والأرمن (4،0٪) والتركمان (3،0٪)

---

[6] أخذت إحصائيات هذه الدراسة لأهم المجموعات الدينية واللغوية في سوريا من كتاب:

Gabriel Baer, Population and Society in the Arab East (London, 1964), p. 109.

ومن أجل مناقشة صحة البيانات الإحصائية السكانية في سوريا، انظر

J. C. Dewdney, 'Syria: patterns of population distribution', in J. I. Clarke & W. B. Fischer (eds.), Populations of the Middle East and North Africa (New York, 1972), pp. 130−42; E. Wirth, Syrien: Eine Geographische Landeskunde (Darmstadt, 1971), pp. 170, 171.

لأرقام أخرى حول أهم المجموعات الدينية واللغوية في سوريا انظر

I. Nouss, La Population de la République Syrienne. Etude démographique et géographique, Thèse d'Etat (Paris, 1951); US Army Area Handbook for Syria (Washington, DC, 1965); Statistisches Bundesamt Wiesbaden, Allgemeine Statistik des Auslandes, Länderkurzberichte, Syrien (Stuttgart/Mainz, 1967, 1969),

كما ورد في:

Wirth, Syrien, p.452.

والشراكسة، وفى حين أن معظم الأكراد والتركمان والشراكسة مسلمون سنيون، وبذلك فهم ينتمون لغالبية السكان، إلا أن الأرمن مسيحيون، وبالتالي فهم يمثلون أقلية عرقية ودينية في آن واحد، ومن بين الأقليات الدينية المذكورة أعلاه، نجد أن العلويين والدروز والإسماعيليين والمسيحيين الروم الأرثوذكس يتحدثون جميعاً العربية بدون إستثناء تقريباً.

العوامل التي ساهمت في الولاءات الطائفية والإقليمية والعشائرية

هناك العديد من العوامل التي ساهمت في وجود وبقاء هذا الكم من المجموعات الدينية والعرقية بالمنطقة التي يُطلق عليها اليوم سوريا[7] .

1- تنبع الأديان الثلاثة التوحيدية الرئيسية اليهودية والمسيحية والإسلام من المنطقة الكبرى التي تشمل سوريا، وقد أدى تكوين المذاهب والمدارس المختلفة داخل هذه الأديان إلى إختلافات كبيرة في العقائد.

2 - إن الهلال الخصيب الذي تشكل سوريا جزءاً منه قد تعرض بصفة منتظمة في الماضي لغزوات من قِبل مجموعات سكانية متعددة، مثل العرب والأكراد والمغول والأتراك، وكان دائماً مركزاً للحركات العشائرية والفردية.

3- كان الشرق الأوسط في بعض الأحيان ملجأً للمضطهدين سياسياً أو دينياً من الأقاليم المجاورة، وقد تمكنت تلك المجموعات اللاجئة من الإستقرار في سوريا أو المناطق المحيطة بها.

4- كثيراً ما إتخذت الإختلافات العشائرية والقومية الناتجة عن كل هذه التطورات طابعاً دينياً وساهمت في ظهور جاليات دينية مختلفة. بالتالي، كان طبيعياً أن تتطور الإختلافات السياسية والدينية كجزء من هذه العملية.

---

[7] المناقشة التالية تستند أساساً على

A. H. Hourani, Minorities in the Arab World (London, 1947), pp. 15–22.

5- كثيراً ما تم الحفاظ على الإختلافات الدينية والعشائرية واللغوية التي قويت نتيجة المحلية، أي نتيجة ولاء محلى مكثف تركز في بعض المناطق
بسبب التكوين الجغرافي، لاسيما في جبال ووديان منطقة اللاذقية وجبل الدروز التي يصعب الوصول إليها٠

6- إن نقص سبل الإتصال في المناطق التي يصعب الوصول إليها وعدم وجود سلطة مركزية قوية قد ساعدا على الحفاظ على الطابع المتميز والمستقل للمجموعات الدينية والقومية، واستطاعت الجاليات التي لم تكن ترغب في الخضوع لرقابة الدولة المركزية أن تنسحب إلى مناطق يصعب الوصول إليها إلى حد ما وتمكنوا من العيش دون قلق، نسبياً٠ وقلما كانت سلطة الدولة المركزية تمتد أبعد من الساحل وأودية الأنهار والوديان والسهول التي يسهل الوصول إليها، وبالتالي، كانت تقطنها الغالبية التقليدية السائدة من المجموعات الدينية أو القومية، وخاصة العرب السنيين٠ من ناحية أخرى، نجد أن الأقليات الدينية، وخاصة أولئك الذين اضطهدوا بشدة في الماضي كالعلويين والدروز والإسماعيليين، قد تواجدوا أساساً في مناطق يصعب الوصول إليها٠

7- لقد تم تشجيع ونمو الإختلافات الدينية والعرقية نتيجة للتسامح النسبي الذي أبداه الإسلام تجاه المسيحيين واليهود وبسبب المساواة الرسمية بين المجموعات القومية داخل الإسلام، بيد أن الثقافة العربية والإسلامية لم تترك الجاليات المسيحية واليهودية دون أن تعكر صفوها، فحدث استيعاب بعيد المدى٠

وقبل إنتشار ظاهرة القومية في العالم الإسلامي كانت أهم المجموعات القومية مثل العرب والأتراك والفرس والأكراد متسامحة إلى حد ما في سلوكها تجاه بعضها البعض، ولم يكن التفكير قد تطرق بعد للاتجاهات القومية، فكان سكان سوريا الحاليون يعتبرون أنفسهم إما سنيين أو علويين أو دروز أو إسماعيليين أو مسيحيين روم أرثوذكس أو يهوداً ٠٠٠ الخ٠ وكان معظمهم يتحدثون العربية، إلا أن هذا لم يكن له ثِقل سياسي، فالغالبية من السكان وهم سنيون لم يشعروا بأنهم تحت وطأة حكومة أجنبية أثناء الحكم العثماني
(التركي)، رغم أن هذا كان شعور العلويين والدروز والإسماعيليين وغيرهم، إلا أن السنيين لم يتفقوا مع كل هؤلاء في الرأي في هذا الشأن[8]٠

8

لقد كان التعصب الإسلامي (السني) موجهاً بصفة عامة ضد الشيعة والمسلمين غير السنيين كالعلويين والدروز والإسماعيليين أكثر منه ضد المسيحيين واليهود الذين كانوا يتمتعون بنوع من حماية الأقليات، مما مكنهم من الإحتفاظ بهويتهم حتى وقتنا هذا، وإن كان ذلك على حساب قبولهم أن يُعاملوا معاملة مواطني الدرجة الثانية[9]. لقد اعترف الإسلام باليهود والمسيحيين كأهل الكتاب، أي أناس تلقوا رسالات سماوية عن طريق رسل جاءوا قبل محمد وعُهد إليهم بكتب سماوية مقدسة. كما أن مكانة أهل الكتاب سمحت للمسيحيين واليهود بالإحتفاظ بتنظيمهم الديني ومكانتهم الشخصية وأماكن عبادتهم وممتلكاتهم الدينية، وهذه المكانة المحفوظة قد توطدت أكثر تحت ظل الإمبراطورية العثمانية، عندما اعتُرف بجالياتهم رسمياً كمِلل أو "أمم" (دينية).

وفى عهد الإمبراطورية العثمانية كان المجتمع السوري مجزءاً بشكل كبير إلى عدد من الجاليات المغلقة، وقد قام البرت هـ. حوراني بشرح هذا الوضع كالآتى:

كانت الإمبراطورية العثمانية تتألف من عدد كبير من المجموعات المحلية العشائرية واللغوية والدينية، التي تشكل في مجموعها جاليات مغلقة. وقد كان كل منها بمثابة "عالم" يقتصر على أعضائه ويطالبهم بولائهم المطلق. وقد تلامست هذه العوالم دون أن تختلط ببعضها البعض، فكان كل منها ينظر للآخر بعين الشك والريبة، وربما الكراهية. وكانت معظمها يغلب عليها الركود وعدم التغيير والمحدودية. أما عالم أهل السنة، رغم تمزقه بشتى أشكال التشقق الداخلي، إلا أنه ظل يتمتع بشيء من الشمولية والشعور بالثقة وروح المسئولية التي كان يفتقدها
الآخرون. وكانت الجاليات الأخرى هامشية وبعيدة عن السلطة وصنع القرار التاريخي[10].

Elie Kedourie, The Chatham House Version and other Middle Eastern Studies (London, 1970), pp. 386–7.

9

L. C. Biegel, Minderheden in het Midden-Oosten, hun betekenis als politieke factor in de Arabische wereld (Deventer, 1972), pp. 61, 332.

10

Hourani, Minorities in the Arab World, p. 22.

إن التصدع القديم عبر القرون بين الجاليات الدينية المختلفة وبين السنيين والأقليات الدينية بصفة خاصة قد اتسع خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين نتيجة لعدة عوامل[11].

1- خلال القرن التاسع عشر تأثر وضع الأقليات الدينية بصورة قوية نتيجة التدخلات السياسية في الشئون الداخلية للإمبراطورية العثمانية من قِبل فرنسا وانجلترا وروسيا الذين فرضوا أنفسهم حماة للأقليات الدينية، فادعت فرنسا لنفسها حق حماية المسيحيين الموارنة في لبنان وادعت الحكومة الروسية لنفسها حقاً مماثلاً في حماية المسيحيين الروم الأرثوذكس التابعين للسلطان العثماني، بينما استأثرت بريطانيا بعلاقات طيبة، خاصة مع الدروز واليهود[12]. وقد تحسن وضع هذه الأقليات الدينية بصفة عامة، إلا أنه حدث تأثير سلبي لأن هذه الحماية جلبت لهم كراهية الحكومة العثمانية المركزية وغالبية السكان من المسلمين السنيين الذين اعتبروهم "خونة محتملين، ومصدر ضعف، وعملاء للسياسة الأوروبية، وخطراً على الإمبراطورية والأمة الإسلامية بوجه عام"[13]. ونتيجة لذلك فقد ساءت بالفعل العلاقات بين السنيين والأقليات الدينية، هذا بجانب تأثير آخر للتدخل السياسي من قِبل القوى الأوروبية ألا وهو تدعيم مهمة الأقليات الدينية كوحدات سياسية وتنمية وعيها الجماعي.

2- وفى عهد الإنتداب الفرنسي تم تحريض الولاءات الطائفية عمداً لكي تمنع أو تحد من ظهور القومية العربية[14]. ومن ناحية أخرى، جرى تشجيع ظاهرة الإنفصالية والتخصصية بين الأقليات الدينية والقومية عن طريق منحهم حكماً ذاتياً في المناطق التي كانت تشكل فيها تلك الأقليات الغالبية المحلية. وبناء على هذه السياسة فإن منطقة اللاذقية، والغالبية فيها من العلويين، وجبل الدروز، والغالبية فيه من الدروز،

---

[11] المصدر السابق ص 23- 29 .

[12] قارن

Shakeeb Salih, 'The British-Druze Connection and the Druze Rising of 1896 in the Hawran', Middle Eastern Studies, Vol. 13, No. 2, May 1977, pp. 251-7.

[13]

Hourani, Minorities in the Arab World, p. 24.

[14] قارن زكي الأرسوزي، "التجربة السياسية في لواء الإسكندرون"، المؤلفات الكاملة، المجلد الثالث (دمشق، 1974)، ص 341-362 .

كانت لهما حكومتهما لفترة ما أثناء الإنتداب وكانا يعتبران مستقلين بحكم ذاتي رسمياً عن الجمهورية السورية. أما منطقة الجزيرة في الشمال الشرقي حيث مثلت الجاليات المسيحية قوة لا يستهان بها وحيث كان الأكراد بالنسبة لهم أغلبية محلية، فلم يحصلوا على حكم ذاتي رسمياً تحت الإنتداب الفرنسي، بل وضعت المنطقة تحت حكم الإدارة الفرنسية المباشرة وتم تشجيع تطلعات الأكراد نحو تحقيق حكم ذاتي.

3- وكجزء من سياسة "فرِّق تسد" فقد شجع الفرنسيون تجنيد فصائل خاصة من العلويين والدروز والأكراد والشراكسة والأقليات الأخرى، الذين شكلوا بعد ذلك ما عُرف باسم "القوات الخاصة للشرق الأدنى" والتي استخدمت لحفظ النظام وقمع الفتن الداخلية. ونظراً لأن هذه القوات كانت مُشكلة من الأقليات فقد زاد هذا من شعور الإستياء بين السنيين المتحدثين بالعربية، كما اثيرت الخلافات بين الأقليات الدينية والعرقية عن طريق الفرنسيين الذين كانوا يناصرون قائداً عشائرياً ضد الآخر[15].

4- ظل نظام "المجتمع المغلق" سارياً خلال النصف الأول من القرن العشرين، وقد لاحظ ذلك جاك ويلرس خلال الأربعينات وأسماه بعقدة الأقليات، كالآتي:

> ... حساسية جماعية مَرَضية تجعل أي تحرك لجالية مجاورة يبدو وكأنه خطر محقق أو تحدٍ لهذه الجالية، فتقوم بتوحيد كل مجموعة بالكامل أمام أدنى هجوم أو تعدٍ يرتكب ضد أي من أعضائها[16].

الإقليمية في سوريا خلال فترة الاستقلال

---

[15] قارن

Munir Mushabik Mousa, Etude sociologique des 'Alouites ou Nousairis (Thèse principale pour le doctorat d'état, Paris, 1958), pp. 924–6.

[16]

Jacques Weulersse, Paysans de Syrie et du Proche Orient (Paris, 1946), p. 77

قارن

Jacques Weulersse, Le Pays des Alaouites (Tours, 1940), pp. 49, 73, 288.

هناك ثلاثة عوامل تزامنت وجعلت من الولاءات والإلتزامات الإقليمية قاعدة هامة للمشاركة السياسية من قِبل العديد من الشخصيات السورية خلال فترة الإستقلال، وقد لخصها مايكل هـ. فان دوزن فيما يلي :

1- أظهر نمو الوعي السياسي الولاء فوق الوطني (أي القومي العربي) والولاء تحت الوطني (أي الإقليمي)، وذلك على حساب الإلتزام بالدولة الوطنية ككل .. إن الإقتطاعات العديدة من سوريا منذ بداية هذا القرن قد وقفت حائلاً دون نمو أي ولاء متلاحم أو محدد للدولة السورية كوطن. ومازالت تأثيرات هذه التغييرات الحدودية على التكامل الوطني واضحة حتى الآن: فمن ناحية نجد أنه يتم مراعاة هذه الحدود فقط من الناحية الفنية وأن الهوية العربية أقوى بكثير من الهوية السورية، ومن ناحية أخرى، نجد أن عدم وجود ولاء وسط قد أدى إلى توجيه الصراعات السياسية المحلية للساحة السياسية الوطنية، والتي بالفعل قد سيطرت على السياسة الوطنية[17].

لذا، "فعندما نالت سوريا استقلالها عام 1946 كانت دولة في كثير من النواحي دون أن تكون أمة، فكانت كياناً سياسياً دون أن تكون مجتمعاً سياسياً [18].

2 - لم يضعف كثيراً الإكتفاء الذاتي التقليدي لمختلف مراكز سوريا الإقليمية من جراء خطط التنمية الحديثة... فالمدينة الزراعية العربية التقليدية هي مركز الولاءات الإقليمية في بلدان مثل العراق وسوريا... وقد كانت المدن الزراعية تقليدياً مركزاً للنشاط السياسي: ففي فترة الإستقلال كان ذلك يعنى أن السياسة الوطنية كثيراً ما كانت تُعَرَّف على أساس المصالح الوطنية أو الإقليمية الفرعية. وأنماط الإتصال داخل البلاد تعكس أيضاً فسيفساء المدينة الزراعية: فحلقة الإتصال بين دمشق كعاصمة سياسية وأي قرية سورية عادة ما تكون المدينة الإقليمية التي تقع في منطقتها، والإتصال بين المدن الزراعية ضئيل للغاية[19].

17

Michael H. Van Dusen, 'Political Integration and Regionalism in Syria', The Middle East Journal, Vol. 26, No. 2, Spring 1972, pp. 123, 125−6.

18 قارن

Moshe Ma'oz, 'Society and State in Modern Syria', in Menahem Milson (ed.), Society and Political Structure in the Arab World (New York, 1973), pp. 29-91; Moshe Ma'oz, 'Attempts at Creating a Political Community in Modern Syria', The Middle East Journal, Vol. 26, No. 4, Autumn 1972, pp.389−404.

19

Van Dusen, 'Political Integration and Regionalism in Syria', pp. 123−4.

هذا، وأهم المدن الزراعية السورية هي: دمشق والسويداء ودرعا والقنيطرة في الجنوب، وحلب ودير الزور في الشمال والشمال الشرقي، وحماة وحمص واللاذقية في الوسط والشمال الغربي. وكل واحدة منها تمثل مركزاً لشبكة من العديد من المدن والمئات من القرى بالمناطق الريفية النائية[20].

3- وفي أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات بدأ إهتمام الشباب السوري بالسياسة وهو في مرحلة الدراسة الثانوية، أي، قبل أن يتفرغ هذا الشباب للعمل في شتى الميادين أو يتحول للعمل بالقطاعات المختلفة.
وهذا يعنى أن ولاءات الشباب السياسية والإيديولوجية قد عكست الوضع السياسي المحلى الخاص بمدنهم الزراعية، ونتيجة لذلك كان لا بد للاحزاب الوطنية أن تتأقلم مع المحلية السورية، مما أفقدها مركزيتها وجعلها تتمركز حول خليتها. وقد أفضى هذا أيضاً إلى استمرار الأحزاب الوطنية في إبراز المصالح الإقليمية[21].

وهكذا، عكست الأحزاب السياسية السورية المصالح الإقليمية واستطاعت بغض النظر عن إيديولوجياتها السياسية أن تتوسع في مناطق محددة أو بين شرائح معينة من السكان، بينما بقيت غير جديرة بالذكر في مناطق أخرى.

العوامل التي تضعف من الولاءات والإلتزامات الإنصرافية

إن ظهور فكرة القومية والتغيير الإجتماعي المستمر قد ساعد على إضعاف الروابط الطائفية

---

[20] طبقاً لفان دوزن، المصدر السابق، ص 124و125، فإن أدلب وجسر الشغور يشكلان في الواقع جزء من مدينة حلب الزراعية، بينما الرقة والحسكة والبو كمال يشكلون جزء من مدينة دير الزور الزراعية. وفى العقد الماضي تطورت طرطوس لتصبح مدينة زراعية بديلة عن اللاذقية، حيث يعتبرها الكثير من العلويين مركزهم الإقليمي. وفى عام 1966، تم إقتطاع محافظة طرطوس الجديدة من محافظة اللاذقية القديمة. في هذه الدراسة نعتبر منطقة الجزيرة المكونة من مناطق دير الزور والرقة والحسكة منطقة واحدة يُطلق عليها دير الزور.

[21] المصدر السابق، ص 124، 127 .

والإقليمية والعشائرية، خاصة منذ فجر الاستقلال. فنجد على سبيل المثال أن تحسن سبل الإتصال والإنتقال قد بدد عزلة مجتمعات معينة. أما التحديث والتصنيع فقد مكنا من إختلاط أعضاء المجتمعات المختلفة بصورة أكثر وأشد من ذي قبل، ونجد أن الإنتشار الواسع للتعليم منذ عهد الاستقلال وتوحيده على المستوى الوطني خلال الستينات قد تسببا في كبت العقليات الإنصرافية الطائفية والإقليمية وغيرها. أضف إلى ذلك ان التمدن قد أدى إلى إضعاف الروابط الأسرية.

وبالرغم من ظاهرة اللامبالاة تجاه الدين، إلا أن أهمية المجتمع الديني كوحدة سياسية وإجتماعية قد استمرت، فتكاثرت أعداد المنظمات والأندية والجماعات اللاسياسية من خلال القنوات الإجتماعية التقليدية للمجتمع الديني، مع كل ما يتبع ذلك من أجل الإبقاء على الولاء والإلتزام الطائفي.

وفى دراستنا هذه، سوف نعتبر الذين ولدوا في مجتمع ديني معين ثم أصبحوا بلا دين أعضاء في ذلك المجتمع، فعملياً، يبدو من الطبيعي إعتبار شخص ما تابعاً لمجتمع ديني، بغض النظر عن معتقداته الدينية الحقيقية، فظاهرة التحول من دين لآخر نادراً ما تحدث.

التوزيع الإقليمي للمجموعات الدينية والعرقية

إن المجموعات الدينية والعرقية غير موزعة بالتساوي على كافة أنحاء سوريا، بل غالباً ما تتركز بنسب متفاوتة في مناطق إدارية مختلفة. وعليه، فيجب التمييز بين الأقليات المتماسكة والأخرى المتناثرة، فالأولى يتركز أعضاؤها أساساً في منطقة معينة، مشكلين أغلبية محلية، والثانية يتوزعون فيها على عدد من المناطق، دون أن ينطبق على أي منها تعريف الأقليات المتماسكة[22].

ويشكل السنيون الأغلبية في كافة المحافظات السورية بإستثناء اللاذقية والسويداء[23]. ففي محافظة

22

Hourani, Minorities in the Arab World, p. 14.

23 في هذه الدراسة، ما لم يشر إلى غير ذلك، فإن منطقة أو محافظة اللاذقية تشير إلى الوحدة الإدارية ذات الحدود المشتركة حتى عام 1966 عندما تم تشكيل محافظة طرطوس الجديدة. وفيما مضى كانت محافظة اللاذقية تضم منطقة

اللاذقية يشكل العلويون الأغلبية (62،1٪) ويشكل المسيحيون الروم الأرثوذكس المقيمون أساساً في المناطق الريفية على شكل تجمعات إقليمية نسبة 12،8٪، بالمقارنة بنسبتهم على المستوى الوطني وهى 4،7٪٠ أما في محافظة السويداء (جبل الدروز أو جبل العرب)[24] فالدروز يشكلون أغلبية ساحقة بنسبة 87،6٪، مع وجود طوائف كبيرة نسبياً من الروم الأرثوذكس وغيرهم من الطوائف المسيحية٠ ونجد أن نسبة السنيين في السويداء تقل عن 2٪ من عدد السكان، وهى أقل نسبة بين باقي المحافظات٠

وفى محافظة حماة حيث يشكل السنيون غالبية السكان بنسبة 64،6٪، نجد الإسماعيليين (13،2٪) والمسيحيين الروم الأرثوذكس (11٪) يتركزون في المناطق الريفية المحيطة بعاصمة المحافظة التي يقطنها أساساً السنيون٠ ومعظم الإسماعيليين السوريين يتركزون في منطقة السلمية ومنطقة مصياف، حيث يشكلون غالبية السكان هناك، وبذلك يمكن تصنيفهم كأقلية متماسكة،
شأنهم شأن الدروز والعلويين٠ أما معظم الأكراد السوريين فيقطنون المناطق الشمالية المتاخمة لتركيا ويمكن إعتبارهم أقلية عرقية متماسكة٠

الأقليات الدينية المتماسكة

منذ تولى حزب البعث زمام السلطة في سوريا عام 1963 فإن أعضاء الأقليات الدينية المتماسكة المتحدثين بالعربية كالعلويين والدروز والإسماعيليين قد لعبوا دوراً سياسياً مرموقاً، وعليه فسوف نتناول بشيء من التفصيل ولو بإيجاز ظروفهم الإجتماعية٠

مصياف وناحية وادي النصارى٠ أما اليوم فقد أصبحت مصياف جزءاً من محافظة حماة، ويقع وادي النصارى جنوب شرق جبال العلويين ويقطنه أساساً المسيحيون من الروم الأرثوذكس٠

[24] يميل أنصار القومية العربية في سوريا إلى عدم استخدام الأسماء الجغرافية الدالة على الخلفية الدينية لسكان منطقة ما٠ بالتالي، فلتأكيد التساوي بين العرب أجمعين وبغض النظر عن دينهم فهم يفضلون اسم جبل العرب على اسم جبل الدروز٠ بيد أنه كان حتى زمن قريب يُطلق على جبال منطقة اللاذقية اسم جبال العلويين أو جبل النصيرية كما ورد في المجموعة الإحصائية السورية الرسمية، قارن المجموعة الإحصائية 1976، ص 45 ، 63 ؛ المجموعة الإحصائية 1971، ص 7 ، 32 • أما في المجموعة الإحصائية 1992، ففضلت الدوائر الرسمية اسم "الجبال الساحلية" الأكثر حياداً٠

العلويون

يقطن حوالي 75٪ من العلويين السوريين منطقة اللاذقية، حيث يشكلون الأغلبية المحلية هناك. ويعمل معظمهم في قطاع الزراعة، ممثلين بذلك الأغلبية الساحقة من سكان اللاذقية الريفيين. أما في المدن الساحلية فقد كانوا أقلية بالمقارنة بالسنيين والمسيحيين. وعليه، فإن التباين الريفي المديني والتباين الطبقي بمنطقة اللاذقية عادة ما يتوافقان مع الإختلافات الطائفية.

لقد فرضت المدن فيما مضى هيمنة إقتصادية وإجتماعية على سكان الريف الذين كانوا يُرغمون على التنازل عن جزء كبير من عائداتهم لملاك الأراضي والتجار. وبدا التباين المديني الريفي في بعض الأحيان وكأن المدن مستوطنات لغرباء يعيشون على حساب سكان الريف الفقراء. وفى الأربعينات كانت المدن الساحلية كاللاذقية من وجهة النظر السياسية والإجتماعية بمثابة قواعد أمامية لدمشق العاصمة بغالبية سكانها من السنيين[25].

ونما على مر الزمان لدى العلويين شعور بعدم الثقة تجاه السنيين الذين كثيراً ما كانوا يضطهدونهم، إلا أن هذا الشعور كان أقل حدة تجاه المسيحيين وربما يرجع ذلك لكون المسيحيين أيضاً في وضع ضعف وعدم يقين.

أما بالنسبة للتنظيم الإجتماعي فيمكن الفصل بشكل تقريبي بين العلويين القاطنين المناطق الجبلية وأولئك القاطنين سهول سوريا والمناطق الساحلية. فالروابط العشائرية أقوى بين سكان المناطق الجبلية وتكاد تختفي بين سكان المناطق الساحلية، حيث تشكل الأسرة أهم وحدة إجتماعية وحيث نجد الروابط بين

25

Weulersse, Le Pays des Alaouites, p. 66.

المناقشة التالية حول العلويين السوريين تستند أساساً على المصدر السابق؛

Mousa, Etude sociologique des 'Alaouites ou Nusairis;

منير الشريف، المسلمون العلويون. من هم؟ وأين هم؟ (دمشق، 1961، الطبعة الثالثة). ومن أجل الإطلاع على تاريخ العلويين أنظر محمد أمين غالب الطويل، تاريخ العلويين (بيروت، 1966، الطبعة الثانية)، وتعليق من الشيخ العلوي السوري عبد الرحمن الخير.

أفرع الأسرة المختلفة قوية للغاية.

وبينما نجد أن العلويين القاطنين المناطق الساحلية والسهول المنخفضة مسيطراً عليهم ومستغلين إقتصادياً من قِبل أعضاء الطوائف الدينية الأخرى وفى مقدمتهم السنيين والمسيحيين إلا أن سكان المناطق الجبلية التي يصعب الوصول إليها قد استطاعوا أن يتطوروا باستقلال أكبر. إن الوضع الإجتماعي والإقتصادي للفلاحين العلويين كان متشابهاً في كلتا المنطقتين، بيد أن الفارق الوحيد هو أن الفلاحين العلويين بالمناطق الجبلية كانوا مستَغَلين من قِبل أبناء طائفتهم الدينية، بينما لم يكن هذا هو الوضع دائماً بالنسبة للاخرين.

ويمكن تقسيم العلويين عشائرياً إلى أربعة إتحادات: الخياطين والحدادين والمتاورة والكلبية[26] وهم موزعون على منطقة اللاذقية بأكملها والمناطق المحيطة بها. والكثير من القرى والأراضى التابعة لها موزع بين عائلات من عشائر مختلفة، وأحياناً يكون للاتحادات العشائرية أكثر من قائد (رئيس أو زعيم)، حيث تنقسم هذه الإتحادات إلى عشائر، لكل منها مُقَدَّم. ورغم أن زعامة العشيرة عادة ما كانت تُكتسب بالوراثة، إلا أنه كان بالإمكان الحصول عليها عن طريق مميزات شخصية أو نفوذ في مراكز القوى السورية على المستوى الوطني. وهكذا، استطاعت بعض العائلات العلوية الفقيرة مثل عائلة الرئيس حافظ الأسد إكتساب نفوذ كبير على مستوى العشيرة في مناطق نشأتهم، وذلك بسبب وضعهم القوى الذي إكتسبوه على المستوى الوطني في الجيش مثلاً أو في مراكز قوى أخرى.

ومعظم العشائر العلوية لها رؤساء دينيون (الشيوخ أو رجال الدين) يتمتعون بنفوذ ديني وإجتماعي كبير على رجال العشيرة، وإن كان أقل من نفوذ زعيم العشيرة. وفى بعض الحالات كان لهؤلاء نفوذ قوى يصل إلى حد إضعاف سلطة زعماء العشائر وحرمانهم من مؤيديهم، بل وأيضاً إستبدالهم. وكثيراً ما كان زعماء العشائر الدينيون والسياسيون ينتمون لعائلة واحدة.

---

[26] من بين هذه الإتحادات العشائرية العلوية الأربعة إنشقت مجموعتان دينيتان هامتان، وهما الحيدريون الذين يشكلون وحدة دينية، إلا أنهم احتفظوا بصلاتهم العشائرية الأصلية، والغساسنة الذين ظهروا بعد الحرب العالمية الأولى تحت قيادة سليمان المرشد الذي عين نفسه زعيماً دينياً وجذب وراءه أربعة آلاف من الأتباع. وبعد وفاة المرشد عاد معظم أتباعه وانضموا لعشائرهم الأصلية. ويذكر منير مشابك موسى طائفة العلويين المسماة بالكلازية

(Etude sociologique des 'Alaouites ou Nusairis, p. 237).

واستطاع زعماء العشائر أو الشيوخ ممارسة سلطات عظيمة على الفلاحين من أبناء ملتهم بسبب ما كانوا يمتلكونه من أراضٍ· فعندما كانت السلطة العشائرية مصحوبة بملكية الأراضى وكان الزعيم شيخاً في نفس الوقت، كان أبناء العشيرة من الفلاحين لا يعدون أن يكونوا خداماً· وفى ظل الإنتداب الفرنسي كانت مثل هذه العلاقة الدينية العشائرية الإقطاعية
قائمة بين العائلات العلوية القوية عباس وكنج ومرشد وبين أبناء دينهم الخاضعين لهم· وكانت سلطة هذه العائلات تمتد لتفوق حدود ما يمتلكونه من أراضٍ[27]·

لقد كانت جبال العلويين فيما مضى من أكثر المناطق السورية حرماناً وتأخراً، بل كانت متخلفة عن بقية مناطق الدولة في كثير من المجالات[28]· إن الظروف الإجتماعية والإقتصادية للفلاحين العلويين قد تحسنت بشكل ملحوظ منذ إستقلال سوريا، وبالأخص منذ أن تولي حزب البعث زمام الحكم في عام 1963 · ومنذ عام 1963 بدأت منطقة اللاذقية تتمتع بنمو وتطور متفاوتين[29]·

---

[27] قارن

Issam Y. Ashour, The Remnants of the Feudal System in Palestine, Syria, and Lebanon (Master's thesis, American University of Beirut, 1946), Chapter 4, 'The Metayer System and the Survival of Certain Feudal Features', pp. 54–57.

[28] رغم أن زراعة التبغ كانت مصدراً رئيسياً للدخل، إلا أن مزارعي التبغ من العلويين كانوا مسلوبي القوة ومعزولين· ويعود ذلك جزئياً لإنخفاض أرباحهم بسبب العمولات التي كان يتقاضاها الوكلاء· وفى الواقع، كان صغار مزارعي التبغ مضطرين لبيع محصولهم للسماسرة من السنيين القاطنين السواحل مقابل مبالغ ضئيلة· وهناك ظاهرة جديرة بالملاحظة تدل على شدة فقر العلويين، ألا وهي أن أفقر العائلات كانت تضطر للتعاقد على تشغيل بناتها كخادمات في منازل العائلات الثرية، ومعظمها من السنيين المدينيين الذين كانوا ينظرون للفلاحين العلويين بإزدراء·

[29] طبقاً لما ورد في

Alasdair Drysdale, 'The Regional Equalization of Health Care and Education in Syria since the Ba'thi Revolution', International Journal of Middle East Studies, Vol. 13 (1981), pp. 93–111,
فإن الكاتب يرى أن "تعهد نظام البعث بالحد من التفاوتات الإقليمية والحضرية الريفية ··· بات واضحاً من خلال الجهود المبذولة لتحسين المعيشة في الريف ··· وجدير بالذكر ان محافظتي اللاذقية ودرعا قد تمتعتا بنمو متفاوت، ربما بسبب المحسوبية الحكومية·"
قارن

وخلال العقد الماضي حدثت هجرة ملحوظة بين علويي الجبال بمنطقة اللاذقية٠ ونتيجة لإستقرارهم في مناطق جديدة تمكن العديد منهم من إجبار أقليات دينية أخرى كالإسماعيليين على التقهقر جغرافياً٠ وقد هاجر البعض الآخر للسهول المنخفضة والمدن٠ ففي محافظتي حماة وحمص على الأخص تزايد عدد القرى التي يقطنها العلويون[30]٠

الدروز

يقطن أكثر من 90٪ من الدروز السوريين محافظة السويداء الجنوبية، حيث تزيد نسبة تركيزهم الإقليمي عن نسبة العلويين في اللاذقية (87،6٪ و 62،1٪ على التوالي)، ويعمل معظم الدروز قاطني السويداء مثلهم مثل المسيحيين في القطاع الزراعي[31]، وهم موزعون على المنطقة بشكل متوازن نسبياً،

Alasdair Drysdale, 'The Syrian Political Elite, 1966-1976: A Spatial and Social Analysis', Middle Eastern Studies, Vol. 17, No. 1, January 1981, pp. 3−30.

من أجل دراسة تتناول التغيير الإجتماعي والإقتصادي في المناطق الريفية السورية منذ عام 1963 وتتناول محافظة اللاذقية كمثال، انظر

Raymond A. Hinnebusch, 'Local Politics in Syria: Organization and Mobilization in Four Village Cases', The Middle East Journal, Vol. 30, No. 1, Winter 1976, pp. 1−24.

Raymond A. Hinnebusch Jr., EliteMass Linkage: The Role of the Mass Organizations in the Syrian Political System (n.p., n.d.); Raymond A. Hinnebusch, Peasant and Bureaucracy in Ba'thist Syria: The Political Economy of Rural Development (San Fransisco, 1989).

[30] قارن

Talal Akili, Die Syrischen Küstengebiete. Eine Modelluntersuchung zur Regionalplanung in den Entwicklungsländern (Berlin, 1968), pp. 68−84;

Weulersse, Le Pays des Alaouites, pp. 341−2.

[31] هؤلاء المسيحيون الذين فروا من لبنان في نفس الوقت مع الدروز لهم نفس العادات والزى واللهجة٠ أما قاطنو جبل حوران قبل قدوم الدروز فلهم لهجتهم وعاداتهم التي تشبه تلك الخاصة بقاطني سهل حوران المنخفض٠ (عارف النكدي تعريف بمحافظة السويداء (دمشق، 1962)، ص 127)٠ ومن أجل التعرف على تاريخ الدروز ودينهم انظر

Philip K. Hitti, The Origins of the Druze People and Religion (New York, 1928);

حيث نجد أن معظم سكان المناطق الريفية وعاصمة المحافظة من الدروز٠ اما التفاوت الريفي المديني كالموجود في اللاذقية فهو غير موجود بجبل الدروز٠ وهناك نقطة إختلاف هامة أخرى هي أن الصفوة التقليدية في محافظة السويداء كلها من الدروز، بينما تتراوح في منطقة اللاذقية بين العلويين والسنيين (وأحياناً المسيحيين)٠ وبالتالي، فإن الشعور القوى بالهوية الإقليمية الموجود في كلتا المنطقتين لا بد وأن يكون مصحوباً بنقص نسبى في التكامل بمنطقة اللاذقية من جانب ووجود ترابط إجتماعي أقوى في السويداء من جانب آخر٠ لذلك، فنحن لا ندهش من وجود نسبة أكبر من التوترات الإقليمية الداخلية في اللاذقية[32]٠ لهذا نجد أنه في جبل الدروز لم يتم السيطرة على معظم السكان الدروز من قِبل أعضاء طوائف دينية أخرى، كما لم يصاحب الحكم الإقطاعي للعائلات الدرزية الشهيرة تناقضات طائفية: لقد إنحصرت التناقضات الإجتماعية الإقتصادية الطبقية أساساً داخل طائفة واحدة (أي الدرزية) فقط٠ ولم تحدث بين الدروز علاقات دينية عشائرية إقطاعية كتلك القائمة داخل المجتمع العلوي٠

وينحدر معظم دروز منطقة السويداء الحاليين من مها جري القرن السابع عشر وبالأخص القرن التاسع عشر من لبنان أو فلسطين أو منطقة حلب٠ وقد استقرت عائلات بأكملها أو أجزاء من عشائر في نواحٍ أو قرى معينة، حيث فرضوا بعد ذلك سيطرتهم عليها، نظراً لأنهم كانوا يشكلون الأغلبية العددية أو لكون بعض القرى كادت تتكون بالكامل من أعضاء عائلة واحدة ممتدة[33]٠

واستأثرت عائلة آل حمدان بزعامة المجتمع الدرزي في منطقة السويداء لمدة طويلة، ويُذكر أنها كانت تروع الفلاحين الدروز وتعاملهم كعبيد وتحرمهم من أي حق في ملكية الأراضي٠ و في عام 1868 فقدت عائلة آل حمدان زعامتها وتولت الزعامة عائلة الأطرش الدرزية الشهيرة والتي استمرت في قمع الفلاحين ولكنها جوبهت بثورة "العامية" ضد الإقطاع حوالي عام 1890 واجبرت على تقديم بعض

Sami Nasib Makarem, The Druze Faith (New York, 1974).
قارن الأنباء (بيروت)، 14 ديسمبر (كانون الأول) 1968، حيث أُعلن أن الدروز مسلمون طبقاً لفتوى من الأزهر٠

32

Van Dusen, 'Political Integration and Regionalism in Syria', p. 125.

33 سلامة عبيد، الثورة السورية الكبرى (1925– 1927) (دمشق، 1971)، ص 60–63٠ يقدم عبيد خريطة لجبل الدروز موضحة المناطق الواقعة تحت سيطرة بعض العائلات الدرزية العريقة٠

التنازلات، بما في ذلك الإعتراف بملكية الفلاحين المحليين لجزء من الأراضي الزراعية. ومنذ ذلك الحين أصبح العديد من الفلاحين الدروز من صغار أو متوسطي ملاك الأراضي. وقد اضطر هؤلاء الذين لا يملكون أرضاً للقيام بأعمال موسمية أو الهجرة للمدن، على أمل تحسين أوضاعهم الإقتصادية[34].

لقد مر مجتمع الدروز بمرحلة طويلة من وجود طبقة حاكمة من العائلات، وخضع هذا بالطبع لمعايير الأوضاع الإجتماعية والعائلية، وتم الإلتزام به بشكل خاص أثناء الأحداث والأنشطة الإجتماعية[35]. وقد استخدم الكثير من العائلات الشهيرة مثل الأطرش وأبو عسلي أوضاعهم التقليدية بين هذه الطبقات لدى الصراع على السلطة السياسية في الإنتخابات المحلية، إلا أن سلطة هذه العائلات العريقة قد انحسرت الآن بصورة كبيرة، خاصة منذ الستينات.

وبالنسبة للغرباء فإن مجتمع الدروز بمنطقة السويداء قد بدا في العادة متماسكاً، وخاصة عندما حاولت الحكومة المركزية العثمانية أو الحكومة السورية القائمة في دمشق أن تفرض سيطرتها على جبل الدروز.

الإسماعيليون

يقطن حوالي ثمانين في المائة من الإسماعيليين المقيمين في سوريا محافظة حماة الوسطى، حيث يتواجدون أساساً في منطقتي مصياف والسلمية وحيث يعمل معظمهم في القطاع الزراعي. وخلال القرنين التاسع والعاشر كانت السلمية مركزاً لطائفة الإسماعيليين الذين كانوا مهابين بشكل كبير. وفي القرن الحادي عشر فر معظم الإسماعيليين إلى جبال منطقة اللاذقية، حيث وجدوا الملجأ المأمون واستقروا أساساً في مدينتي مصياف وقدموس وما حولهما. وعلى مر الزمان اجبروا على النزوح تدريجياً من هذه

---

[34] شبلي العيسمي في عارف النكدي، التعريف بمحافظة السويداء، ص 20، 55–77، 115 . قارن هيثم العودات، إنتفاضة العامية الفلاحية في جبل العرب (دمشق، 1976).

[35] لوصف حي لمثل هذه الأحداث الإجتماعية انظر شبلي العيسمي، في عارف النكدي، التعريف بمحافظة السويداء، ص 94–96.

الضواحي الريفية لتلك المدن التي سيطروا عليها إجتماعياً وإقتصادياً[36]. وفى الأجزاء الريفية من منطقة اللاذقية أبدى العلويون عداءهم بصفة عامة تجاه الإسماعيليين الذين عاد معظمهم إلى مركزهم الديني السابق في السلمية منذ أن منحهم السلطان عبد الحميد الثاني جزءاً من أملاك الإمبراطورية هناك في عام 1845.

ومنذ إستقلال سوريا تطور الإسماعيليون في منطقة السلمية إقتصادياً وإجتماعياً بصورة أكبر بكثير من إخوانهم في الدين بجبال العلويين الذين بقوا فقراء ومتخلفين إلى حد ما. ونجد الكثير من الإسماعيليين الذين يشغلون مناصب حكومية على مر العقود في مجال التعليم والمهن الحرة، وأيضاً قبل تولى حزب البعث زمام السلطة في عام 1963[37] ونزح الكثير من الإسماعيليين إلى المدن، خصوصاً بعد 1963.

التداخل الطائفي والإقليمي والعشائري والإجتماعي الإقتصادي

إن فئات مثل الطائفية والإقليمية والعشائرية وصراع الطبقات كثيرٌ ما تستخدم عشوائياً في مناقشات الإتجاهات السياسية والأحداث والأنشطة في العالم العربي، طالما وجدها الكاتب مناسبة لمجادلاته أو حتى عندما تكون بالكاد موضع جدل أو مناقشة، وقلما يتم التدليل على الصلة الوثيقة بين هذه الفئات وبين الموضوع. فالإدعاء بأن الولاءات والإرتباطات الطائفية والإقليمية والعشائرية و/أو الإجتماعية الإقتصادية تلعب دوراً هاماً في الصراع على السلطة السياسية عندما يكون معروفاً أن الفصائل المتنافسة تنتمي لمجموعات مختلفة داخل تلك الفئات لأمر أيسر بكثير من إقامة الدليل على صحة مثل هذا الإدعاء. وهناك العديد من العوامل التي قد تلعب دوراً له نفس الأهمية مثل الإيديولوجية والصراع بين الأجيال

---

[36] Weulersse, Le pays des Alaouites, pp. 341, 342, 369, 370.

[37] محمود أمين، سلمية في خمسين قرناً، دمشق، 1983.

Wirth, Syrien, pp. 176, 363, 365, 395.

والطموح الشخصي والإنتهازية ... الخ[38].

والتأكيد على أو حتى مجرد ذكر الفئات الطائفية والإقليمية والعشائرية في التحليلات السياسية أو الإجتماعية في العالم العربي عادة ما يفسر من قِبل الكُتاب العرب القوميين على أنه محاولة لإبقاء الخلاف في هذا العالم وإعاقة عملية التحول من مجتمع إقطاعي و/أو رأسمالي تلعب فيه الطائفية والعشائرية والإقليمية دوراً هاماً إلى مجتمع عربي موحد يتمتع بنظام إشتراكي يركز على المصالح الإجتماعية الإقتصادية وعلى الهوية العربية. وعليه، فالطائفية والإقليمية والعشائرية تعتبر من الأمراض الإجتماعية الخطيرة التي يجب محاربتها بكافة الوسائل الممكنة ، حيث أنه من المؤكد أنها تقوى مسببات الخلاف داخل المجتمع وتمنع الصراع الطبقي[39].

وهذه الدراسة ترتكز على إفتراض تطور القومية العربية والولاءات الطبقية داخل المجتمع العربي، بحيث تحل جزئياً محل الولاءات والإلتزامات الإنصرافية التقليدية. بيد أن هذه الدراسة لا تفترض أن القومية العربية والوعي الطبقي كانا دائمي الوجود وجرى قمعهما من جراء تلك الولاءات. لقد كان من المعتاد قبل ظهور القومية العربية التفكير من منطلق الأمور الدينية والإقليمية والعشائرية وليس من منطلق الأمور الإجتماعية الإقتصادية أو القومية، خاصة فيما يتعلق بتحقيق الذات وإذا كان لنا أن نستخدم الفئات التاريخية وليس الإيديولوجية[40].

---

[38] انظر أيضاً الفصل العاشر " استنتاجات" . قارن

Raymond A. Hinnebusch, Authoritarian Power and State Formation in Ba'thist Syria: Army, Party, and Peasant (San Fransisco, 1990); Raymond A. Hinnebusch, 'Class and State in Ba'thist Syria' in: Richard T. Antoun and Donald Quatart (eds.), Syria: Society, Culture and Polity (Albany, New York, 1991), pp. 29–48; Michael H. Van Dusen, Intra– and Inter–Generational Conflict in the Syrian Army (PhD dissertation, Baltimore, Maryland, 1971); Ronald R. Macintyre, The Arab Ba'th Socialist Party: Ideology, Politics, Sociology and Organization (PhD thesis, Australian National University, 1969); Ronald R. Macintyre, 'Syrian Political Age Differentials 1958–1966', The Middle East Journal, Vol. 29, No. 2, Spring 1975, pp. 207–13.

[39] يتم عرض آراء البعثيين السوريين الذين تقلدوا زمام السلطة في 23 فبراير (شباط) 1966 حول المشكلات الطائفية والإقليمية والعشائرية كأمراض إجتماعية وسياسية في "المناضل"، العدد الثالث، أبريل (نيسان) 1966، ص 13 . انظر الملحق)أ) لنص المقالة المذكورة.

[40] قارن

وسهولة تداخل الفئات الطائفية والإقليمية والعشائرية يجعل من العسير تحديد أيها يلعب دوراً في موقف معين٠ فإذا ما حدث مثل هذا التداخل يكون هناك خطر من تفسير الولاءات العشائرية على أنها ولاءات إقليمية و/أو طائفية مثلاً، أو العكس٠ وقد يكون التداخل نتيجة تجمع إقليمي لمجتمعات دينية وعشائر معينة في مناطق أو محافظات محددة، خاصة وأن المجموعات العشائرية كثيراً ما تنتمي إلى نفس المجتمع الديني، كما أن العناصر العشائرية والطائفية ترتبط أحياناً ببعضها البعض إرتباطاً وثيقاً[41]٠ وفي هذا الصدد نجد مثالا واضحاً على ذلك في الأقليات الدينية المتماسكة والعشائر التي تنتمي إلى هذه الأقليات٠

وقد تتداخل الجماعات الطائفية والإقليمية والعشائرية بدورها جزئياً مع الفئات الإجتماعية الإقتصادية: فينتمي شخص ما إلى طبقة إجتماعية معينة أو مجتمع ديني أو عشيرة ويكون أحد سكان منطقة معينة في آن واحد٠ وهناك تباين كبير بين فئات مثل المجتمع الديني والطبقة الإجتماعية الإقتصادية٠ وعليه، فيمكن إعتبار الطبقة الإجتماعية الإقتصادية طبقة إجتماعية أفقية حيث ينطبق على أعضائها خواص إجتماعية إقتصادية معينة٠ ومن جانب آخر، فإن المجتمع الديني عادة ما يشمل طبقات إجتماعية إقتصادية مكونة بشكل ما تقسيماً عمودياً لبعض الطبقات الإجتماعية
الإقتصادية المختلفة٠ وهكذا، يمكن أن يكون للطبقة الإجتماعية الإقتصادية مستوى تماس مع العديد من المجتمعات الدينية٠

فمن ناحية نجد، أن نمو الوعي الطبقي قد يعيق بالتحديد تضامن الشخص مع مجتمعه الديني،

Kedourie, The Chatham House Version and Other Middle Eastern Studies, pp. 386–7.

[41] لمناقشة مفاهيم المجتمع الديني والعشيرة والطبقات الإجتماعية الإقتصادية وأوجه التشابه والخلاف بينها، انظر ناصيف نصار، نحو مجتمع جديد٠ مقدمات أساسية في نقد المجتمع الطائفي (بيروت، 1970)، ص 96– 103 ٠ وانظر أيضاً:
James A. Bill, 'Class Analysis and the Dialectics of Modernization in the Middle East'. International Journal of Middle East Studies, 3 (1972), pp. 417–434; Ilya F. Harik, 'The Ethnic Revolution and Political Integration in the Middle East', International Journal of Middle East Studies, 3 (1972), pp. 303–23; C.A.O. van Nieuwenhuijze (ed.), Commoners, Climbers and Notables. A Sampler of Studies on Social Ranking in the Middle East (Leiden, 1977), pp. 1–82.

حيث يشمل هذا المجتمع في العادة طبقات إجتماعية إقتصادية مختلفة. ومن ناحية أخرى، قد يكون للولاءات الطائفية تأثير مساعد في إنطلاق صراع طبقي، إذا ما تطابقت التناقضات الطائفية مع التباين الإجتماعي الإقتصادي، وفي مثل هذه الحالة يمكن توجيه الصراع الطبقي من خلال قنوات طائفية. وعليه، فإذا ما تداخلت الولاءات الطائفية والإقليمية والعشائرية والإجتماعية الإقتصادية فيمكنها أن تكمل وتعضد بعضها البعض. ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح في حالة الأقليات الدينية المتماسكة والتي تتطابق فئاتها إلى أبعد حد.

إن البعد الطائفي للانقسام الثنائي الريفي المدين في سوريا لجدير بالملاحظة. فبينما تتركز الأقليات الدينية المتماسكة أساساً في المناطق الريفية الفقيرة المحرومة، نجد أن المناطق الأكثر ثراء والمدن الأكبر يهيمن عليها سنيون. ولدى وصف جاك ويلرس للتناقض الريفي المدني في الأوبعينات كتب الآتي:

إن العداء بين سكان الريف وسكان المدن يصل إلى حد يصبح عنده بالإمكان التحدث عن شعبين مختلفين يتعايشان داخل إطار سياسي واحد دون أن يختلطا، والفلاح هو الذي يتكبد نتائج هذا العداء لأن البناء الإجتماعي الإقتصادي يقوم أساساً على صدارة المدن بلا منازع[42].

وإذا ما أخذنا في الإعتبار التناقضات الريفية المدينية في آن واحد مع عقدة الأقليات التي تطرقنا إليها فيما قبل يصبح من السهل علينا أن نتفهم أن التناقض بين السنيين قاطني المدن الكبرى وأعضاء الأقليات الدينية قاطني المناطق الريفية لا بد وأنه كان أضخم بكثير من التناقض بين أبناء الدين الواحد قاطني المدن والريف. وبالتالي، يصبح من المستحيل الفصل بين العوامل الطائفية والجغرافية أثناء تحليل أي علاقة بين السنيين المدينيين والأقليات الدينية الريفية. وكذلك فإنه من الصعب جداً إن لم يكن مستحيلا عزل الفئات الطائفية أو الإقليمية أو العشائرية أو الإجتماعية الإقتصادية عندما تتداخل بشكل كبير وتبدو كوحدة واحدة غير قابلة للفصل. تلك هي حالة أعضاء الأقليات الدينية المتماسكة كالعلويين والدروز والإسماعيليين والذين كما سنوضح في الفصول القادمة قد لعبوا دوراً بارزاً وجوهرياً في

42 Weulersse, Paysans de Syrie et du Proche Orient, p. 85.

الفصل الثاني

ظهور الأقليات في القوات المسلحة السورية وحزب البعث

التمثيل القوي لأعضاء الأقليات في حزب البعث

لقد لاحظنا في مقدمة هذه الدراسة أن كثيراً من الأحزاب السياسية السورية قد عكست مصالح إقليمية، وأن مؤيدي تلك الأحزاب كثيراً ما تركزوا في مناطق معينة٠ بالإضافة إلى ذلك، فإن الجماعات السياسية بغض النظر عن آرائها السياسية غالباً ما تكونت من خلال قنوات إجتماعية تقليدية٠ والعامل الأخير بالأخص كان مسئولا إلى حد كبير عن إستمرار وجود الولاءات الطائفية والإقليمية والعشائرية في الحياة السياسية السورية٠ وقد إنعكس ذلك بوضوح في حزب البعث الذي تقلد زمام السلطة في سوريا عام 1963[43]٠

وبالرغم من أهداف حزب البعث الإيديولوجية والتي تضمنت إستبدال الولاءات الطائفية والإقليمية والعشائرية بالمبادىء القومية والمشاعر الإجتماعية الإقتصادية الجماعية، إلا أنه تم تأسيسه لحد كبير من خلال قنوات إجتماعية تقليدية[44]٠ لذلك، فالوسائل المتبعة في تطويره خلال مراحله الأولى ليصبح حركة

---

[43] يعتبر الحزب الشيوعي السوري مثالا آخر لحزب له إتجاهات إيديولوجية، تم بناؤه من خلال قنوات إجتماعية تقليدية٠ ونظراً للتمثيل القوى للأكراد فقد فشل في الحصول على تأييد واسع بين المجموعات الأخرى من سكان سوريا٠ ومنذ وقت قريب في أوائل السبعينات تذمر أحد قادة الحزب الشيوعي السوري من كون تنظيم حزبه قد فشل في الحصول على تأييد واسع بين أغلبية العرب بسبب "الشوفينية القومية المحدودة" لأعضاء الحزب الأكراد٠ انظر قضايا الخلاف في الحزب الشيوعي السوري (بيروت، 1972)، ص 415 • قارن محمد طلب هلال، دراسة عن محافظة الجزيرة من النواحي القومية والإجتماعية والسياسية، ص 91–94 •

[44] قارن المادة (15) من دستور حزب البعث العربي الإشتراكي: "الرابطة القومية هي الرابطة الوحيدة القائمة في الدولة

سياسية كان لها تأثير حاسم على البنية الإجتماعية لأعضائه في الفترات اللاحقة٠

لقد تم تأسيس حزب البعث بدمشق عام 1940 على يد ميشيل عفلق وهو مسيحي من الروم الأرثوذكس وصلاح الدين البيطار وهو مسلم سني، وكلاهما ينتمي إلى الطبقة الدمشقية البرجوازية الصغيرة، وكانا مدرسين بمدرسة التجهيز الثانوية التي جندا منها معظم أعضاء الحزب الأوائل٠ ورغم أن عفلق والبيطار من دمشق، إلا أن معظم أعضاء الحزب الأوائل كانوا من المهاجرين من الريف الذين قدموا إلى العاصمة السورية لاستكمال دراستهم٠

وقد امتد تنظيم حزب البعث تلقائياً من دمشق إلى مناطق سورية أخرى، دون أن يكون هناك برنامج عمل واضح٠ واعتمد نمو التنظيم بدرجة كبيرة على المبادرات الشخصية للاعضاء الأوائل في مسقط رأسهم، مما أدى إلى تطور الحزب في بعض المناطق كجبل الدروز، حيث تمكن الحزب من حشد وتجنيد العديد من المؤيدين بشكل يفوق ما حدث في مناطق أخرى[45]٠

أما في العاصمة السورية دمشق فقد كان عدد السكان الأصليين الذين إنضموا للحزب قليلاً جداً٠

العربية التي تكفل الانسجام بين المواطنين وانصهارهم في بوتقة واحدة، وتكافح سائر العصبيات المذهبية والطائفية والقبلية والعرقية والإقليمية٠" (بشير الداعوق، نضال البعث، المجلد الأول (الطبعة الثانية، بيروت، 1970)، ص 176٠)

[45] شبلي العيسمي، حزب البعث العربي الاشتراكي، 1 ، مرحلة الأربعينات التأسيسية 1940- 1949 (بيروت، 1975)، ص 86- 99 ؛ سامي الجندي، البعث (بيروت، 1969)، ص 38؛ جلال السيد، حقيقة الأمة العربية وعوامل حفظها وتمزيقها (بيروت، 1973)، ص 394-405؛ منيف الرزاز، التجربة المرة (بيروت، 1967)، ص 158؛ مطاع الصفدي، حزب البعث، مأساة المولد ومأساة النهاية (بيروت، 1964)، ص 68-71 ؛

R.R.Macintyre, The Arab Ba'th Socialist Party, pp. 93-100; John F. Devlin, The Ba'th Party, A History from its Origins to 1966 (Stanford, California, 1976), p. 39.

مطاع الصفدي، حزب البعث، ص 68، يرى أن التمثيل القوى للدروز في حزب البعث يرجع جزئياً للعلاقة الخاصة بين عفلق وبعض عائلات جبل الدروز:" كان لعفلق، بحكم انتمائه إلى عائلة مسيحية تسكن حي (الميدان) في دمشق، وتتعامل كأكثر عائلات (الميدان) مع الجنوب، أي حوران وجبل العرب (الدروز)، كان لعفلق صداقات عائلية مع بعض الأسر الدرزية٠ وعن هذا الطريق انتقل الحزب بسرعة إلى مثقفي الدروز من طلاب الثانويات في دمشق والسويداء مركز محافظة جبل العرب٠" قارن

Van Dusen, 'Political Integration and Regionalism in Syria', p. 129.

وفى الواقع، لم يبذل الأعضاء المؤسسون للحزب أية جهود جدية لكسب تأييد سكان العاصمة دمشق، حيث كانوا قانعين بالنجاح الأسهل الذي حققوه في تجنيد طلبة المناطق الريفية[46]٠

وكتب سامي الجندي، أحد أعضاء الحزب الأوائل، يقول:

كان كل المنتسبين للحزب في دمشق من العناصر الشابة الطلابية القروية التي كانت تؤم الجامعات والثانويات بين 1940–1955، حتى إذا انتهت عادت إلى مسقط رأسها فتوالى نشاطها٠ ولقد كانت الشروط الإجتماعية في الريف مؤاتية لنشوء الحزب وامتداده فتضخم فيه وظل هزيلاً في المدن، وخاصة دمشق٠ ومع الزمن أصبح جسماً كبيراً برأسٍ صغير[47]٠

إن مباديء الحزب الإشتراكية قد سهلت رسوخه بالقرى والمناطق الريفية الفقيرة المحرومة، بعكس الحال في المدن الكبرى التي كان يسيطر على مسرحها السياسي التجار والبرجوازيون المحليون٠ ونظراً لأن الأقليات الدينية المتحدثة بالعربية تتركز أساساً في المناطق الريفية ومعظم سكان المدن الكبرى من السنيين، فإنه من المنطقي أن يكون أعضاء الأقليات هم المسيطرون داخل حزب البعث٠ وبينما لم يساهم العنصر الإشتراكي للايديولوجية البعثية إلا بصورة غير مباشرة، أي بسبب التداخل بين العوامل الطائفية والجغرافية ليصل الأمر إلى تمثيل قوى نسبياً لأعضاء الأقليات داخل حزب البعث، إلا أنه كان هناك سبب مباشر آخر وهو الخاصية غير الدينية (العلمانية) للقومية العربية بحزب البعث٠

وفى الماضي كانت الحركة القومية العربية دائمة الإمتزاج مع عقيدة إسلام أهل السنة٠ والعرب السنيون الذين كانوا يقومون بدور بارز في هذه الحركة أسندوا دوراً جوهرياً في عروبتهم للاسلام (السني)، حتى أصبح للمسلمين غير السنيين، وبالأحرى المسيحيين، منزلة ثانوية: "أتباع جبناء" لا بد لـــ "رؤسائهم" (العرب السنيين) أن يتحملوهم[48]٠ وفى الواقع نجد أن كثيراً من السنيين المنتمين للحركة

---

[46] سامي الجندي، البعث، ص 39– 40 ٠

[47] المصدر السابق، ص 38٠

[48]

Sylvia Haim, Arab Nationalism, an Anthology (Berkeley and Los Angeles, 1964), p. 57; A.R. Kelidar, 'Religion and State in Syria', Asian Affairs, (new series) vol. 5, February 1974, p. 22.

القومية العربية كانوا يميلون لإعتبار أعضاء الحركة من الأقليات الدينية المتحدثين بالعربية "عرباً منقوصين" لإعتبارهم مسلمين غير سنيين "مبتدعين" أو غير مسلمين على الإطلاق٠ ومقابل هذا نجد أن الأقليات الدينية كانت تميل لإعتبار القومية العربية مجرد قناع لهيمنة السنيين المفرطة، تماماً كما كان الحال أثناء الإمبراطورية العثمانية مع فارق واحد ألا وهو هيمنة السنيين العرب بدلا من السنيين الأتراك[49]٠

لقد كان لإيديولوجية حزب البعث أسس مختلفة تماماً، فقد أراد الحزب مجتمعاً عربياً علمانياً موحداً ذا نظام إشتراكي، أي مجتمعاً يتساوى فيه العرب أجمعين، بغض النظر عن دينهم٠ ولم يكن هذا يعنى أن الإسلام أمر ثانوي بالنسبة لعروبة حزب البعث٠ فقد كان البعث يرى أن الإسلام يشكل عاملاً ضرورياً لا يمكن عزله عن التراث القومي العربي٠ وبجانب إختلافه مع وجهات نظر السنيين تجاه العروبة، فإن حزب البعث لا يعتبر الإسلام ديناً قومياً عربياً فحسب، بل أيضاً تراثاً عربياً ثقافياً قومياً يتوارثه كل العرب بالتساوي، سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين٠ ويرى ميشيل عفلق وهو واضع إيديولوجية حزب البعث أن العرب المسيحيين يجب ألا يشعروا بوجود ما يمنع من كونهم عرباً قوميين بأية طريقة :

> فعلاقة الإسلام بالعروبة ليست إذاً كعلاقة أي دين بأية قومية٠ وسوف يعرف المسيحيون العرب، عندما تستيقظ فيهم قوميتهم يقظتها التامة ويسترجعون طبعهم الأصيل، أن الإسلام لهم ثقافة قومية يجب أن يتشبعوا بها حتى يفهموها ويحبوها فيحرصوا على الإسلام حرصهم على أثمن شيء في عروبتهم[50]٠

---

49 Hourani, Syria and Lebanon, A Political Essay (third impression, London, 1954), p. 128.

50 ميشيل عفلق، في سبيل البعث (الطبعة الثالثة، بيروت، 1963)، ص 53 ، 54 ، 58 ٠ (وجدير بالملاحظة أن ميشيل عفلق، وهو مسيحي من طائفة الروم الأرثوذكس ومؤسس حزب البعث والأمين العام الأول له، ظل طويلاً رمزاً للعلمانية والمساواة بين الطوائف الدينية
المختلفة داخل الحركة القومية العربية البعثية٠ وقد اعتنق الإسلام على ما يبدو بطريقة غير علنية في أواخر أيامه٠ فقد دُفن كمسلم في بغداد، بعد أن تُوُفِى في المنفى بباريس في 23 يونيو (حزيران) 1989 عن عمر يناهز التاسعة والسبعين)٠ ولم تُطرح قضية اعتناق عفلق للاسلام للمناقشة في ذلك الوقت٠ وليس واضحاً ما إذا كانت هذه الخطوة الاستثنائية من جانبه،أي، اعتناقه الإسلام في سن متقدمة، ترمز لبعض البعثيين إلى فشل العروبة العلمانية، أو أنهم اعتبروها خطوة

ولذا كان طبيعياً أن تستميل إيديولوجية حزب البعث أبناء الأقليات الدينية المتحدثين بالعربية بشدة٠ فهؤلاء أصبحوا يأملون في أن يساعدهم حزب البعث في تحرير أنفسهم من وضعهم كأقليات ومن الإطار الإجتماعي الضيق الذي تفرضه عليهم الروابط الطائفية والإقليمية والعشائرية[51]٠

وأخيراً، فإن أعضاء الأقليات لا بد وقد جذبت إنتباههم فكرة إمكانية التخلص من الهيمنة السنية المدنية التقليدية على الحياة السياسية السورية، وذلك عن طريق تكوين نظام سياسي إشتراكي علماني كما يتخيله حزب البعث، خال من التعصب السياسي والإجتماعي الإقتصادي ضد من هم من غير السنيين، وبالأخص ضد أعضاء المجتمعات الإسلامية غير السنية[52]٠

فردية٠
ومن بين العرب المسيحيين، إتخذ الروم الأرثوذكس بوجه عام موقفاً إيجابياً تجاه القومية العربية٠ وبالمقارنة بمجتمعات مسيحية عربية أخرى نجد أن "هويتهم العربية" تأثرت بالكاد من تدخل القوى الأوروبية في الشئون الداخلية للإمبراطورية العثمانية٠ وفى عام 1917 مع ثورة أكتوبر الروسية انقطعت الروابط التقليدية بين المسيحيين من الروم الأرثوذكس وروسيا٠ وبعد ذلك وعقب ضياع "الحامي" الأجنبي فضل الكثير منهم الإنضمام للحركة القومية العربية٠ قارن
Hourani, Syria and Lebanon, p. 144; Hourani, Minorities in the Arab World, p. 36; Biegel, Minderheden in het Midden-Oosten, p. 112.

[51] قارن محمد عمران، تجربتي في الثورة (بيروت، 1970)، ص 8؛
Biegel, Minderheden in het Midden-Oosten, pp. 97-104.
هناك أحزاب سياسية سورية أخرى إجتذبت الكثير من أعضاء الأقليات إلى حد ما، بسبب إيديولوجياتها العلمانية كالحزب الشيوعي السوري والحزب السوري القومي الإجتماعي٠

[52] مطاع الصفدي، حزب البعث، ص 69، يسوق حجة أن البعث كان في الأصل حركة طائفية ترمى إلى إستئصال النظام التقليدى الواقع تحت هيمنة السنيين٠ فيكتب قائلاً إن الأقليات الدينية وعلى رأسها العلويون ويليهم الدروز والإسماعيليون والمسيحيون كانوا "الأكثر طموحاً إلى غزو هرم المجتمع القديم التقليدي الذي تسيطر عليه طبقات المدن الإسلامية السنية في الدين"٠ ونقداً لوجهة نظر الصفدي بأن البعث كان يسوده أقليات دينية منذ البداية، انظر
Macintyre, The Arab Ba'th Socialist Party, pp. 93−100.

الحواجز الإجتماعية التقليدية أمام التوسع الطبيعي لحزب البعث

إن حقيقة أن الكثير من البعثيين الأوائل كانوا من الإقليات وأبناء الريف قد شكلت فيما بعد عائقاً إجتماعياً أمام إنضمام أبناء المدن والسنيين إلى البعث، وذلك بسبب التناقضات التقليدية بين المجتمعات الريفية والمدينية وبين السنيين والأقليات الدينية. إن مثل هذه الحواجز الإجتماعية التقليدية قد عرقلت التوسع الطبيعي لمنظمة الحزب في أرجاء الوطن، وظهر ذلك جلياً في فترة الستينات عندما تقلد حزب البعث زمام السلطة. ويمكن توضيح ذلك من خلال فرعى الحزب في دمشق وحماة وتنظيم الفلاحين التابع للحزب.

فرع دمشق

لقد كان عدد أعضاء الحزب من سكان دمشق الأصليين قليلاً نسبياً، وتوجد وثيقة حزبية داخلية يرجع تاريخها إلى عام 1965 ذكر فيها ان "دمشق نفسها أغلقت أبوابها ذات يوم في وجه الحزب والثورة" (ثورة الثامن من مارس (آذار) عام 1963)[53].

إن التناقضات المدينية الريفية والتناقضات بين الدمشقيين وغير الدمشقيين ظهرت بوضوح بين أعضاء فرع دمشق وأدت في عام 1964 إلى توقف نشاطات الحزب بالفعل. وبعبارة أخرى، فإن كون معظم قيادة فرع دمشق من غير الدمشقيين قد تسبب في ركود نشاطات الحزب في العاصمة السورية. وفى أوائل عام 1965، وكمحاولة لتنشيط الحزب ثانية، قررت القيادة القطرية السورية لحزب البعث إستبدال ثلاثة أعضاء "ريفيين" من قيادة فرع دمشق بآخرين دمشقيين[54]. وعلاوة على ذلك، تقرر فصل

---

[53] التقرير التنظيمي 1965، ص 28 . طبقاً لحنا بطاطو فإنه "لم يكن هناك سوى 12 دمشقياً من بين حوالي 600 عضوٍ بالحرس القومي البعثي بالعاصمة السورية عام 1964". انظر

Hanna Batatu, 'Some Observations on the Social Roots of Syria's Ruling, Military Group and the Causes for its Dominance', The Middle East Journal, Vol. 35, Summer 1981, p. 339.

[54] المصدر السابق، ص 28 .

الريفيين والمدينيين القاطنين دمشق تنظيمياً، وذلك عن طريق فصل شعبة الغوطتين (واحتان مجاورتان بدمشق) عن فرع الحزب بالعاصمة٠ وهكذا، أمكن تنظيم نشاط المدينيين والريفيين بشكل أيسر٠ وفى نفس الوقت، أمكن الحد من التناقضات المدينية الريفية التي كانت قد ظهرت داخل جهاز الحزب[55]٠

فرع حماة

لم يحظ حزب البعث في مدينة حماة وغالبيتها من السنيين بالكثير من التأييد٠ فبالمثل، شكلت التناقضات المدينية الريفية عاملاً هاماً تسبب في ركود نشاط الحزب في عام 1964 ٠

بيد أنه كان هناك إختلاف جوهري عن الوضع في محافظة دمشق ألا وهو أن التناقضات المدينية الريفية في مدينة حماة كانت مصحوبة ومحجوبة بالاختلافات الطائفية٠ ويرجع ذلك إلى أن المناطق الريفية المحيطة بحماة كانت آهلة بالسكان من الأقليات الدينية بمن فيهم الإسماعيليون والعلويون والمسيحيون الروم الأرثوذكس الذين كانوا يشكلون أعداداً لا يُستهان بها٠

وفى أبريل (نيسان) 1964 حدث في حماة عصيان ذو مسحة طائفية ضد حزب البعث، لعب فيه الأخوان المسلمون المحليون دوراً هاماً٠ وقد أدى القمع الدموي لهذا العصيان إلى زيادة إتساع فجوة الخلاف بين غالبية سكان المدينة وهم سنيون وغالبية قيادات نظام حزب البعث وهم من الأقليات[56]٠

---

[55] في وقت سابق في عام 1963 تكون فرع حزبي منفصل عُرف بفرع الأطراف للمناطق المحيطة الأخرى وضواحي دمشق٠ انظر التقرير التنظيمي 1965، ص 29 ٠ انظر أيضاً

A. BenTsur, 'Composition of the Membership of the Ba'th Party in the Kuneitra Region", Hamizrah Hedadash, Vol. XVIII (1968), pp. 269−73.

[56] يُعزى القمع الوحشي للعصيان المسلح في حماة لعملية ثأر طائفية قام بها العقيد الدرزي البعثي الشهير حمد عُبيد٠ وفى فبراير (شباط) 1952 تم قمع عصيان مسلح في جبل الدروز دموياً بواسطة ضباط حمويين سنيين، ساندوا فيما بعد نظام أديب الشيشكلي، وهو أيضاً سني من حماة٠ (مطاع الصفدي، حزب البعث، ص 341؛ الحياة، 24 أبريل (نيسان) 1964؛ انظر أيضاً الزمان، 21 أبريل (نيسان) 1964؛ وفؤاد الأطرش، الدروز، مؤامرات وتاريخ وحقائق (بيروت، 1975)، ص 374 ٠)

وكأثر جانبي لذلك تخلخلت نشاطات حزب البعث في مدينة حماة بصورة خطيرة، حتى توقفت تماماً٠ وقد اقترح بعض قادة الحزب المحليين فيما بعد إنشاء فرع منفصل في مدينة حماة لا يضم المناطق الريفية المحيطة بأقلياتها الدينية٠ فقد بدا هذا حلاً لوضع حد للطريق المسدود الذي وصلت إليه نشاطات الحزب، إلا أن هذا الإقتراح رُفض من قبل القيادة القطرية السورية بحجة أن "ذلك لن يفعل سوى أن يزيد من روح الإقليمية والطائفية الموجودة داخل فرع الحزب"[57]٠

ومما هو جدير بالملاحظة أن القيادة القطرية في محاولتها فيما يبدو لمقاومة الإتجاهات الطائفية لم تسمح بإنشاء فرع مستقل للحزب بمدينة حماة في حين أنها وافقت فيما سبق على مثل هذا الحل لدى معالجتها لخلافات فرع دمشق٠ ففي الحالة الأخيرة كان الوضع أقل تعقيداً بصدد الطائفية، لأن معظم سكان مدينة دمشق وقاطني المناطق الريفية المجاورة كانوا سنيين٠

تنظيم الفلاحين

واجه تنظيم الفلاحين بحزب البعث خلال الستينات صعوبات تنظيمية شابهت في كثير من النواحي تلك التي حدثت بفرعي دمشق وحماة٠ هذا، وقد عرقل نشاطاته ونموه حواجز إجتماعية تقليدية تسللت لجهاز الحزب نتيجة سياسات التجنيد الخاطئة، وقد تلخص الوضع في تقرير تنظيمي نُشر من قبل مكتب الفلاحين للحزب عام 1965 كما يلي:

أيها الرفاق،
ان أسلوبا خاطئا اتبع في كثير من الاحيان أثناء عملنا في الريف كان يقوم على :
1- الاقتصار في التنظيم الحزبي على عائلة واحدة، او طائفة واحدة، او على قبول الوافدين الاول الينا، مما ادى الى ان تقف الاطراف الاخرى في القرية لا ضد الحزب، بل ضد المنظمين في القرية ٠٠ وتدعى انها هي التي تؤيد الحزب وتقف الى جانبه٠ ناهيك عن العناصر الضعيفة التي نظمت ٠٠
2- تركيز المسؤوليات كلها في يد احد المنظمين في الحزب، كان يعنى مختارا ويقترح للاتحاد او الرابطة، وللغرفة الزراعية ٠٠٠ الخ وكان ليس في القرية غيره من الفلاحين المخلصين الشرفاء، وهذا ادى بالنتيجة الى :

---

[57] التقرير التنظيمي 1965، ص 31 ٠

أ – خلق وجاهات جديدة بين الفلاحين

ب– وضع حاجز بين الحزب وبقية الفلاحين في القرية

3– عدم الانتقاء السليم والصحيح لمن يجب ان تنظمهم من الفلاحين، وسبب ذلك غياب الاسلوب الواعي الهادف، عن ذهن الرفاق الحزبيين الذين يعملون في الريف كأن ننظم مختار القرية، او المالكين المتوسطين، او المنفذين في العائلات، وهؤلاء الوجهاء سابقاً، يعودون الى وجاهاتهم من جديد ·· ولكن تحت ستار التنظيم الحزبي وينظمون انصارهم من الفلاحين الذين لا يشعرون ابدا بأي تغير جدي ملموس في عهد الحزب[58]·

ولذا، فعلى سبيل المثال، نجد أن تجنيد وانضمام أعضاء جدد لتنظيم الفلاحين من الفلاحين الإسماعيليين بمنطقة معينة في المرحلة الأولى قد حرم فلاحين سنيين من الإنضمام للتنظيم في مرحلة لاحقة·

الشقاق الحزبي الإنصرافي داخل جهاز حزب البعث المدني

عندما استولت مجموعة من الضباط البعثيين وآخرين على مقاليد الحكم في 8 مارس (آذار) 1963 في إنقلاب عسكري، كان عدد أعضاء حزب البعث المدنيين يقل كثيراً عن ما يكفى (حوالي 400) لتحمل مسئولية الحكومة الكبيرة التي نجح القادة العسكريون البعثيون في المطالبة بها نيابة عنهم[59]· لذا،

---

[58] المناضل، رقم 2، ديسمبر (كانون الأول) 1965، ص 10 ·

[59] قارن

Paul Balta, 'La Syrie Baasiste, An VIII, II L'armée, source du pouvoir', Le Monde, 24 March 1971.

قبل الوحدة بين مصر وسوريا في 1958 كان للبعث تنظيم حزبي كبير في سوريا· بيد أن هذا تم حله عام 1958 بناء على طلب الرئيس المصري جمال عبد الناصر الذي جعل حل الأحزاب السياسية السورية شرطاً مسبقاً للوحدة· ولم تقرر القيادة القطرية السورية لحزب البعث إعادة بناء الجهاز الحزبي في سوريا إلا في مايو (نوار) 1962، أي بعد أكثر من نصف عام من انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة· ولم ينضم الكثير من البعثيين القدامى لتنظيم الحزب السوري الذي أعيد تشكيله، بل انضموا لحركات سياسية أخرى كالناصرية أو الأحزاب السياسية التي تم تشكيلها مؤخراً كالوحدويين الإشتراكيين· وهناك بعض البعثيين السوريين الذين ظلوا في تنظيم سرى بعد حل حزبهم رسمياً في فبراير (شباط) 1958، خاصة في منطقة اللاذقية ودير الزور وحوران· وبعد انقلاب مارس (آذار)1963 لعب هؤلاء الأعضاء الحزبيون الذين يشار إليهم في بعض نشرات الحزب بالقطريين دوراً بارزاً في الجهاز الحزبي المدني السوري· ويرجع الفضل في ذلك

قرر المكتب التنظيمي لقطاع الحزب المدني السوري المشكل حديثاً زيادة أعضاء الحزب المدنيين بدرجة كبيرة وأصدر قراراً في هذا الشأن بترقية "أنصار" الحزب فوراً لمرتبة "عضو عامل"، مع حقه في الإشتراك في انتخابات الحزب وترشيح أشخاص للعضوية[60]. وتوضح وثيقة حزبية يرجع تاريخها لعام 1965 أن أي عضو جديد كان عليه أن ينتظر فترة أطول قبل أن يصبح عضواً عاملاً: ثمانية عشر شهراً كـــ "نصير" ومدة مماثلة كـــ "عضو متدرب"[61].

وقد استفاد بعض قادة الحزب من إجراءات القبول المتساهلة هذه وضموا أقرباء وأصدقاء ومعارف لجهاز الحزب كأعضاء عاملين، دون الحاجة لتوافر معايير معينة مشددة مثل مستوى معين من التعليم أو التعرف على المباديء الإيديولوجية للحزب والالتزام بها. علاوة على ذلك، لم يكن هناك في الكثير من الحالات وثائق رسمية حزبية للتحقق من عدد وهوية أعضاء الحزب السابقين ورتبهم في الحزب وطريقة قبولهم. لذلك لم يكن الأمر عسيراً على هؤلاء القادة وأنصارهم من تحويل تكوين بعض

لروابطهم القوية مع قادة التنظيم العسكري لحزب البعث الذي تقلد السلطة الحقيقية في سوريا. لمزيد من التفاصيل انظر:

Nikolaos van Dam, De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme bij de Strijd om de Politieke Macht in Syrië (1961-1976) (Doctor’s dissertation, University of Amsterdam, 1977), pp. 84-89.

قارن مطاع الصفدي، حزب البعث، ص 291، 294، 327، 328؛ المناضل، ملحق، رقم 5، يونيو (حزيران) 1966، ص 4؛

Nikolaos van Dam, 'The Struggle for Power in Syria and the Ba'th Party (1958-1966)',Orient, 1973/1, March 1973, pp. 11, 12.

[60] بشير الداعوق، نضال حزب البعث العربي الإشتراكي عبر مؤتمراته القومية، المؤتمر القومي الثامن (نيسان 1965) (بيروت، 1972)، ص 221، 224، 232 . وكان هذا القانون معروفاً عند القواعد الحزبية بأنه "قانون الزحف". قارن التقرير التنظيمي 1965، ص

45 . في العام اللاحق لإنقلاب 8 مارس (آذار) 1963 تضاعف عدد أعضاء حزب البعث خمس مرات (منيف الرزاز، التجربة المُرَّة، ص 110).

61

Itamar Rabinovich, Syria under the Ba'th 1963−66; The Army−Party Symbiosis (Jerusalem, 1972), p. 230.

فروع الحزب جذرياً لمصلحتهم الشخصية[62]٠

ونتيجة لذلك تكون عدد من الكتل الحزبية ارتبط أعضاؤها ببعضهم البعض عن طريق خلفية إقليمية أو عشائرية أو طائفية مشتركة أكثر من كونها مباديء عقائدية٠

وقد كان لهذا آثار خطيرة فيما بعد على الصراع على السلطة في تنظيمات حزب البعث المدنية والعسكرية، حيث أن هذا قد أضعف الإنضباط الحزبي، مع الأخذ في الإعتبار لجميع العواقب السلبية لمثل هذا الأمر٠ وقد أوضح التقرير التنظيمي لعام 1965 الشكاوى التالية٠

ان ضعف العلاقات الموضوعية في الحزب سواء بين الأعضاء أو بين المنظمات هو اكثر الظاهرات السلبية خطورة على تماسك الحزب التنظيمي وقدرته على التلاحم والحركة ونموه نمواً عضوياً متجانساً٠ ويمثل فساد هذه العلاقات ضمور الروح الرفاقية بين الأعضاء وقيام العلاقات الشخصية بدل العلاقات الحزبية وتقسيم الولاء بين المنظمة والتكتلات الموجودة في الحزب وتهدد الحزب نتيجة ذلك الخطر تسرب امراض الواقع البرجوازي الاقطاعي العشائري الطائفي الى قلب الحزب٠ ان ضعف العلاقات الموضوعية داخل الحزب ادى الى ضعف الانضباط الحزبى[63]٠

كما انتقد التقرير التنظيمي وجود الكتل المتنافسة داخل الحزب، والتي كانت في الكثير من الأحيان لا تقوم حتى على إختلافات إيديولوجية:

إن ما اصاب ويصيب الحزب حتى الان، ايها الرفاق، ليس الانقسام الى اجنحة يمينية يسارية ثورية انتهازية بل هي تجمعات ليس من خط سياسي اساسي او مضمون طبقي يستطيع ان يحدد ملامح كل منها بصورة قاطعة.[64]

---

[62] التقرير التنظيمي 1965، ص 34 ٠

[63] المصدر السابق، ص 17 ٠

[64] المصدر السابق، ص 11 ٠

انتخابات الحزب المحلية

لقد بدا الشقاق الحزبي الإنفصاي أيضاً بوضوح خلال إنتخابات الحزب المحلية. وقد أمكن رصد أنواع شتى من الشقاق الحزبي في معظم فروع الحزب خلال الإنتخابات التي تمت في عام 1965 للمؤتمر القطري السوري الثاني لحزب البعث. ونتيجة لذلك، لم يكن لأعضاء الحزب حرية إختيار قياداتهم. وفى بعض الأحيان كان هناك حائل دون حصول الأعضاء الأكفاء على مناصب قيادية. ويذكر التقرير التنظيمي لعام 1965 الأنواع التالية من الشقاق الحزبي: التكتل التنظيمي (أي المدينة ضد الريف؛ أبناء المنطقة ضد الغرباء؛ سكان حي ضد سكان حي آخر؛ التكتل الطائفي والعشائري؛ تكوين الكتل الشخصية المتعاطفة مع المنشقين[65] والذي وُصف بالتكتل الإنتهازي[66].

وفى بعض المناطق تدخل أعضاء من المؤسسات التي يسيطر عليها حزب البعث في الإنتخابات في محاولة لفرض قوائم أسماء إنتخابية على فروع الحزب. وقد تدخل على وجه الخصوص أعضاء الحرس القومي في بعض الأحيان ووفروا الحماية لأعضاء معينين من كتل حزبية، ووصل الحد لقيامهم بالدعاية لهم[67]. وقد تدخل أيضاً أشخاص غير منتمين للحزب في الإنتخابات المحلية، وفى إحدى الحالات توصل شيخ عشيرة كان يساند قائمة معينة إلى تفاهم مع المرشحين أنفسهم وقام بتوصيل الناخبين بسيارته إلى المكتب الإنتخابي وتابع الإجراءات الإنتخابية عن قرب ليتسنى له التأثير على النتائج.

وأدت المخالفات الواضحة في فرعين لأن تدعو القيادة القطرية السورية لإجراء إنتخابات جديدة، كما حدث في فرع الرقة حيث شُوهد أعضاء الحزب وهم يقدمون قائمة بأسماء المرشحين لعضو من الفلاحين طالبين منه حلف اليمين على القرآن الكريم بأنه سوف ينتخب هذه القائمة[68].

---

[65] المنشقون هم أحد أجنحة الحزب السابقة تم استبعادهم من الحزب أو انشقوا عنه في الفترة التي تلت فبراير (شباط) 1964 تحت قيادة حمود الشوفي (وهو درزي)، أمين عام أول قيادة قطرية سورية للحزب، الذي تم اختياره بعد إنقلاب 8 مارس (آذار) 1963 . لمزيد من التفاصيل حول المنشقين انظر التقرير التنظيمي 1965 ص 70، 71 .

[66] التقرير التنظيمي 1965، ص 43 .

[67] المصدر السابق، ص 22، 43,41 .

[68] المصدر السابق، ص 42، 43، 44 .

وقد وصفت النتائج النهائية للانتخابات فيما بعد طبقاً للتقرير التنظيمي بالآتي:

جاءت نتائج الإنتخابات معبرة تعبيراً كبيراً عن واقع كل فرع بما فيه من أمور سلبية أو إيجابية بمعنى ان القواعد الحزبية بواقعها الراهن قد مارست حقوقها الانتخابية بشكل ديمقراطي ليس فيه للقيادات العليا أي تأثير اطلاقاً[69]٠

المحلية في فرع ادلب

لقد ألقت النزاعات الداخلية بين القرى بظلها داخل بعض الفروع على نشاطات الحزب وتغلغلت داخل جهاز الحزب٠ وقد أوضح تقرير تنظيمي داخلي كُتب عام 1967 حول الوضع في فرع ادلب أن نشاطات الحزب كانت في حالة سبات هناك، ويرجع ذلك جزئياً لشدة المحلية: زاد عدد الشُعَب بحيث كان لكل قرية ذات أهمية تنظيم حزبي على مستوى الشُعبة٠ ونتيجة لذلك عجز الكثير من أعضاء الحزب عن تصور أي شيء خارج نطاق قراهم، وبالتالي لم يُقمع التنافس الجاري بين القرى، بل استمر في القيام بدوره داخل جهاز حزب البعث الذي كان يتطلع رسمياً لولاء يفوق ولاء المجتمعات القروية أو العشائرية أو الدينية٠ ولتحطيم جمود نشاطات الحزب بفرع ادلب قررت القيادة القطرية السورية في عام 1967 توحيد مختلف الشُعَب في وحدات جديدة وكبرى، بغية توسيع القاعدة الضيقة القديمة لتنظيم القرى الفردي[70]٠

---

[69] المصدر السابق، ص 44 • من أجل تقييم الممارسات الإنتخابية السورية في الخمسينات انظر

Ralph Crow, "A Study of Political Forces in Syria based on a Survey of the 1954 Elections" (Unpublished, Bayrut, May 1955).

[70] منشور المكتب التنظيمي للقيادة القطرية السورية للقيادات الفرعية (منسوخة، 6 مارس (آذار) 1967)، مصنفة "سري للغاية"٠ لمزيد من التفاصيل حول الوضع في فرع ادلب عام 1967 انظر:

Van Dam, De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme, pp. 95–97.

والمشكلة الأخرى التي أثرت سلبياً على أنشطة فرع ادلب هي أن معظم أعضائه كانوا أميين٠ وهذا يرجع إلى أنه لأسباب إنتخابية تم إستبعاد الكثير من الأعضاء المثقفين قبل الإنتخابات الحزبية لعام 1965 ليحل محلهم الأميون٠

فرع اللاذقية

ذكر التقرير التنظيمي المقدم إلى المؤتمر القطري السوري الثاني لحزب البعث المنعقد في مارس (آذار) وابريل (نيسان) 1965 ان عدد أعضاء فرع حزب محافظة اللاذقية على وجه الخصوص فاق بكثير عدد الفروع الأخرى[71]٠وقد أثار هذا الأمر الشكوك حول ما إذا كان قادة الحزب باللاذقية قد طبقوا لوائح الحزب المتعلقة بقبول أو تصفية الأعضاء كما حدث في مناطق أخرى[72]٠ وحيث أن القيادة العليا لتنظيم حزب البعث العسكري كانت أساساً في أيدي ضباط علويين من منطقة اللاذقية، فإنه مما لا يدعو إلى الدهشة أن يكون فرع الحزب المدني قد نما بهذه الصورة الكبيرة في هذه المنطقة[73]٠

هذا، وقد حاول العديد من قادة التنظيم العسكري للحزب أن ينظموا فصائل حزبية مدنية خاصة بهم عن طريق شغل الجهاز الحزبي المدني بأنصارهم، وذلك لكي يحصلوا على مركز أقوى من منافسيهم العسكريين داخل إطار الحزب٠ ومن ناحية أخرى حاول العديد من أعضاء الحزب المدنيين الحصول على تأييد فصائل عسكرية للحزب تابعة لهم عن طريق استغلال المنافسات بين العسكريين البعثيين وعن طريق تحريضهم الواحد ضد الآخر[74]٠ وبعد استيلاء البعث على السلطة عام 1963 تكونت المجموعات المعنية بالصراع على السلطة من إئتلافات عسكرية دائمة التغير ومن بعثيين مدنيين حاولوا باستمرار

---

[71] قبل المؤتمر القطري السوري الثاني تقرر أن يُمثل كل فرع حزبي بما لا يقل عن خمسة ممثلين وما لا يزيد عن تسعة؛ وقد كان ذلك من أجل تفادى تحكُّم الفروع الحزبية الكبرى عددياً في الفروع الصغرى أثناء المؤتمر٠ (التقرير التنظيمي 1965، ص 41–42)٠

[72] المصدر السابق، ص 33,32 ٠

[73] عن الإحصائيات حول الأعضاء العلويين بالقيادات القطرية السورية بعد 8 مارس (آذار) 1963 انظر الجداول 3، 5، 6، 7 والفصل السادس٠ في الفترة ما بعد 8 مارس (آذار) 1963 تم دخول الكثير من "القطريين" للجهاز الحزبي المدني بمساندة اللواء صلاح جديد، العلوي، أحد قادة التنظيم العسكري لحزب البعث٠ وقد كان "القطريون" ممثلين بقوة في منطقة اللاذقية، بجانب دير الزور وحوران٠ انظر الحاشية 17 بعاليه٠

[74] سامي الجندي، البعث، ص 113 ٠

استغلال بعضهم البعض، بغية توطيد سلطتهم وإزاحة معارضيهم عن المسرح السياسي في آن واحد[75]٠

أعضاء الأقليات في القوات المسلحة السورية قبل عام 1963

تحت الحكم الفرنسي (1920-1946)

لقد ساهم العديد من العوامل السياسية التاريخية والإجتماعية الإقتصادية في وجود تمثيل قوى لأعضاء الأقليات في القوات المسلحة السورية قبل استيلاء الضباط البعثيين على السلطة عام 1963؛ ويرجع تاريخ أحد هذه العوامل إلى وقت أن كانت سوريا تحت الإنتداب الفرنسي٠ وكما سبق وأن ذكر في المقدمة فإن الفرنسيين قد فضلوا تجنيد مختلف الأقليات الدينية والعرقية كالدروز والإسماعيليين والمسيحيين والأكراد والشراكسة فيما يسمى بالقوات الخاصة للشرق الأدنى والتي تطورت فيما بعد لتصبح القوات المسلحة السورية واللبنانية٠ بيد أنه في نفس الوقت لم يتم تشجيع غالبية العرب السنيين السوريين مما يوحى بسياسة "فرِّق تسد" والتي كانت تهدف إلى منع أي طائفة من الوصول إلى مكانة قوية تجعلها تشكل خطراً على وضع الإدارة المركزية٠ إن سياسة التجنيد الفرنسية اتبعت تقليداً رسمته القوى الإستعمارية في العديد من الدول التابعة لها، أي البدء بتجنيد عاملين ثم ضباط من بين المجموعات العشائرية النائية عن العاصمة المركزية، ومجموعات الأقليات، وخاصة المجموعات ذات التطلعات المحدودة نحو الإستقلال٠ وعادة ما كانت تلك المجموعات تنحدر من المناطق الأقل تطوراً من الناحية الإقتصادية٠ لذلك، فقد جذبتهم الفرص المتاحة لهم داخل الجيش[76]٠

---

[75] قارن محمد عمران، تجربتي في الثورة، ص 22 ٠

[76] قارن

N.E. BouNacklie, 'Les Troupes Spéciales: Religious and Ethnic Recruitment, 1916−46', International Journal of Middle East Studies, Vol. 25, 1993, p. 656,

الذي يلاحظ أنه "رغم أن الفرنسيين قد قاموا بتجنيد أعداد أكبر نسبياً من العلويين والدروز، إلا أن ذلك قد تم ببراعة عظيمة ٠٠٠" فعلى سبيل المثال، قلما قام الفرنسيون بتجنيد أفراد من العشائر أو القبائل التي سبق لها أن تمردت ضدهم٠ "بل برز التمثيل القوى للعلويين والدروز عن طريق المجموعات والفصائل والعشائر والقبائل التي إما كانت محايدة على طول الخط أو أظهرت ولائها للفرنسيين ٠٠٠ وفى عام 1944 ٠٠ جاء تمثيل العلويين قوياً بين الجنود وضعيفاً في المجال السياسي وسلك الضباط وقوة الدرك والشرطة"٠ قارن

ومن ناحية أخرى فإن الفرنسيين قد مالوا لتجنيد أعضاء من عائلات كبيرة وذات نفوذ بالقوات الخاصة للشرق الأدنى، بغية ضمان ولاء طوائف الأقليات التي ينحدرون منها[77].

إن العائلات العربية السنية الثرية صاحبة الأراضي والعائلات ذات النشاط التجاري التي قادت الحركة القومية العربية أثناء الإحتلال الفرنسي قد دعمت بصورة غير مباشرة الإتجاه نحو التمثيل القوى لأعضاء الأقليات بالجيش السوري، وذلك برفضها إرسال أبنائها للتدريب العسكري، حتى كضباط، في قوة لاح لها أنها تخدم المصالح الإمبريالية الفرنسية[78]، كما احتقرت في كثير من الأحيان الجيش كمهنة واعتبرت الكلية العسكرية بحمص كما وصفها باتريك سيل "مكاناً للكسالى أو المتمردين أو المتخلفين أكاديمياً أو المغمورين إجتماعياً، وقليل هو شباب العائلات الشهيرة الذي يفكر في الإلتحاق بالكلية (العسكرية)، إلا في حالات فشلهم بالمدارس أو طردهم منها"[79].

وثمة عامل آخر إجتماعي إقتصادي ساعد في إبراز التمثيل القوى لأعضاء الأقليات في الجيش السوري، ألا وهو أنه بالنسبة للكثير من أهل المناطق الريفية الفقيرة (حيث كان يعيش معظم أفراد الأقليات) قدم السلك العسكري فرصة جيدة لتسلق السلم الإجتماعي والتمتع بحياة أكثر رفاهية عن تلك التي يوفرها القطاع الزراعي[80]. وقد شكل هذا الحافز أهمية أقل بالنسبة لسكان المدن الكبرى ومعظمهم

Morris Janowitz; Eliezer Be'eri, Army Officers in Arab Politics and Society (New York and London, 1970), p. 334.

77

Patrick Seale, The Struggle for Syria; A Study of Post−War Politics (1945−1958) (London, 1965), p. 37.

78

J.C. Hurewitz, Middle East Politics: The Military Dimension (New York, Washington, London, 1969), p. 153.

79

Seale, The Struggle for Syria, p. 37.

80

سنيون٠

وأخيراً، فإن سكان المناطق المدينية كثيراً ما بدا لهم الأمر أيسر في تجنب الخدمة العسكرية عن أمثالهم بالمناطق الريفية، وذلك عن طريق سدادهم لرسوم الإعفاء من الخدمة٠

الجمهورية السورية المستقلة (1946- 1958)

بعد أن نالت سوريا إستقلالها عام 1946 تزايد بشكل كبير عدد الملتحقين بالكلية العسكرية بحمص سنوياً٠ ويرجع ذلك أساساً للتوسع الكبير في أعداد المدارس التي أتاحت فرصة التعليم في المئات من القرى والمدن الصغيرة لأبناء الطبقات الأدنى٠

وأصبحت المدارس الثانوية الجديدة ذات أهمية خاصة، حيث أن شهادة المدرسة الثانوية كانت ضرورية للالتحاق بالكلية العسكرية٠ وبينما كان عدد الملتحقين بالكلية قليلاً فيما مضى وكان معظمهم من الطبقات المتوسطة والعليا، إلا أنه وصل في الخمسينات والستينات إلى المئات، وكان معظمهم من الطبقات الفقيرة والمتوسطة والمناطق الريفية[81]٠ وقد ساعد هذا الإتجاه مرة أخرى وبصورة غير مباشرة في

Mousa, Etude Sociologique des 'Alaouites ou Nusairis, pp. 924–6; Be'eri, Army Officers in Arab Politics and Society, 336, 337; Hanna Batatu, 'Some Observations on the Social Roots of Syria's Ruling, Military Group and the Causes for its Dominance', The Middle East Journal, Vol. 35, Summer 1981, pp. 340–343.

يلاحظ بطاطو أنه "على مستوى سلك الضباط فإن العلويين لم يحظوا بالأعداد التي تمتع بها السنيون قبل عام 1963، وذلك بخلاف الانطباع الذي كان شائعاً٠ لقد استمدوا الكثير من قوتهم الحقيقية من بين صفوف الجيش الأقل رتبة٠ وبإجراء عملية حسابية بسيطة نجد أنهم تمتعوا بأغلبية بين صفوف الجنود وكثرة واضحة بين ضباط الصف٠ وحتى في عام 1955 ٠٠٠ اندهش العقيد عبد الحميد سراج، رئيس مكتب المخابرات، لدى اكتشافه أن ما لا يقل عن 65٪ من ضباط الصف كانوا تابعين للطائفة العلوية٠"

81

Gordon H. Torrey, 'Aspects of the Political Elite in Syria', George Lenczowski (ed.), Political Elites in the Middle East (Washington, 1975), p. 157; Seale, The Struggle for Syria, p. 37.

إزدياد عدد ضباط الأقليات (الفلاحين سابقاً)٠

وبمجرد أن يصل هؤلاء الضباط إلى مراكز قيادية كانوا يقومون باستدعاء أقاربهم وآخرين من مجتمعاتهم الطائفية والإقليمية والعشائرية ويمدون لهم يد العون ليتقدموا ويتم قبولهم بالكليات العسكرية والبحرية والجوية[82]٠

وبذلك يمكن تفهم وجود أعداد كبيرة من طوائف الأقليات ضمن العسكريين، وقد سيطر هؤلاء على الحياة السياسية السورية بعد عام 1949 بالذات عندما بدأت سلسلة طويلة من الإنقلابات السياسية٠

وقد وصف تقرير عسكري الوضع في الجيش السوري عام 1949 بشيء من المغالاة بأن "كل القطعات التي لها اهميتها والعنصر الهام هي بقيادة اشخاص من الاقليات"[83]٠

وبالرغم من حقيقة أن أعضاء الأقليات الدينية كان لهم تمثيل قوي غير متناسب في الجيش السوري وقد شغلوا مناصب عسكرية هامة سياسياً واستراتيجياً، إلا أن أبرز الفصائل التي كانت تملك زمام السلطة قبل تقلد البعث لها في عام 1963 كانت أساساً تحت قيادة ضباط سنيين٠ وهكذا، فإن زعماء الإنقلابات العسكرية الثلاثة الأولى في سوريا وهم اللواء حسنى الزعيم (1949) وسامي الحناوي (1949) وأديب الشيشكلي (1949–1954) كانوا جميعاً سنيين٠ وقد كان للزعيم والحناوي خلفية كردية أيضاً٠ ومن أجل الإحتفاظ بالسلطة إعتمد الزعيم والشيشكلي بالذات على مساندة الضباط الذين ينتمون لنفس الخلفية العرقية والإقليمية٠ وقد لعب الأكراد والشراكسة دوراً هاماً تحت قيادة الزعيم، بينما استطاع العديد من الضباط القادمين من مسقط رأس الشيشكلي، وهو حموي، تسلق الوظائف العسكرية بسرعة تحت قيادته[84]٠

82

Be'eri, Army Officers in Arab Politics and Society, p. 336; Hurewitz, Middle Eastern Politics: The Military Dimension, p. 153.

83 فضل الله أبو منصور، أعاصير دمشق (بيروت، 1959)، ص 51 ٠

84 على سبيل المثال، كان حرس الزعيم المحيط بقصر الرئاسة بدمشق كله من الشراكسة (فضل الله أبو منصور، أعاصير دمشق، ص 68)٠ وفى حملة التطهير التي تلت الإنقلاب العسكري الذي أطاح بالرئيس الشيشكلي في فبراير (شباط)

فترة الإنفصال (1961- 1963)

وخلال ما يسمى بفترة الإنفصال وصل الضباط السنيون الدمشقيون تحت قيادة المُقَدَّم عبد الكريم النحلاوي إلى أوج قوتهم[85]. ولم يكن من قبيل المصادفة أنه كان باستطاعة ضباط دمشقيين (سنيين) القيام بإنقلاب ناجح في 28 سبتمبر (أيلول) 1961، مما تسبب في انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة. وخلال فترة الوحدة، سواء كان ذلك بقصد أو غير قصد، أُسندت قيادة المناطق العسكرية السورية أساساً لهؤلاء الضباط الدمشقيين السنيين الذين بالتالي احتلوا مراكز قوية على نحو استثنائي[86].

1954، تم البلاغ عن نقل ضباط من الأكراد من أعلى المناصب بالجيش السوري.

(Hurewitz, Middle Eastern Politics: The Military Dimension, p. 153.)

وفى الفترة من فبراير (شباط) 1954 إلى فبراير (شباط) 1958 وبعد قيام الوحدة بين مصر وسوريا، انقسم سلك الضباط السوري لفصائل متنافسة يقودها اساساً سنيون. انظر على سبيل المثال بياناً بأسماء 16 ضابطاً سورياً اتفقوا على ما يُعرف بـــ "تعهد الوحدة" وكانوا جميعاً سنيين. قارن أحمد عبد الكريم، أضواء على تجربة الوحدة (دمشق، 1962)، ص 97؛

Van Dusen, Intra- and Inter-Generational Conflict in the Syrian Army, pp. 375-414; Van Dusen, 'Political Integration and Regionalism in Syria', p. 125; Seale, The Struggle for Syria, p. 320, n. 8.

وقد فرض الشيشكلي العديد من الأحكام أثناء عهده بهدف خلق دولة عربية اسلامية متجانسة. "فتم إنهاك الأكراد والاشوريين والأرمن والعلويين والأقليات المسيحية بأنواعها بحشد من القرارات"

(Patrick Seale, The Struggle for Syria, p. 135).

وقد تذكر العقيد الناصري جاسم علوان (سني من دير الزور) فيما بعد أن الشيشكلي قد أمره بتفضيل العرب المسلمين السنيين على الأقليات الدينية والعرقية داخل فصوله بالكلية العسكرية في حمص. وفى ذلك الوقت رفض علوان هذه الفكرة حيث كان مدرباً بالفصل الذي كان يضم ضباطاً علويين أمثال حافظ الأسد وعلى أصلان ومحمد نبهان. (مقابلة مع جاسم علوان، القاهرة، 5 فبراير (شباط) 1995).

(أعاصير دمشق، ص 68؛ قارن نذير فنصة، أيام الزعيم، دمشق، 1994، ص 98).

[85] لعب الضباط الدمشقيون أيضاً دوراً سياسياً هاماً في السنوات التي سبقت الوحدة بين مصر وسوريا. قارن

Gordon H. Torrey, Syrian Politics and the Military 1945 1958 (Columbus, Ohio, 1964), pp. 350, 355; Seale, The Struggle for Syria, pp. 238-46;

خالد العظم، مذكرات خالد العظم، المجلد الثاني (بيروت، 1973)، ص 501 -503 .

[86] زهر الدين، مذكراتي عن فترة الإنفصال، ص 22 . لقد انعكس مركز الضباط الدمشقيين البارز في تركيب قيادة الجيش

وهناك أمر آخر هام وهو أنه في الفترة التي سبقت الإنقلاب تولى النحلاوي، وهو دمشقي سني، مركزاً عسكرياً رئيسياً كنائب مدير شئون الضباط، حيث كان رئيسه المباشر مصرياً. وقد استطاع من خلال ذلك المركز أن ينقل الضباط الذين ساندوه إلى وحدات الجيش التي لها أهمية سياسية واستراتيجية لخطط الإنقلاب التي كان قد رسمها مع بعض زملائه من الضباط الدمشقيين. بالتالي، كاد الإنقلاب أن يكون عملية "دمشقية" بحتة[87].

بيد أنه خلال فترة الإنفصال إنهارت سريعاً جماعة النحلاوي المُكَوَّنة من ضباط دمشقيين، ويرجع ذلك جزئياً إلى أن النحلاوي بداً لم يتلق الدعم الكامل من غير الدمشقيين. وقد حاول جاهداً دون جدوى في 28 مارس (آذار) 1962 أن يقوى قبضته المتراخية على جهاز الجيش والحكومة عن طريق انقلاب عسكري. وبعد هذه المحاولة الفاشلة تم طرده من سوريا مع خمسة من أبرز زملائه العسكريين الدمشقيين. وقد أظهرت أحداث 28 مارس (آذار) 1962 كيف أن سلك الضباط السوريين قد استُقْطِب حول قاعدة من الدمشقيين وغير الدمشقيين[88].

السوري التي تكونت بعد انقلاب 28 سبتمبر (أيلول) 1961 مباشرة. فمن بين أعضائها العشرة كان هناك خمسة أعضاء سنيين دمشقيين، ومن بين الخمسة الآخرين كان هناك أربعة سنيين (أحدهم شركسي) والخامس درزي. قارن زهر الدين، مذكراتي، ص 66؛

Van Dusen, Intra− and Inter−Generational Conflict in the Syrian Army, pp. 375− 414.

إن المعارضة القوية داخل صفوف الضباط السوريين لمجموعة النحلاوي الدمشقية أجبرت قادة إنقبلاب 28 سبتمبر (أيلول) 1961 على تعيين شخص غير دمشقي قائداً أعلى للقوات المسلحة. فقد وجدوا أن اللواء عبد الكريم زهر الدين الدرزي، وكان ترتيبه الرابع في ذلك الحين، على استعداد لتقلد هذا المنصب العسكري الهام، وتم استبعاد الثلاثة الآخرين لأن اثنين منهم كانا مسيحيين والثالث علوياً ولكن تعوزه المقومات الشخصية المطلوبة. (زهر الدين، مذكراتي، ص 60،61). ويكتب زهر الدين في مذكراته في مكان آخر أنه في زمن الوحدة بين مصر وسوريا اعترضت أيضاً القيادة العسكرية التي كانت تحت سيطرة المصريين على تعيين ضباط سوريين مسلمين غير سنيين في منصب قائد الجيش الأول (أي السوري) للجمهورية العربية المتحدة. لذلك، فعندما تم اقتراح تعيين المُقدَّم الناصري جادو عز الدين في هذا المنصب، رُفض الإقتراح أساساً لكونه درزياً (زهر الدين، مذكراتي، ص 43).

[87] المصدر السابق، ص 22−23 .

[88] لقد تم التعبير عن ضعف وضع الضباط الدمشقيين في تكوين قيادة الجيش السوري المنتقاة بعد الثاني من أبريل (نيسان)

وخلال الفترة اللاحقة تم تطهير معظم وحدات الجيش ذات الاستراتيجيات السياسية حول دمشق وغيرها من الضباط الدمشقيين. وكما جاء في وصف القائد الأعلى للقوات المسلحة السورية حينئذ، اللواء زهر الدين، الدرزي، فقد تم استبدالهم "بضباط لا يضمرون إلى دمشق وأهلها إلا الحقد والكراهية"[89]. وربما كان معظم هؤلاء الضباط من ريف سوريا، حيث كانوا غالباً ما يُعامَلون بإزدراء من قِبل الدمشقيين.

إن عمليات التصفية العديدة الناجمة عن الصراع على السلطة السياسية بين الضباط ذوى المناصب العليا (ومعظمهم سنيون) قد أضعفت التمثيل السني لحد كبير في الدرجات العليا لسلك الضباط[90]. وبينما كان الضباط المنتمون للاقليات الدينية الناطقون بالعربية أقل نشاطاً في المجال السياسي خلال الخمسينات، وبالتالي كانت معاناتهم من حرها ونارها أقل، فقد استطاعوا في الستينات شغل مراكز

1962، إذ كان هناك عضو دمشقي واحد من بين الثمانية أعضاء. (انظر زهر الدين، مذكراتي، ص 66، 221). وعندما وصل الإنقلاب العسكري للنحلاوي الذي بدء في 28 مارس (آذار) 1962 إلى مأزق يهدد بالتدهور إلى مجابهة عنيفة تقرر عقد مؤتمر عسكري بحمص في الأول من ابريل (نيسان) من أجل تفادى سفك الدماء. وحضر المؤتمر ممثلون من جميع المناطق العسكرية والوحدات الرئيسية (41 ضابطاً في المجموع)، مما جعله يمثل الهوية والمصالح المشتركة لسلك الضباط السوريين كما كانت في ذلك الحين. ومما هو جدير بالذكر أن من بين الـ 41 ضابطاً كان هناك تمثيل قوى للسنيين بـ 36 عضواً، بينما من وجهة النظر الإقليمية نجد أن الضباط الدمشقيين (13 في المجموع وكلهم سنيون) كانوا أكبر مجموعة، كما كان هناك أيضاً أربعة مسيحيين (ثلاثة من اللاذقية وواحد من حماة) وضابط علوي واحد من الأسكندرون. وقد تغير تمثيل الضباط العلويين في المناصب القيادية العسكرية بشكل كبير بعد انقلاب الثامن من مارس (آذار) 1963. وفى المؤتمر العسكري بحمص طالب العميد الدمشقي مطيع السمّان الأمين العام لوزارة الدفاع وممثل القيادة العسكرية بدمشق بطرد ستة ضباط غير دمشقيين من سوريا، بغض النظر عن تورطهم أو عدم تورطهم في أحداث 28 مارس (آذار) 1962، وذلك تعويضاً عن طرد النحلاوي وخمسة من زملائه من الضباط الدمشقيين (زهر الدين، مذكراتي، ص 215، 216)؛

Rabinovich, Syria under the Ba'th 1963−66, pp. 32, 33; Van Dusen, Intra− and Inter−Generational Conflict in the Syrian Army, pp. 375−414).

[89] زهر الدين، مذكراتي عن فترة الإنفصال، ص 372 .

[90] قارن منيف الرزاز، التجربة المُرّة، ص 159 .

هامة في القيادة التي أصبحت شاغرة من جراء الطرد المتتالي للسنيين من طرف أو من آخر[91]٠

الإحتكار البعثي للسلطة (1963)

في 8 مارس (آذار) 1963 أطاح انقلاب بقيادة ائتلاف من الضباط البعثيين والناصريين والوحدويين المستقلين بـــ "نظام الإنفصال"، وما لبث أن ازداد عدد أعضاء الأقليات في سلك الضباط السوريين مرة أخرى على حساب السنيين٠ وأحد الأسباب الرئيسية لذلك هو أن القادة البعثيين العسكريين الذين شاركوا في الإنقلاب قاموا باستدعاء العديد من الضباط وضباط الصف الذين تربطهم بهم أواصر عائلية أو عشائرية أو إقليمية لتعضيد مراكزهم الجديدة التي حصلوا عليها على وجه السرعة[92]٠

وكان معظم العسكريين الذين تم استدعائهم بهذه الطريقة ينتمون إلى الأقليات وخاصة العلويين والدروز والإسماعيليين، ولم يكن الأمر مثيراً للدهشة حيث أن معظم أعضاء اللجنة العسكرية البعثية المشرفة على نشاطات التنظيم العسكري كانوا من أعضاء الأقليات[93]٠ وقد تم وصف هذا الأسلوب في

91

Be'eri, Army Officers in Arab Politics and Society, p. 337.

92 منيف الرزاز، التجربة المُرَّة، ص 158، 159

93 إن القيادة العليا للجنة العسكرية البعثية التي تأسست عام 1959 خلال الوحدة بين مصر وسوريا من قِبل ضباط منقولين لمصر تكونت في البدء من خمسة ضباط من بينهم ثلاثة علويين وهم محمد عمران وصلاح جديد وحافظ الأسد واسماعيليان وهما عبد الكريم الجندي وأحمد المير٠ وعندما توسعت اللجنة العسكرية فيما بعد لتشمل 15 عضواً أصبح تشكيلها كالآتي: خمسة من العلويين وهم محمد عمران من المُخَرَّم (حمص) وصلاح جديد من دوير بعبدا (اللاذقية) وحافظ الأسد من القرداحة (اللاذقية) وعثمان كنعان من ريف منطقة حلب (كاى ينتمي الى عشيرة صغيرة كانت ترحل بين ريف حلب و ريف لواء الاسكندرون و استقرت في ريف حلب بعد عام 1939) وسليمان حداد من حمام القراحلة (اللاذقية)، واسماعيليان وهما عبد الكريم الجندي من السلمية (حماة) وأحمد المير من مصياف (حماة)، ودرزيان من جبل الدروز وهما سليم حاطوم من ذيبين وحمد عُبيد، وستة من السنيين منهم ثلاثة من حوران وهم موسى الزعبي ومصطفى الحاج علي وأحمد سويداني واثنان من حلب وهما أمين الحافظ وحسين مُلحم وواحد من اللاذقية وهو محمد رباح الطويل٠ وكان لمعظم أعضاء اللجنة العسكرية أصول قروية وينتمون لعائلات فقيرة، ما عدا صلاح جديد وعبد الكريم الجندي فكانا ينتميان لعائلات بارزة من الطبقة المتوسطة، حيث كان والد جديد مندوباً عن منطقة بانياس وكان جده أحد زعماء اتحاد الحدادين للعشائر العلوية،

التجنيد فيما بعد في إحدى الوثائق الداخلية لحزب البعث بالآتي:

الحت ظروف الثورة الاولى، ومرحلتها الصعبة على دعوة عدد كبير من العسكريين الاحتياطيين (ضباط وضباط صف) حزبيين ومؤيدين لملء الشواغر التي نجمت عن تصفيات الخصوم، ولتدعيم مواقف الثورة وحمايتها، ولم يسمح ذلك الالحاح آنذاك باعتماد اسس موضوعية في عملية الاستدعاء وانما كانت عوامل الصداقة والقرابة، واحيانا مجرد المعرفة الشخصية هي الاساس، مما ادى الى تسرب عدد معين من العناصر الغريبة البعيدة عن

وينتمي حافظ الأسد لعشيرة الكلبية العلوية • لمزيد من التفاصيل حول اللجنة العسكرية البعثية وخلفية أعضائها انظر: الجديد، 16 سبتمبر (أيلول) 1966؛ محمد عمران، تجربتي في الثورة، ص 18، 19؛ منيف الرزاز، التجربة المُرَّة، ص 87؛ سامي الجندي، البعث، ص 85؛ محمد ابراهيم العلي، الغجرية (المرابي "5")، دمشق، 1995، ص 275– 294؛ مصطفى طلاس, مرآة حياتي: العقد الثاني , ص 156–157

Batatu, Hanna, The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq. A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes and of its Communists, Ba'thists and Free Officers, Princeton, 1978, pp. 144-207.
Bernard Vernier, Armée et Politique au Moyen Orient (Paris, 1966), p. 144; Bernard Vernier, 'Le role politique de l'armée en Syrie', Politique Etrangère, Vol. 29, 1965, p. 466; Van Dusen, Political Integration and Regionalism in Syria, p. 132; Intra− and Inter−Generational Conflict in the Syrian Army, p. 336−40, 409; Van Dam, 'The Struggle for Power in Syria and the Ba'th Party (1958−1966)', p. 10; Van Dam, 'De Ba'thpartij in Syrië (1958−1966)', Internationale Spectator, XXV 20, 22 November 1971, p. 1892. Macintyre, The Arab Ba'th Socialist Party, pp. 202, 248.
وهنا يطلق ماكينتاير على اللجنة العسكرية البعثية اسم لجنة الضباط العلويين دون وجه حق، فهو يفترض أن أعضاءها من العلويين فقط أو أن الأعضاء العلويين هم فقط الذين مارسوا السلطة الحقيقية• ولم يكن هذا هو الحال فيما يتعلق بالفترة السابقة لعام 1967 التي يصفها ماكينتاير، فاذا كان التمثيل القوى لأعضاء الأقليات الدينية في القوات المسلحة السورية لا يدخل في الاعتبار فإن وجود تسعة أعضاء منتمين لأقليات من بين الـــ 15 عضواً إنما هو أمر عرضي، بيد أن هناك الكثير من الكُتاَّب الذين جادلوا في نقطة أن أعضاء الأقليات باللجنة العسكرية كانت تجذبهم لبعضهم البعض خلفيتهم الطائفية• قارن مطاع الصفدي، حزب البعث، ص 312؛

Biegel, Minderheden in het Midden−Oosten, pp. 226, 227; Rabinovich, Syria under the Ba'th 1963−66, p. 25.

انظر أيضاً

Macintyre, The Arab Ba'th Socialist Party, p. 249.
وقد اعتبر أمين الحافظ أن الخلفية المشتركة لأعضاء اللجنة العسكرية لم تلعب في البدء أي دور ولم تقم حتى بضمهم جميعاً في تنظيم سرى واحد (مقابلة مع أمين الحافظ، بغداد، 1973/9/12)•

منطق الحزب ومنطلقاته، وسبب بالنتيجة - وبعد تجاوز المرحلة الصعبة - استخدام هذا الموضوع سلاحا للطعن في نوايا بعض الرفاق والتشكيك بهم[94].

ويبدو أن الجزء الأخير من هذا الإقتباس يشير إلى إتهام بعض أعضاء اللجنة العسكرية بالقيام بتعزيز الجيش بأفراد جالياتهم، بناء على أسس طائفية[95]. وطبقاً لأحد التقارير فإن الكثير من العلويين كانوا ضمن هؤلاء الضباط الذين كان عليهم شغل فراغات الجيش بعد تصفية القوى السياسية المعارضة عقب انقلاب 8 مارس (آذار) 1963 مباشرة. ولقد تم استبدال نحو نصف عدد الضباط المُسَرَّحين والبالغ عددهم حوالي 700 بعلويين[96]. ومن الجدير بالذكر انه أثناء الانقلاب كان خمسة من اللجنة العسكرية البعثية من بين الأربعة عشر عضواً من العلويين. لذلك، فانه ليس من المثير للدهشة أن يلعب الضباط العلويون فيما بعد دوراً هاماً في الجيش. علاوة على ذلك فان القيادة العليا للجنة العسكرية كانت تقع في قبضة ثلاثة علويين هم محمد عمران وصلاح جديد وحافظ الأسد[97]. وقد شغل جديد منصب رئيس أركان الجيش السوري فيما بين أغسطس (آب) 1963 وسبتمبر (أيلول) 1965، وأصبح الأسد قائداً للقوات الجوية السورية، أما عمران وهو الأكبر سناً بين الثلاثة فقد رأس اللواء سبعين المدرع المتمركز جنوب دمشق والذي كان مقرراً أن يكون العمود الفقري لتنظيم البعث العسكري لبعض الوقت في المستقبل. وقد استطاع قادة اللجنة العسكرية العلويون الثلاثة أن يلعبوا دوراً عظيماً من خلال هذه المراكز العسكرية في "التحويل البعثي" الذي طرأ على القوات المسلحة السورية في الفترة التي تلت 8 مارس (آذار) 1963 .

لقد استطاع قادة اللجنة العسكرية أن يعززوا على وجه السرعة مراكز القوى الجديدة التي

---

[94] حزب البعث العربي الاشتراكي، القطر السوري، القيادة القطرية، أزمة الحزب وحركة 23 شباط وانعقاد المؤتمر القطري الأخير (دمشق، 1966) (من الآن فصاعداً أزمة الحزب وحركة 23 شباط)، ص 20 . انظر الملحق ج.

[95] قارن

Rabinovich, Syria under the Ba'th 1963-66, p. 76, n. 1.

[96]

Macintyre, The Arab Ba'th Socialist Party, pp. 247, 248.

[97] منيف الرزاز، التجربة المُرَّة، ص 87، 158 . لم يصبح أمين الحافظ عضواً في اللجنة العسكرية إلا بعد انقلاب 8 مارس (آذار) 1963 .

تحصلوا عليها، ويرجع الفضل في ذلك للتنظيم والتخطيط الكفء ولجميع العسكريين الذين ساندوهم لدى استدعائهم، وقد نجحوا خلال أشهر قليلة في إزاحة أهم معارضيهم العسكريين من الناصريين والوحدويين المستقلين الذين كانوا مرة أخرى سواء كان الأمر مصادفة أم لا في الغالبية سنيين[98]، وجاء أوج احتكار البعثيين للسلطة في 18 يوليو (تموز) 1963 عندما قامت مجموعة معظمها من الضباط الناصريين السنيين تحت قيادة جاسم علوان بانقلاب فاشل، ومعظم الضباط الذين أخمدوا هذا الانقلاب، مع إراقة بعض الدماء، كانوا ينتمون لأقليات وكان من بينهم ضباط علويون لعبوا دوراً متميزاً[99]، وهذا الأمر كان له شأن ضئيل أو لم يكن له علاقة بالمرة بالطائفية، إلا أنه تم استغلاله على هذا النحو من قِبل معارضي حزب البعث السياسيين الذين بغضوا أعضاء الأقليات الكثيرين بين الحكام الجُدد، وحاولوا إضفاء الإنطباع بأن عمليات التصفية المتكررة للضباط السنيين كانت تقوم أساساً على دوافع طائفية، محاولين بذلك التشكيك في حزب البعث وإضعاف مركزه في نظر الغالبية العظمى من السكان السنيين،

وحقيقة أن أحد كبار الضباط العلويين كان من بين زعماء الانقلاب الناصري الفاشل لم تنقص من وجهة نظر هؤلاء المعارضين المولعين بكشف المؤامرات والمكائد، فقد فسروا اشتراك الضابط العلوي محمد نبهان وكأنه (بما يبدو ملائماً لهم؟) "في الواقع" قد سعى فقط لخدمة مصالح رفاق عقيدته من البعثيين، وذلك عن طريق حث الضباط الناصريين على القيام بانقلاب داخلي، وربما قام الضباط البعثيون بعد ذلك بانتهاز الفرصة السانحة لتصفية وإزاحة بقية الضباط الناصريين (ومعظمهم سنيون) من صفوف الجيش[100]، إن إبطال الشعور بعدم الثقة الذي خلقته مثل هذه التفسيرات بين العديد من غالبية السكان

---

[98] جميع الضباط الذين شملتهم عملية التصفية وهم الوحدويان المستقلان لؤي الآتاسي وزياد الحريري، والناصريون محمد الصوفي وراشد القطيني وفواز محارب، والذين كانوا أعضاء في المجلس الوطني لقيادة الثورة بصفته السلطة العليا للدولة عقب انقلاب 8 مارس (آذار) 1963، وأيضاً جاسم علوان ومحمد جراح وهما ضابطان ناصريان بارزان، جميع هؤلاء الضباط كانوا سنيين،

[99] من بين الضباط العلويين الذين ساعدوا في قمع الانقلاب الناصري سليمان حداد، وسليمان العلي، وعلى مصطفى، قارن البعث، 19 يوليو (تموز) 1963،

[100] قارن التصريح المزور للشيخ العلوي عبد الرحمن الخير ، تم نشره في الحياة، 19 مايو (ايار) 1968؛ سعد جمعه، مجتمع الكراهية (بيروت)، ص 62–75؛ فؤاد الأطرش، الدروز، مؤامرات وتاريخ وحقائق، ص 344– 351 ، انظر أيضاً رد الشيخ عبد الرحمن الخير : "للحقيقة والتاريخ"، لبنان، 1971؛ من تراث الشيخ عبد الرحمن الخير، نقد وتقريظ كتاب العلويين، دمشق، 1992، ص 69 ، انظر أيضاً رد الشيخ عبد الرحمن الخير على سعد جمعه الذي نُشر في رسالة

السنيين تجاه هؤلاء البعثيين المنتمين لأقليات دينية كان أمراً عسيراً جداً بعد هذه المرحلة[101]٠

تبحث في مسائل مهمة حول المذهب الجعفري: "العلوي" (من تراث الشيخ عبد الرحمن الخير) (دمشق، 1994) ص 97 – 110 • قارن الفصل الرابع، حاشية رقم 40 •

[101] بعد الانقلاب الناصري الفاشل في 18 يوليو (تموز) 1963 بالذات بدأت منشورات معادية للبعث تظهر مركزة على ما أسمته بالسمة الطائفية لنظام البعث السوري٠ ويعد كتاب مطاع الصفدي حزب البعث: مأساة المولد ومأساة النهاية مثالا واضحاً في هذا الشأن٠ وللاطلاع على وجهة نظر الصفدي حول التطورات السياسية في سوريا فيما بعد انظر : نحو سوريا حديثة، ملف النهار، رقم 61 (العالم العربي اليوم، 7)، 6 مارس (آذار) 1971؛ ويتم تناول نقد الصفدي للبعث السوري بالتفصيل في

Van Dam, De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme, pp. 62–81.

انظر أيضاً: المحرر، 15 يوليو (تموز) 1963؛ النهار، 9 و 29 يوليو (تموز) 1963؛ الصفاء، 11 و 18 يوليو (تموز) 1963؛ خليل مصطفى، سقوط الجولان !؟ (عمان، 1969)؛ خليل مصطفى، من ملفات الجولان ؟ ٠٠٠ (عمان، 1970)؛ قدري القلعجي، وثائق النكسة تحت أضواء التجربة المُرَّة (بيروت، 1969)؛ محمد سعيد النجدي، حصيلة الانقلابات الثورية في بعض الأقطار العربية (بيروت، 1966)٠

الفصل الثالث

الاستقطاب الطائفي في القوات المسلحة السورية بين السنيين والأقليات الدينية

التكتيل الطائفي والاقليمي والعشائري في النخبة العسكرية البعثية

بدأ الصراع على السلطة يظهر بين قادة اللجنة العسكرية البعثية عقب الانقلاب الناصري الفاشل في 18 يوليو (تموز) 1963، حيث لجأ هؤلاء القادة بغية تقوية مراكزهم إلى تجميع رجال عسكريين حولهم ممن تربطهم بهم روابط طائفية أو عشائرية أو إقليمية• ونتيجة لذلك قُوِضَت بُنية القيادة والانضباط داخل القوات المسلحة وتنظيم الحزب العسكري بشكل كبير• وفى تقرير يرجع تاريخه إلى 19 أكتوبر (تشرين الأول) 1965 وصف أمين المكتب التنظيمي العسكري البعثي هذه العملية بما يلي:

> وجاءت ثورة الحزب في الثامن من آذار فوجدت القيادات الحزبية انه قد أصبح من المحتم ضرورة إقامة تنظيم حزبي عسكري موسع في الجيش يضم كافة العسكريين أصدقاء الحزب والذين وقفوا إلى جانبه وأسهموا بثورته وهنا لا بد من الاشارة انه قد وقعت أخطاء في أسلوب وطريقة التنظيم وكانت صفة العضوية تعطى هبة للعشرات بل للمئات لان الاسس التي قام عليها التنظيم لم يكن هدفها الايمان بالحزب بل مع الاسف الحماية لقادة التنظيم على مختلف المستويات من قائد فرقة حتى القيادات العليا وتجميع الاتباع والمحاسيب بالجملة وخاصة بعد 18 تموز• ولم يقف الامر عند هذا الحد بل امتد إلى أكثر من ذلك عندما أصبح الاتباع قادة في التنظيم ينظمون ما شاءوا بل وأكثر من ذلك أصبحوا يقيمون الحزبيين الذين عاشوا نضال الحزب بكامله ووهبوا حياتهم له• وإذا عدنا إلى تنظيم أي فرقة نجد أن التنظيم فيها قد تم من قبل أمين الفرقة والذي هو قائد الوحدة وبحسب أهوائه الشخصية أو السياسية أو الاقليمية أو الطائفية وأمين الفرقة هذا هو الموجه الحزبي لفرقته ولكن السؤال من أين له الثقافة والخبرة الحزبية التي تؤهله لذلك• الجواب حتى القيادات الحزبية العليا آنذاك كانت بمعزل عن مراقبة التنظيم وتوجيهه بسبب انشغالها بمجابهة ظروف الثورة القاسية في بداية الامر ثم انغماسها في شؤون السلطة

والصراع العنيف من اجلها مما ولد في الحزب ضعفا في الانضباط والثقافة الحزبية وبالتالي فقدان وضياع وحدة الفكرة والروح والاتجاه. ووصل التنظيم إلى حالة من التشويه لم يعد من الممكن تحملها من قبل الرفاق وحل الولاء الشخصي والتكتلي محل الولاء الحزبي[102].

التمييز الطائفي ضد السنيين في القوات المسلحة السورية

طبقاً لما ذكره الدكتور منيف الرزاز، الأمين العام للقيادة القومية لحزب البعث في عام 1965 و 1966:

(فإن) روائح التكتيل الطائفي المقصود بدأت تفوح. وبدأ الحديث عنها، أول الأمر، همساً، ثم بدأت الأصوات في الارتفاع حين ظهرت بوادر مادية تسند الاتهام (بأن في صراعهم على السلطة استغل العسكريون الروابط الطائفية بشكل يهدف للتسبب في نتائج سلبية للسنيين بالذات)[103].

وهكذا يبدو أن المعايير الطائفية قد طُبقت في تسريح الضباط وضباط الصف الذين دُعوا إلى الخدمة في أوائل إنقلاب 8 مارس (آذار) 1963: تأثر العسكريون السنيون بالذات من جراء هذه التسريحات[104].

---

[102] حزب البعث العربي الاشتراكي، القطر السوري، المكتب العسكري، مشروع تقرير عن واقع الحزب في التنظيم العسكري، 19 أكتوبر (تشرين الاول) 1965 . لمزيد من التفاصيل انظر

Van Dam, De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme, pp. 1224.

[103] منيف الرزاز، التجربة المُرّة، ص 159 .

[104] المصدر السابق؛ انظر مطاع الصفدي، حزب البعث، ص 339- 340، الذي أعطى الوصف التالي المُبالغ فيه حول هذه التسريحات: "إن التسريحات بالمئات استهدفت جميع الضباط من أبناء المدن الكبرى، ومن (السنيين) خاصة. حتى فرغت أسلحة كاملة من ضباطها الرئيسيين، كسلاح الطيران وسلاح البحرية، والآليات. وكذلك اتُبعت نفس الخُطة حيال صف الضباط والجنود. حتى أصبح من المتعارف عليه أن ألوية كاملة، بأركان حربها وصف ضباطها وجنودها، وقف على طوائف معينة، كاللواء السبعين والخامس مثلاً".

إضافة إلى ذلك، يبدو أن السنيين قد عانوا من التمييز لدى تقدمهم للالتحاق بالكلية العسكرية ومراكز التدريب الأخرى[105]. وتكرر الأمر لدى السماح لأشخاص عسكريين جُدد بالانضمام لتنظيم حزب البعث العسكري أو لدى تجنيد أعضاء جُدد بالحرس الوطني البعثي أو الشعبة السياسية أو المخابرات أو مؤسسات السلطة البعثية، بينما كان يحظى العلويون والدروز والاسماعيليون والمسيحيون (الروم الأرثوذكس) بتمييز إيجابي في المعاملة في الكثير من الحالات[106].

وقد بدا تمييز مشابه لغير صالح العسكريين السنيين في حركة تنقلات الضباط داخل القوات المسلحة. فالضباط "الموثوقون" نظراً لروابطهم الطائفية المشتركة مع القادة العسكريين الذين ينحدرون من مجموعات الأقليات عادة ما كانوا يُكتلون في قطاعات الجيش الهامة سياسياً واستراتيجياً القريبة من دمشق، بينما يُستبعد "غير الموثوقين" على نفس الأساس أو الذين كان من المحتمل أن يكونوا "غير موثوقين" لكونهم سنيين، فكثيراً ما كانوا يُنقلون للجبهة السورية الاسرائيلية أو لحلب أو اللاذقية[107]. وقد أدت سياسة التنقلات العسكرية ذات المسحة الطائفية داخل وحدات الجيش المتمركزة حول دمشق إلى أن تكون السيطرة لأعضاء الأقليات، بينما كان هناك تمثيل قوى للسنيين في وحدات معينة للجيش بعيدة عن العاصمة[108].

ولم تقتصر الروابط الطائفية على القيام بدور هام في تعيين الضباط في المراكز العسكرية العليا، بل أيضاً في المستويات الدنيا. فقد تشكلت بعض الوحدات المسلحة أساساً من أعضاء طائفة دينية معينة،

---

[105] منيف الرزاز، التجربة المُرَّة، ص 159؛ النهار، 9 يوليو (تموز) 1963؛ الصفاء، 11 يوليو (تموز) 1963؛ المحرر، 15 يوليو (تموز) 1963 . طبقاً لمطاع الصفدي، حزب البعث، ص 339–340، "فقد أغلق باب الكليات العسكرية ومختلف المدارس العسكرية في وجه شباب المدن السنيين. حتى أن دورات كاملة من هذه الكليات قد سرحت من الخدمة جميعها، وقبل أن تتخرج".

[106] منيف الرزاز، التجربة المُرَّة، ص 159؛ انظر فؤاد الأطرش، الدروز، مؤامرات وتاريخ وحقائق، ص 373؛ مطاع الصفدي، حزب البعث، ص 338 – 339

[107] منيف الرزاز، التجربة المُرَّة، ص 159

[108] ظهرت آثار هذه السياسة في التنقلات خلال إنقلاب 23 شباط 1966 العسكري. انظر نهاية هذا الفصل.

بينما قد يكون الضباط القادة من أصول مختلفة. فمثلاً، بعض كتائب الدبابات كتلك التابعة للواء السبعين المتمركز بالقرب من الكسوة جنوب دمشق، كان معظم طواقمها من العلويين، بينما كان قادتها من السنيين[109]. وكان من الممكن أن تتلاشي سلطة هؤلاء القادة السنيين على الطواقم العلوية إلى الصفر بكل سهولة لدى إعطاء الضباط العلويين العاملين في الوحدات المسلحة الأخرى تعليماتهم لأقرانهم في العقيدة بعدم تنفيذ الأوامر. وهكذا، استطاع بعض الضباط أن يمارسوا سيطرة قوية على جزء أكبر بكثير مما هو مُخول لهم رسمياً، طبقاً لبُنية القيادة العسكرية الرسمية بالقوات المسلحة السورية.

وقد تم التعبير بوضوح عن مثل هذه "الإتصالات الجانبية" المحظورة في كلمات اللواء محمد عمران العلوي الذي أعلن في أوائل عام 1966 خلال أحد إجتماعات الحزب أن:

محمود حمرا)وهو ضابط سني من حماة(لا يستطيع قيادة كتيبته)في اللواء السبعين المدرع (لان 70٪ من صف الضباط في الكتيبة يقودهم على مصطفى)وهو ضابط علوي مؤيد لمحمد عمران، وقائد كتيبة في نفس اللواء(وكذلك بالنسبة لكل من محمد الحاج رحمون (سني (وكاسر محمود (علوي)[110].

ومثال آخر على حقيقة تقويض بُنية قيادة الجيش والانضباط من جراء سيطرة الولاءات الطائفية هو تعليق عضوية ضابط غير سني من تنظيم البعث العسكري في أكتوبر (تشرين الأول) 1965 . وكان السبب الرئيسي لهذا التعليق هو قيامه بتحريض عدة مجموعات داخل وحدته العسكرية ضد بعضها البعض على أسس طائفية، وقيامه بإعطاء تعليمات لمساعد المعسكر التابع لطائفته الدينية بأن يكون على استعداد للقبض على جميع أفراد ضباط الصف السنيين بوحدته العسكرية بمجرد إصدار الأوامر له

---

[109] حزب البعث العربي الاشتراكي، القطر السوري، القيادة القطرية، التقرير الوثائقي لأزمة الحزب المُقدم للمؤتمر القطري الاستثنائي المنعقد بين 3/10 – 1966/3/27 (دمشق، 1966) (من الآن فصاعداً التقرير الوثائقي) ص 65، 85– 88 . مطاع الصفدي، حزب البعث، ص 349، وصف الموقف على النحو التالي: "فالمعلمون يصبحون ضباطاً والفلاحون جنوداً وصف ضباط. حتى غدا اللواء سبعين خاصة، علوياً بقيادته وقواعده تقريباً". انظر أيضاً

J.C. Hurewitz, Middle East Politics: The Military Dimension, p. 153; Martin Seymour, 'The Dynamics of Power in Syria since the Break with Egypt', Middle Eastern Studies, Vol. 6, No. 1, January 1970, p. 40.

[110] التقرير الوثائقي، ص 65 .

هاتفياً[111].

إن تقويض سلطة القادة العسكريين بالسيطرة على الولاءات الطائفية التي تتبعهم لم يكن بظاهرة جديدة في تاريخ الجيش السوري، فقد استخدمت مثل هذه التكتيكات على سبيل المثال خلال "فترة الانفصال"[112].

ويبدو أن تعيين ضباط سنيين في مراكز عسكرية عليا كان أحياناً يُقصد به في المقام الأول إرضاء رفاقهم السنيين بالجيش وتقليل عدم ثقتهم في العسكريين المنتمين لأقليات دينية. وقد ساعدت تعيينات كهذه على إبطال الانطباع السائد بأن المراكز القيادية في القوات المسلحة كانت مشغولة أساساً بأعضاء طوائف دينية معينة، بيد أن شغل وظيفة عسكرية عليا لم يكن يعنى بالضرورة التمتع بسلطة مستقلة[113].

فشل سياسة الطائفية العلنية كتكتيك: إبعاد عمران

لقد أدت الممارسات الطائفية المذكورة أعلاه إلى ارتباط علاقات السلطة إلى حد كبير داخل القوات المسلحة السورية بالتحالفات الشخصية بين قادة جماعات الضباط الذين بدورهم انضم لهم معظم

---

[111] نشرة (منسوخة) صادرة عن المكتب العسكري لجميع أعضاء فروع الحزب العسكرية وفروعه المستقلة، 2 أكتوبر (تشرين الأول) 1965 . انظر خطاب الرئيس أمين الحافظ الذي أذاعته إذاعة دمشق، 8 أكتوبر (تشرين الأول) 1965، حيث أشار إلى أن "الصداقة والروابط الأخرى قد قوضت الانضباط العسكري بالقوات المسلحة"، وأكد على ضرورة الطاعة المطلقة والشديدة بين العسكريين.

[112] في بداية 1963 فشل المقدم الدمشقي النحلاوي في محاولة استرداد سلطته على الجيش السوري، وذلك عن طريق انقلاب عسكري بمساندة بعض مؤيديه الدمشقيين الذين لم يكن قد تم تسريحهم. وأحد أسباب فشله هو أن بعض الضباط فقدوا السيطرة على جنودهم الذين رفضوا الامتثال لمزيد من الأوامر من قِبل قادتهم الدمشقيين أو الذين هجروا وحداتهم العسكرية بتحريض من الشيوخ العلويين والسنيين. (سامي الجندي، البعث، ص 109 - 110).

[113] حول مركز كبار الضباط السنيين مثل مصطفى طلاس وناجى جميل انظر الفصل الخامس.

اتباعهم عبر ارتباطات طائفية وصلات عشائرية واقليمية. بيد أن سلك الضباط ككل لم يكن قد انقسم بعد عبر اتجاهات طائفية. وهكذا، ففي عام 1965 حظى رئيس أركان الجيش السوري، اللواء صلاح جديد، العلوي، بتأييد ضباط علويين تربطه بهم علاقات شخصية قوية، وهذا لا يعنى بالضرورة أن جميع الضباط العلويين قد أيدوا جديد، أو أن أنصاره فقط من العلويين. فعلى سبيل المثال، نجد أن رئيس المخابرات العسكرية المقدم أحمد وسيداني، وهو سني من حوران، كان واحداً ضمن الكثيرين من أنصار جديد غير العلويين في ذلك الحين، حيث كان بدوره يعتمد على دعم ضباطه الحورانيين (ومعظمهم سنيون)، إلا أن هؤلاء لم يشكلوا كتلة واحدة متماسكة وإنما كانوا منقسمين إلى عدة جماعات يقودها ضباط مثل أحمد سويداني ومصطفى الحاج علي وموسى الزعبي، وجميعهم أعضاء في اللجنة العسكرية البعثية. ولم يكن ينتمي العديد من الضباط البعثيين الآخرين إلى أية كتلة ضباط طائفية و/أو إقليمية، ولم تلعب خلفياتهم الطائفية أو الاقليمية أي دور، ولم يستغلوا أية "اتصالات جانبية" محظورة لتقوية مراكزهم على أسس طائفية واقليمية و/أو عشائرية. وكثيراً ما كانت التحالفات بين قادة جماعات الضباط تتخطى عوامل مثل وحدة الديانة أو القبيلة أو بلد المنشأ أو الإيديولوجية، كما لعبت المصالح الشخصية في كثير من الأحيان دوراً هاماً في تكوين أو قطع الروابط مع ضباط آخرين. وكان يسهل تحطيم التحالفات وتغاضى الضباط عن المبادئ الإيديولوجية إذا ما تعرضت مراكز سلطتهم أو مصالحهم الشخصية للخطر[114].

---

[114] تم إعطاء وصف مفصل لأمثلة على التغيير المفاجيء للولاءات والتحالفات بين الضباط العسكريين في
Rabinovich, Syria under the Ba'th 1963– 66, pp. 165–71, 180 –189; Van Dam, 'The Struggle for Power in Syria and the Ba'th Party (1958–1966)', pp. 14 , 16.

وأحد الحالات المتطرفة هي تحول ولاء مصطفى طلاس في 1965 من الرئيس أمين الحافظ إلى صلاح جديد عقب شجار بأحد النوادي الليلية، حيث اتخذ أمين الحافظ إجراءً تأديبياً ضده، في حين أن جديد ساعده، وبذلك حظي بتأييده. مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، 5 سبتمبر (ايلول) 1971 . ولمزيد من التفاصيل عن الواقعة انظر

Van Dam, 'De Ba'thpartij in Syrië (1958 – 1966)', pp. 1919– 1920.

وفيما بعد نسب أنصار أمين الحافظ السنيون تحول ولاء طلاس لدوافع طائفية، حيث أشاعوا أن والدته من أصل علوي (التقرير الوثائقي، ص 91). ومن الواضح أن مثل هذه الشائعات انتشرت بغرض تعضيد التضامن "الطائفي" لمؤيدي أمين الحافظ السنيين. وهناك تفسير آخر لإنضمام مصطفى طلاس لجانب صلاح جديد (وحافظ الأسد) وذلك هو صلته القوية بحافظ الأسد منذ بداية حياتهما العسكرية عام 1953، حيث التحقا سوياً بالكلية العسكرية. انظر مصطفى طلاس، مرآة حياتي، العقد الأول (1948 – 1958) (دمشق، الطبعة الثانية، 1991)، ص 282، 299؛

Lucien Bitterlin, Hafez el–Assad: Le Parcours d'un Combattant (Paris, 1986), p.34.

إن الضباط الذين كانوا يغيرون ولاءهم بسهولة كانوا أيضاً قادرين على التمتع بأفكار إيديولوجية واضحة. انظر

وقد وصف منيف الرزاز الموقف في النصف الأخير من عام 1965 بقوله:

وتأخذ التحالفات في مثل هذا الصراع شكلاً غريباً لا علاقة للمبادىء به ... أما المبادىء التي يتستر بها النزاع فليست إلا سلاحاً للهجوم على المنافسين، ومخبأ يتقى به المنافسون، وهى قابلة للتبديل في كل مرحلة[115].

فرغم أن جماعات من الضباط كانت تتكون أساساً من أفراد طائفة دينية واحدة إلا أنه كان من السهل أن تتبع معسكرات سياسية معارضة. وقد بدى ذلك واضحاً في ديسمبر (كانون الأول) 1964 عندما تم إبعاد اللواء محمد عمران العلوي من سوريا من قِبل أعضاء آخرين في اللجنة العسكرية بتهمة بناء كتلة طائفية علوية داخل الجيش ولكونه المسئول الأول عن جو الإرتياب الطائفي السائد حينذاك[116]. ولم يقتصر اتهام عمران بنشر الطائفية من قِبل كبار الضباط السنيين فقط مثل الرئيس أمين الحافظ وموسى الزعبي، بل أيضاً من قِبل ضباط علويين بارزين مثل صلاح جديد وحافظ الأسد[117].

على سبيل المثال: مصطفى طلاس، حرب العصابات (بيروت، 1969)؛ مصطفى طلاس، الكفاح المسلح والتحدي الصهيوني (بيروت، غير معلوم التاريخ)؛ محمد عمران، تجربتي في الثورة؛ قارن مجلة الفكر العسكري (دمشق).

وتجدر الملاحظة بأنه بالذات، عقب الاستيلاء على السلطة من قِبل البعث في 1963، "اشتبه" عدد من السنيين في أن سنيين معينين يشغلون مناصب هامة بمؤسسات السلطة السورية ينتمون لأقلية دينية، بينما الأمر في الواقع لم يكن هكذا. قارن خليل مصطفى، سقوط الجولان !؟ ص 210، حيث تم التلميح بأن عبد الحليم خدام (وهو سني من بانياس) علوي، فوفقاً لخليل مصطفى قام خدام وهو محافظ القنيطرة وقبل اندلاع حرب يونيو (حزيران) 1967 بقليل بالسماح للعائلات العلوية فقط بإجلاء الجبهة السورية الإسرائيلية والتوجه لأماكن آمنة، بينما أجبر أعضاء الطوائف الدينية الأخرى على البقاء.

Hanna Batatu, 'Some Observations on the Social Roots of Syria's Ruling, Military Group and the Causes for its Dominance', The Middle East Journal, Vol. 35, Summer 1981, p. 332,

يذكر إن عبد الحليم خدام "قد تزوج عام 1954 بامرأة من عائلة الهواش وهى عائلة عريقة انجبت قادة المتاورة (العلويين) في العصر العثماني ... ثم تزوج فيما بعد بامرأة أخرى من عائلة طيارة وهى عائلة سنية".

[115] منيف الرزاز، التجربة المُرّة، ص 138 .

[116] المصدر السابق، ص 115 , 117، 137 , 138، 159؛ انظر مطاع الصفدي، حزب البعث، ص 349 – 350 .

[117] مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، 5 سبتمبر (أيلول) 1971؛ التقرير الوثائقي، ص 63، 64 قارن مطاع الصفدي، حزب البعث، ص 341 .

ورغم أن جديد والأسد، شأنهما شأن عمران، قد اعتمدا بصورة واسعة على أنصارهما الشخصيين من العسكريين العلويين للاحتفاظ بمراكز سلطتهما، ومن المحتمل أنهما استفادا من الولاءات الطائفية والاقليمية والعشائرية لتقوية مراكزهما، إلا أنهما تمتعا بقدر من الحكمة بحيث لم يعلنا عن ذلك صراحة مثلما فعل عمران.

وقد صرح عمران : "إن الفاطمية يجب أن تأخذ دورها"[118]، كما يبدو، بغية أن يلعب الضباط المسلمون غير السنيين (أي العلويون والدروز والاسماعيليون باعتبارهم "فاطميين") دوراً على أسس طائفية ضد أبرز منافسيه، الرئيس السني والقائد الأعلى للقوات المسلحة السورية أمين الحافظ.

ولم يتحمل معظم الضباط البعثيين مثل هذه التصريحات العلنية المشوبة بالمسحة الطائفية، حيث أنه وفقاً لإيديولوجية البعث القومية العلمانية فإن البعثيين يجب أن يجاهدوا للقضاء على المشاعر الجماعية الطائفية والاقليمية والعشائرية. وفى الفترات اللاحقة من الصراع على السلطة بين الضباط البعثيين ثبت مراراً في التحليل النهائي أن أولئك الذين تحدثوا علانية لصالح تعزيز مراكز طوائفهم الدينية قد أضعفوا من مراكزهم أكثر من إضعافهم لمراكز معارضيهم، الذين بدورهم دعموا مراكزهم على أسس طائفية دون أن يتحدثوا علانية عن الأمر.

وكانت الطموحات الشخصية من بين أهم الأسباب المؤدية للصراع على السلطة بين عمران والأعضاء الآخرين باللجنة العسكرية التي يرأسها الرئيس السني أمين الحافظ. إن استغلال عمران العلني للروابط الطائفية لم يكن السبب الرئيسي في إبعاده من قِبل الأعضاء الآخرين، وإنما تم التشبث به لاستخدامه كحجة ضده[119].

والسمة الطائفية في الصراع على السلطة بين عمران والآخرين لم تكن لتخفى طويلا عن

---

[118] التقرير الوثائقي، ص 64 .

[119] المصدر السابق، ص 63 , 66 .

الصحافة اللبنانية، فلقد ذهبت صحيفة الحياة اليومية اللبنانية المحافظة والمناهضة لحزب البعث لأبعد من ذلك حين نسبت المنافسات بين أبرز القادة العسكريين البعثيين العلويين لاختلافات عشائرية، مشيرة إلى أن محمد عمران ينحدر من اتحاد الخياطين العشائري العلوي، بينما ينحدر صلاح جديد من اتحاد الحدادين. وعلاوة على ذلك، خلصت الحياة إلى أن مركز الضباط العلويين قد ضعف نتيجة إبعاد عمران وأنهم استمروا منقسمين ولم ينحازوا جميعاً لصلاح جديد[120]. إن مثل هذه المزاعم، سواء كانت صحيحة أم كاذبة، لم تمر دون ان تسترعى انتباه البعثيين السوريين، وهذا ما بدا في الأسلوب العنيف في نقد مقالة الحياة على صفحات جريدة "الثورة" وهى الجريدة اليومية السورية التي يسيطر عليها حزب البعث:

> إن الصحف الممولة من قبل بريطانيا، كالحياة، قد دأبت دائماً على إثارة التفرقة الطائفية ... حيث قامت مثل هذه الصحف بتمييز كل حاكم أو ضابط أو مسئول سوري بتحديد ديانته أو عشيرته التي ينتمي إليها، معطية الانطباع بأن الخلافات العشائرية وغيرها بين موظفي الحكومة ستؤدي حتماً لإنهيار النظام في سوريا[121].

أما على الصعيد الداخلي، فقد اعترف حكام البعث السوريون فيما بعد بأن الشائعات التي ترددت، ضمن أمور أخرى، عبر وسائل الإعلام اللبنانية قد خلقت الانطباع لدى بعض أعضاء الحزب بأن السنيين (بزعامة الرئيس أمين الحافظ) قد احرزوا نصراً ضد العلويين عندما تم إبعاد اللواء عمران العلوي من البلاد[122]. بيد أنه، في الواقع، ظل الضباط العلويون البارزون أمثال صلاح جديد وحافظ الأسد بالقوات المسلحة السورية وحظوا بمساندة جماعات عسكرية قوية كانت أيضاً بدون عمران ومناصريه العسكريين تهدد بشكل خطير الرئيس أمين الحافظ، كما بدا واضحاً عام 1965 [123].

---

[120] الحياة، 10 فبراير (شباط) 1965؛ انظر أيضاً "طريق سوريا بعد ذهاب عمران ومدرسته"، الحياة، 26 أكتوبر (تشرين الأول) 1964؛ "السرطان الطائفي يجمد الدولة والشعب"، الحياة، 5 فبراير (شباط) 1966؛ النهار، 15 ديسمبر (كانون الأول) 1964 .

[121] الثورة، 23 فبراير (شباط) 1965 .

[122] المناضل، العدد 3، ابريل (نيسان) 1966، ص 13 . انظر الملحق أ.

[123] يمكن ملاحظة أن عمران من جانب وصلاح جديد وحافظ الأسد من جانب آخر يأتون من مناطق مختلفة. قارن
Van Dusen, Intra- and Inter-Generational Conflict in the Syrian Army, pp. 366-368
حيث يتم التأكيد على أهمية الولاءات الإقليمية في شرح المنافسة بين جديد وعمران: "كان محمد عمران علوياً بارزاً من

الاستقطاب الطائفي في القوات المسلحة

بعد أن نجح أمين الحافظ وصلاح جديد في إبعاد عمران، وهو أبرز منافس لهما في اللجنة العسكرية، أصبح عليهما أن يواجه الواحد منهما الآخر•

وقد وقعت حادثة عام 1965 أيقظت منافستهما الهاجعة في صراع مكشوف على السلطة، وكانت بين جديد والرائد سليم حاطوم الذي كان يقود نخبة جنود المغاوير المتمركزة بالقرب من دمشق•

ومنذ أن تقلد البعث السلطة عام 1963 تطورت التوترات بين كبار قادة اللجنة العسكرية وبين الأعضاء الأقل رتبة في التنظيم العسكري، حيث لعب بعضهم، وخاصة الرائد سليم حاطوم الدرزي، دوراً فعالا في إنقلاب 8 مارس (آذار) 1963، وبالتالي شغلوا مناصب عسكرية قيادية حساسة، ولكن لم يتم تعيينهم في أعلى الرتب العسكرية أو مراكز الدولة والحزب العليا، على عكس قادة اللجنة العسكرية• "ويبدو أن هؤلاء الضباط لم يحسدوا قادة اللجنة العسكرية فقط، بل أيضاً مناضلي الحزب المدنيين الذين تمتعوا بالسمو في الرتبة والوضع، بينما لم يحظوا هم أنفسهم إلا بنصيب في السلطة غير المُمَيزة والتي قد لا يرضى بها الكل"[124]•

وفى وثيقة داخلية للحزب تم وصف هذه التوترات بين العسكريين كما يلي:

بالنظر للدور القيادي الذي اضطلعت به "اللجنة العسكرية" الأولى، بعد قيام الثورة، ولكثرة الصلاحيات والادوار التي قامت بها على مستوى الحزب والجيش والسلطة مما جعل لعناصرها مركزا معينا في تلك المستويات كل ذلك

منطقة حماة، مقرباً من حركة حوراني، إلا أنه أبداً لم يكن أحد رجال الحوراني، ولم يستجب للاعتبارات الدينية التي تعكس الاستيعاب الأكبر للعلويين بمنطقة حماة• (كان هناك استيعاب أفضل للعلويين والاسماعيليين بمنطقة حماة عنه بالمناطق الساحلية)• لقد اعتبره الكثير من الضباط ممثلاً لحماة في وقت تم التخلص فيه من أهم فروع حماة بالجيل الرابع أثناء الصراعات بين الاجيال• ومن ناحية أخرى، ساق صلاح جديد فرع اللاذقية الذي كان يزداد أهميةً في الجيش"•

124

Rabinovich, Syria under the Ba'th 1963- 66, p. 151.

خلق نوعا من الحساسية بين هؤلاء الرفاق، وبين رفاق لهم ادنى منهم رتبة ممن حملوا السلاح صبيحة الثامن من آذار من جهة، وبينهم وبين رفاق آخرين ومن رتب مختلفة لم يتيسر لهم لأسباب متعددة سابقة للثورة حمل السلاح من جهة اخرى. إن تلك الحساسية كانت تتضخم بين الرفاق المذكورين يوماً بعد يوم، وقد كان إهمال اللجنة العسكرية أمور التنظيم، وانغماسها بأمور الحكم عنه، ودخولها دوامة الصراع الذي كان قائما في قيادة الحزب والثورة وانقطاعها عن القواعد العسكرية، سببا في تعميق تلك الحساسية[125].

وتفجر هذا الموقف المتوتر في ابريل (نيسان) 1965 عندما نشب شجار عنيف بين سليم حاطوم وصلاح جديد، فقد اقتحم حاطوم منزل الآخر مهدداً إياه بمسدس وطالباً منه تقديم استقالته الفورية كرئيس أركان الجيش السوري. ويبدو أن حاطوم اعتبر جديد مسئولا عن انه رغم أن له "تصيب الأسد" في تنفيذ انقلاب 8 مارس (آذار) 1963 لم يحظ بأحد المراكز العليا عسكرياً أو حزبياً، على عكس كبار القادة باللجنة العسكرية، كما انه لم يتمتع بالوضع المصاحب لتلك المناصب. وكرد فعل لتهديدات حاطوم قام جديد بتقديم استقالته إلى الفريق أمين الحافظ، القائد الأعلى للقوات المسلحة السورية، الذي رفضها، حيث أن إجبار رئيس الأركان على الاستقالة بهذه الطريقة أمر غير مقبول. وكان على أمين الحافظ أن يتخذ إجراءات تأديبية حيال حاطوم بعد هذه الواقعة، إلا أنه لم يفعل ذلك. وقد فسر منيف الرزاز الأمر على النحو التالي:

فأمين الحافظ سند سليم حاطوم. في باديء الأمر كان يشك في ولاء صلاح جديد إليه واطمأن لسير الأمور. إلا أنه لم يرد أن يوقع عقوبات ضد سليم حاطوم، فصار بينهما حلف، حيث رغب أمين الحافظ أن يكون سليم حاطوم ضد صلاح جديد، وكان صلاح جديد يشعر من الأصل بأن سنده الأساسي لا بد وأن يكون علوياً بقدر الإمكان. وقد شعر هؤلاء بأن أشخاصاً مثل سليم حاطوم يشتغلون على أساس علوي ودرزي وسني ... الخ، فأرادوا التخلص من صلاح جديد[126].

وفى النصف الثاني من عام 1965 غدت المواجهة بين أبرز المنافسين العسكريين واضحة خلال الاجتماعات الحزبية والعسكرية، وكان الحافظ يتطرق باستمرار لموضوع الطائفية ويتهم جديد، وهو

---

[125] أزمة الحزب وحركة 23 شباط، ص 21 . انظر الملحق ج.

[126] مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، 22 نوفمبر (تشرين الثاني) 1974 . انظر أيضاً منيف الرزاز، التجربة المُرّة، ص 160 .

ينتقده بشدة، ببناء كتلته (العلوية) الطائفية داخل الجيش• ولم تُكسب مثل هذه الاتهامات الحافظ أي مساندة، بل كان لها تأثير معاكس أدى لزيادة النفور منه من قِبل الضباط العلويين بشكل عام الذين انحازوا بأعداد كبيرة بدافع حفظ الذات لمعسكر جديد المنافس• ومن ناحية أخرى، ولأسباب مماثلة، التف العديد من الضباط السنيين حول الحافظ، وذلك لشعورهم بمزيد من الأمان داخل معسكر يسيطر عليه اخوانهم في العقيدة، رغم معارضتهم الشديدة لتكوين كتلة طائفية[127]•

ولقد حاول أنصار أمين الحافظ السنيون عمداً خلق كتلة سنية متماسكة داخل الجيش لمعارضة الضباط العلويين والدروز على وجه الخصوص• وكما بدا واضحاً من التحقيقات التي جرت فيما بعد فإن بعض هؤلاء الضباط السنيين قد حاولوا تشجيع الشقاق الطائفي داخل وحداتهم ووحدات الجيش الأخرى، قائلين لضباط الصف والضباط الأقل رتبة ان العسكريين العلويين والدروز يتأهبون للقيام بانقلاب بغية الإطاحة بالرئيس أمين الحافظ السني وبالتالي إخضاع وإذلال المواطنين السنيين• وقد استمر هؤلاء العملاء المحرضون في محاولة إضفاء الانطباع بأن الصراع على السلطة ينصب على مسألة دينية أكثر من كونه العكس، أي أن المشاعر الدينية كانت تُثار بهدف الحصول على السلطة السياسية[128]•

وبمساعدة بعض انصاره السنيين بالمخابرات السورية حاول أمين الحافظ تعضيد مركزه عن طريق إمداد مختلف المجموعات (ومعظمها من السنيين)، والتي تمردت في مراحل سابقة على نظام البعث، بالسلاح والمساندة• وفى وثيقة داخلية للحزب ترجع لعام 1966 أطلق عليهم "رجعيون وناصريون وحورانيون ومحايدون"• وقد اتُهم الحافظ أيضاً بتشجيع هذه المجموعات على تنظيم "عصيان مدني"[129]•

---

[127] المصدر السابق

[128] التقرير الوثائقي، ص 88 – 96 •انظر الملحق ب•

[129] التقرير الوثائقي، ص 34؛ قارن الانوار، 16 مارس (آذار) 1966 • طبقاً للتقرير الوثائقي ص 101، 102 فإن الرائد عبد الغني برو، احد انصار أمين الحافظ السنيين، وزع السلاح على عدد من انصار اكرم الحوراني المدنيين في حماة وغيرهم ممن شاركوا في عصيان حماة الذي اتسم بالطائفية في ابريل (نيسان) 1964 وكان موجهاً ضد النظام البعثي، وشجعهم على القيام بأعمال تخريبية• وطبقاً للمصدر ذاته فإن بدر جمعه رئيس إدارة أمن حلب وأحد انصار الحافظ (السنيين) المخلصين، حاول جاهداً إمداد "مجموعات السنيين الوحدويين" بالسلاح، تأهباً للوقوع الحتمي "لحرب طائفية لصالح الفريق" (أمين الحافظ) وهو أيضاً حلبي•

والتحاق العديد من الضباط العلويين بمعسكر جديد نتيجة هذه التطورات لا يعنى بالضرورة انهم اصبحوا يؤيدونه ويؤمنون بآرائه، ولكنه يعنى انهم تحولوا لجديد ضد الحافظ[130] .

وبينما دفع تصرف أمين الحافظ بدون رغبته الصريحة في ذلك بمعظم الضباط العلويين للمعسكر المعارض، إلا انه في النصف الثاني من عام 1965 فقد أيضاً دعم أهم وابرز مؤيديه من العسكريين الدروز، وخاصة سليم حاطوم وحمد عُبيد اللذين تم التأثير عليهما للانضمام لجانب جديد لأسباب تمت بالكاد، أو لا تمت على الإطلاق، بالوجهة الطائفية من الصراع على السلطة[131]. وقام ابرز الضباط البعثيين الاسماعيليين (وليس كلهم) أمثال احمد المير وعبد الكريم الجندي بتأييد جديد[132]. ورغم اتهامات الحافظ الموجهة ضد جديد بالطائفية، إلا ان اهم انصار جديد من العسكريين السنيين أمثال مصطفى طلاس واحمد سويداني ظلوا ثابتين بجانبه[133]. وأثناء الصراع على السلطة بين الحافظ وجديد أدى التلاعب بالولاءات الطائفية والاقليمية والعشائرية إلى زيادة التوتر داخل القوات المسلحة السورية إلى حد نتج عنه بلوغ استقطاب بعيد المدى بين السنيين وأعضاء الاقليات الدينية، وبالتالي، بدأ التمييز الطائفي

---

[130] مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، 22 نوفمبر (تشرين الثاني) 1974؛ منيف الرزاز، التجربة المُرَّة، 159 ,160 .

[131] للتفاصيل انظر المصدر السابق ص 149 – 151 ؛

Rabinovich, Syria under the Ba'th 1963−66, pp. 161−71, 180−9; Van Dam, De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme, pp. 117−20; Van Dam, 'The Struggle for Power in Syria and the Ba'th Party (1958−1966)', pp. 15−16.

وقد تم تعيين حمد عُبيد وزيراً للدفاع في سبتمبر (أيلول) 1965، كما تحول ولاء جميل شيا، وهو العضو الدرزي المدني الوحيد بالقيادة القطرية آنذاك، عن الحافظ إلى جديد.

[132] قارن

Rabinovich, Syria under the Ba'th 1963−66, p. 182, n. 4.

[133] انظر الحاشية رقم 13 بعاليه.

بالتضاد بين العسكريين يحجب معظم الخلافات الاخرى[134]. وانقسم سلك الضباط إلى معسكرين متنافسين، مع وجود تمثيل كبير للسنيين من جانب والعلويين والدروز والاسماعيليين من جانب آخر. ولم يكن هذا الاستقطاب الطائفي قائماً على اساس الاجماع الطائفي بين العسكريين من طائفة دينية واحدة، بل كان قائماً على المعارضة المشتركة واللاثقة الطائفية[135]. وكان ذلك موجهاً ضد العسكريين من طوائف دينية اخرى والذين كان يُعتقد انهم يشكلون تهديداً لموقف الطرف الآخر. وقد تم تفسير سلوكهم كشكل من اشكال الطائفية والاقليمية و/أو العشائرية بهدف تعضيد مركزهم كمجموعة دينية واقليمية و/أو عشائرية ضد مصلحة المجموعات الاخرى.

ولم تنعكس المنافسة بين الحافظ وجديد على القوات المسلحة وتنظيم الحزب العسكري فحسب، بل أيضاً على العلاقات فيما بين المؤسسات المدنية الرئيسية لحزب البعث، كما ظهرت جلية، على وجه الخصوص، في المنافسة القائمة بين القيادة القطرية السورية تحت سيطرة جديد وانصاره والقيادة القومية تحت سيطرة أمين الحافظ وقدامى البعثيين بقيادة ميشيل عفلق. وفى السنوات التي تلت عام 1963 كادت القيادة القومية أن تفقد سيطرتها الكلية على جهاز الحزب في سوريا والذي كان يتبعها رسمياً.

وفى النصف الثاني من عام 1965 سعت القيادة القومية للتوسط بين جديد والحافظ، وفى محاولة لتقوية مركزها سعت لاستغلال المنافسة بين الحافظ وجديد بغية ضرب احدهما بالآخر. وعندما تم عزل الحافظ عام 1965 داخل القيادة القطرية السورية من قِبل انصار جديد حاول بدوره شأنه شأن عمران في ديسمبر (كانون الاول) 1964 التقرب من القيادة القومية، بأمل تقوية مركزه في جهاز الحزب في القطر السوري[136]. وفى محاولة لتحطيم سيطرة جديد على جهاز الحزب السوري قررت القيادة القومية في 19 ديسمبر (كانون الأول) 1965 أن تتقلد زمام السلطة بالكامل عن طريق حل القيادة القطرية السورية[137].

---

[134] قارن منيف الرزاز، التجربة المُرَّة، ص 160 .

[135] قارن وصف ويلرس "المُركَب الاقلية"، انظر الفصل الأول.

[136] انظر

Van Dam, De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme, pp. 137–8, n. 37.

[137] منيف الرزاز، التجربة المُرَّة، ص 165, 168، 194 .

وبعد ذلك أعلنت القيادة القومية ضرورة عودة الانضباط العسكري للجيش، وذكر بيان داخلي موجه للعسكريين ما يلي:

ان القيادة القومية تشجب التصفية وستحمى الرفاق جميعاً من أية محاولة تستهدف هذا الغرض ولكنها في نفس الوقت لا تسمح "باستملاك" قطعات من الجيش وتحويلها الى كتل شخصية.
ستكون القيادة القومية ضد كل ولاء غير الولاء للحزب. فهي ضد الطائفية والطرح الطائفي وضد الولاء الشخصى. وضد التكتلات العشائرية وهى لا تعرف ولاء الا للحزب. القيادة القومية مع رئيس الوزراء ووزير الدفاع هي المرجع في المرحلة الحاضرة في حل مشكلة الجيش، وإبعاده عن التدخل في السياسة وشئون الحكم وفي اعادته لعسكريته. على القيادة القومية مع رئيس الوزراء ووزير الدفاع ان تجرى التنقلات العسكرية الكفيلة بإزالة حالة التوتر والقلق والتدخل[138].
ان الاستقطاب الطائفي في القوات المسلحة السورية الى معسكرات منافسة قد صعب الامر للغاية بالنسبة للقيادة القومية من حيث ايجاد وزير دفاع جديد يكون مقبولا لدى المجموعتين ويكون قادراً أيضاً على استعادة الانضباط العسكري[139].

وطبقاً لما يذكره الرزاز فان اثنين فقط من كبار الضباط البعثيين وهما محمد عمران وفهد الشاعر (درزي) كانا مؤهلين لمنصب وزير الدفاع لعدم انتمائهما لأحد الاطراف المتنافسة. وكان عمران هو الوحيد من بين كبار الضباط العلويين الذي لم ينضم للمعسكر الذي سيطر عليه جديد، حيث أن جديد (شأنه شأن الأسد والحافظ) كان ضمن المسئولين عن إبعاد عمران من سوريا في ديسمبر (كانون الأول) 1964[140]. وكان من المحتمل ان يُفسر تعيين ضابط سني وزيراً للدفاع كإهانة شخصية من قِبل الضباط العلويين، وبالتالي، كان من الممكن أن يبرز هذا الصبغة الطائفية في الصراع على السلطة. وعليه، فان

---

[138] حزب البعث العربي الاشتراكي، القيادة القومية، نشرة الى الرفاق العسكريين رقم 1 ، يناير (كانون الثاني) 1966 .

[139] قدمت وزارة الدكتور يوسف زعين والتي كانت تتكون أساساً من مؤيدي صلاح جديد استقالتها في 22 ديسمبر (كانون الاول) 1965، أي، بعد حل القيادة القطرية السورية بوقت قصير.

[140] منيف الرزاز، التجربة المُرّة، ص 181 -182 .

اقتراحاً بتعيين محمد رباح الطويل (سني من اللاذقية) وزيراً للدفاع قد رُفض[141]. وأخيراً، فضلت الغالبية داخل القيادة القومية بمن فيهم أمين الحافظ ان يكون عمران وزيراً للدفاع، حيث انضم الاخير في 2 يناير (كانون الثاني) 1966 لوزارة صلاح الدين البيطار الجديدة بهذه الصفة.

وكانت الحجة الرئيسية المستخدمة في صالح تعيين عمران انها ربما تزيل الصبغة الطائفية في الصراع على السلطة عن طريق تهدئة الضباط العلويين[142]، كما ان لتعيينه مزايا تكتيكية لأمين الحافظ ومعظم القيادة القومية، بيد انه يمكن ان يسبب تصدعاً في الاجماع النسبي بين الضباط العلويين، حيث يمكن ان يتجمع جزء منهم حول عمران، بينما يبقى الجزء الآخر موالياً لجديد، ومثل هذا الانشقاق قد يقوى مركز أمين الحافظ ومعظم القيادة القومية، فتنجح بالتالي في تنفيذ خططها[143].

ان اسلوب الحافظ العدائي تجاه الضباط العلويين، حيث فقد الثقة بشدة في معظمهم، جعل أي نوع من التعاون المثمر بينه وبين محمد عمران امراً مستبعداً للغاية. وخلال أيام قليلة من تعيين عمران وزيراً للدفاع توترت العلاقات بينهما، بحيث أصبح من العسير إجراء تنقلات لوحدات عسكرية أقل حساسية لمن هم أكثر تهديداً لنظام القيادة القومية، أي، سليم حاطوم وعزت جديد (علوي) واحمد سويداني.

وكان منيف الرزاز يرى ان إجراء التنقلات لهؤلاء الضباط الثلاثة كان ممكناً خلال 20 فبراير

---

[141] التقرير الوثائقي، ص 96 .

[142] كان هناك حجة إضافية للبيطار، رئيس الوزراء، لتعيين عمران وهى انه شخصياً مؤَيدٌ ببعض أنصار عمران العلويين (مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، 22 نوفمبر (تشرين الثاني) 1974).

[143] مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، 22 نوفمبر (تشرين الثاني) 1974؛ مقابلة مع شبلي العسيمي، بغداد، 30 أغسطس (آب) 1971؛ منيف الرزاز، التجربة المُرّة، ص 160؛ قارن

Macintyre, The Arab Ba'th Socialist Party, pp. 370, 382;

المناضل، العدد 8، أوائل سبتمبر (أيلول) 1966، ص 13؛ التقرير الوثائقي، ص 36 ,39، 43، 44. صرح حافظ الأسد فيما بعد ان القيادة القومية آنذاك قد اقترحت تعيين عمران وزيراً للدفاع "للاستفادة من أواصر عمران وأمين الحافظ مع بعض الكتل داخل القوات المسلحة، وذلك لتصفية القيادة القطرية بمساعدتهما، وبالتالي، التخلص من عمران بتحريضهما الواحد ضد الآخر". (الانوار، 15 نوفمبر (تشرين الثاني) 1970).

(شباط) 1966 بمساعدة أبرز وأهم أنصار عمران العلويين، وهو على مصطفى، قائد كتيبة باللواء السبعين، الذي ساند معظم القيادة القومية. ولكن أمين الحافظ الذي كان قد اكتسب في هذا الوقت تقريباً عقدة نفسية ضد العلويين وأصبح يعتبر جميع العلويين تقريباً أعداء شخصيين له رفض ان يقوم علوي وأحد مؤيدي القيادة القومية والذي كان معارضاً لعسكريين أمثال حاطوم وجديد وسويداني بحشد وحداته العسكرية. وعندما قام على مصطفى بذلك، بناء على اقتراح الرزاز، أمر أمين الحافظ بإلغاء هذه الخطوة على الفور.

وعليه، فقد أصبح مستحيلاً إتخاذ الإجراءات الإحتياطية الضرورية لنقل أخطر معارضي القيادة القومية العسكريين، كما أصبح الطريق مفتوحاً أمام أنصار جديد للقيام بانقلاب عسكري ناجح[144].

وثبت ان كتلة الضباط العلويين التي تجمعت خلف عمران بعد عودته من المنفى ضعيفة نسبياً، وبعبارة أخرى، فلم يتسبب تعيينه في انشقاق خطير بين الضباط العلويين كما كان مأمولا ومتوقعاً من قِبل أمين الحافظ ومعظم القيادة القومية.

ولقد قوبل تعيين عمران بنقد شديد داخل القوات المسلحة، فبدا وكأنه شخص غير مرغوب فيه بين جميع الضباط غير العلويين وبين الغالبية العظمى من الضباط العلويين، الذين انتقدوا بشدة ممارساته الطائفية التي يحيكها خلف الكواليس، وفضلوا رحيله على شغله مركزاً عسكرياً مهماً كهذا[145].

وكانت المهمة الرئيسية المسندة لعمران كوزير للدفاع هي استعادة الانضباط العسكري بالقوات المسلحة[146]. ولكن بعد تعيينه أخذت التوترات الطائفية في التصاعد بدلا من التلاشي. وطلب بعض

---

[144] مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، 22 نوفمبر (تشرين الثاني) 1974

[145] المصدر السابق.

[146] يبدو من المشكوك فيه ان يكون اعضاء القيادة القومية مثل عفلق قد اعتقدوا فعلاً ان عمران قادر على استعادة الانضباط العسكري بالقوات المسلحة، حيث انه اشتهر باستغلال المشاعر الطائفية الجماعية من أجل تعضيد مركزه الشخصي.

أعضاء الحزب العسكريين إبعاده من الحزب والسلطة معاً بسبب ممارساته الطائفية العلنية، فقد عارضوا أي نوع من الطائفية والاقليمية، وبلغ بهم الحد لأن يقترحوا محاكمة الأشخاص الذين يقعوا تحت تأثير هذه العوامل[147]. وكل هذا كان مؤشراً واضحاً للموقف المتأزم حينذاك داخل القوات المسلحة السورية.

وفى 23 فبراير (شباط) 1966 تمت الإطاحة بالرئيس أمين الحافظ ومعارضي جديد الآخرين بالقيادة القومية عن طريق انقلاب عسكري تم تنفيذه ولعب فيه سليم حاطوم وعزت جديد دوراً رئيسياً.

وقد احتشدت على الفور الوحدات المسلحة المتمركزة حول دمشق والواقعة تحت سيطرة الضباط العلويين والدروز وراء الانقلاب. وجاءت المعارضة الرئيسية من وحدات الجيش المتمركزة بعيداً عن العاصمة كاللاذقية وحماة وحمص وحلب، حيث حاول العديد من الضباط السنيين المساندين لأمين الحافظ تحويل الموقف العسكري والسياسي لصالحهم[148].

وحقيقة ان وحدات الجيش المتمركزة حول دمشق مباشرة ابدت القليل من المقاومة تجاه الانقلاب هي نتيجة للتكتيكات السابق ذكرها الخاصة بأعضاء الأقليات بالقيادة العسكرية السورية: ضباط "موثوقون" بناء على خلفيات طائفية، نظراً لإنحدارهم من طوائف أقليات دينية واحدة، تمركزوا بالقرب من دمشق، بينما أولئك "غير الموثوقين" لأسباب مشابهة لكونهم سنيين تمركزوا بالقرب من الجبهة الاسرائيلية أو بعيداً عن العاصمة بالقرب من شمال البلاد[149].

واسفر الانقلاب الجديد عن تصفية بعض جماعات الضباط السنيين البارزة، كما تم تسريح أهم أعضاء كتلة عمران. وفى غضون عام 1966 تم تصفيتهم أيضاً بصفة رسمية من تنظيم الحزب

---

[147] التقرير الوثائقي، ص 65، 66 .

[148] المصدر السابق ص 104 – 108 .

[149] انظر منيف الرزاز، التجربة المُرَّة، ص 159؛ انظر التقرير الوثائقي، ص 34,33، حيث يُذكر أن الحافظ كان مؤيداً بشكل خاص من قِبل ضباط في المخابرات، ولا سيما هؤلاء المتمركزين في دمشق وحمص وحلب واللاذقية والقنيطرة.

العسكري بتهمة إدانتهم بتكوين كتل طائفية واقليمية و/أو عشائرية داخل القوات المسلحة السورية[150].

ان نسبة كبيرة وملفتة من الذين تمت تصفيتهم بهذه الطريقة كانت من السنيين[151]، وقد نتج عن هذا ازدياد تمثيل أعضاء الأقليات الدينية مرة أخرى، وخاصة المسلمين غير السنيين، مما لم يكن في صالح السنيين.

[150] المناضل، العدد 11، منتصف ديسمبر (كانون الاول) 1966، ص 9؛ الحياة، 30 ديسمبر (كانون الاول) 1966 . لذلك، اتُهِم مصطفى عمران "بالاشتراك في قيادة كتلة طائفية وعشائرية" او بعبارة أخرى الاشتراك في قيادة جماعة من الضباط العلويين لعبت فيها عائلة عمران دوراً رئيسياً.

[151] قارن نشرات القيادة القطرية السورية لحزب البعث، 14 و 17 يوليو (تموز) 1966 . وللحصول على بيان باسماء الضباط المسرحين انظر

Van Dam, De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme, p. 143, n. 84.

الفصل الرابع

تصفية الضباط الدروز ككتل منفصلة داخل القوات المسلحة السورية

التنظيم السري للقيادة القومية المخلوعة

تمكن منيف الرزاز، الامين العام للقيادة القومية المخلوعة من النجاة من الاعتقال بعد انقلاب 23 فبراير (شباط) 1966 واختبأ في دمشق وبدأ في تشكيل تنظيم جديد للحزب من أماكن اختفائه المتغيرة باستمرار، مكون من قطاعات عسكرية ومدنية منفصلة، الهدف الرئيسي منه إعادة تقلد القيادة القومية للسلطة. وقد تزعم منيف الرزاز بنفسه القطاع المدني، بينما أبدى اللواء فهد الشاعر، الدرزي، رغبته في أن يأخذ على عاتقه مهمة إنشاء المكتب العسكري وتزعم تنظيم الحزب العسكري. وبالرغم من أن جهاز حزب منيف الرزاز المكون حديثاً كان يقبل من حيث المبدأ أفراداً من جميع الطوائف الدينية كأعضاء، إلا أن ذلك لم يكن الحال بالنسبة لقطاع الحزب العسكري والذي استثنى العلويين بصفة خاصة.

وفى الصراع على السلطة الذي حدث في الجيش السوري قبل 23 فبراير (شباط) 1966، كانت الولاءات الطائفية هامة جداً وكانت الثقة بين الضباط من مختلف الطوائف الدينية مهزوزة لدرجة أن أعضاء المكتب العسكري لفهد الشاعر رفضوا في البداية السماح للعلويين بالانضمام لتنظيمهم، خوفاً من أن تنكشف خططهم لأنصار صلاح جديد وحافظ الأسد العلويين[152].

---

[152] تكوّن المكتب العسكري في القيادة القومية المخلوعة على النحو التالي: فهد الشاعر (درزي) أميناً، صلاح نمور (سني)، مجلي القائد (مسيحي من بصير، حوران)، علي سلطان، شريف سعود وعلي الضماد (سني من حوران). ولم تبق عضوية المكتب العسكري على حالها، بل تغيرت عدة مرات. وهكذا، كان المقدم إسماعيل هلال عضواً أيضاً لمدة قصيرة. (مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، 22 نوفمبر (تشرين الثاني) 1974؛ حزب البعث العربي الاشتراكي، القيادة

وفى مطلع عام 1967، حوكم عدد من الضباط في دمشق بتهمة اشتراكهم في مؤامرة القيادة الوطنية المخلوعة، والتي باءت بالفشل في سبتمبر (أيلول) 1966 • وقد اتُهم منيف الرزاز حينذاك من قِبل أنصار نظام القيادة القطرية السورية باعطاء تعليمات لبعض الضباط، خاصة الرائد مصطفى الحاج علي والمقدم صلاح نامور (سنيان) "لقبول أعضاء من طوائف معينة فقط ضمن تنظيماتها" لكي "يثيروا ويستغلوا المشاعر الطائفية" في محاولة لاسقاط القيادة القطرية السورية[153]• وفى مقابلة اجريت في وقت لاحق مع منيف الرزاز علق على تلك الاتهامات بالطائفية بما يلي :

إذاً، من الأصل، لم استبعد العلويين، بل بالعكس، فبعد 23 شباط 1966 شمل التنظيم المدني للحزب الذي أسسناه سراً، وكان معارضاً لصلاح جديد وحافظ أسد وسليم حاطوم، عدداً كبيراً من العلويين• وعندما بدأنا في تأسيس التنظيم العسكري وكلفنا فهد الشاعر بهذه المهمة، وبدأ بالفعل في تشكيل قيادة المكتب العسكري، طالبته كما طالبه الاستاذ ميشيل (عفلق) عن طريق رسالة مبعوثة من بيروت بعد سفره إلى هناك، باشراك علي مصطفى (وهو ضابط علوي) في المكتب العسكري• في الواقع ان الروحية التي نشأت قبل 23 شباط 1966 مباشرة جعلت النزاع يأخذ الشكل الطائفي إلى حد كبير وجعلت الضباط العسكريين بقيادة المكتب العسكري حريصين على ان لا يشركوا علويين معهم، طالما هذا العمل سرى، وخشوا من ان اشراك العلويين قد يقود إلى كشف التنظيم السري القائم•

فعلى رغم تبادل رسائل بيني وبينهم لادخال علي مصطفى اكثر من مرة، إلا أنهم اجمعوا على حل القيادة العسكرية في حالة انضمامه• فاضطررت ان اقبل، ووافقت على التأجيل (لانضمام علي مصطفى للمكتب العسكري) طالما الثقة غير موجودة•

لقد كان علي مصطفى ببالنا، فرغم أنه أُخرج من الجيش وعُين بالسلك الدبلوماسي السوري بالخارج إلا أنه كان يأتي إلى سوريا ويجتمع بحافظ أسد• واعتقد انه في ذلك الوقت كان من الممكن استغلال وجود علي مصطفى، حتى للفصل بين حافظ أسد وصلاح جديد، فشخص مثل علي مصطفى مقرب الى حافظ أسد وإن كان قد سُرح من الجيش، وبالدرجة الأولى مقرب الى محمد عمران، وعواطفه مع القيادة القومية، كان يمكن الاستفادة منه• لكن المكتب العسكري رفض ان يدخل في القيادة أي علوي، خشية من ان ينكشف، لأن الروابط العلوية في ذلك الوقت

القومية، مقررات المؤتمر القومي التاسع المنعقد فى النصف الثاني من أيلول 1966 (دمشق) (من الآن فصاعداً مقررات المؤتمر القومي التاسع)، ص 70؛ البعث، 29 و31 يناير (كانون الثاني) 1967، 5 و15 و28 مارس (آذار) 1967؛ الثورة، 29 يناير (كانون الثاني) 1967)•

[153] البعث، 6 فبراير (شباط) 1967 •

كانت في أوج قوتها٠ ولكن التنظيم المدني كان يضم علويين٠ إذاً، نحن لم نعارض ضم العلويين، إلا أن التنظيم العسكري حساس فعلا ٠٠ فقال الضباط: "لا داعي للعلويين في هذه المرحلة على الاطلاق" وهذا لا يعنى انهم ضد العلويين ولكن في هذه المرحلة التي تحتاج الى ثقة من نوع خاص نرفض دخول العلويين[154]٠

وفى الحقيقة، فإن جهود القيادة القومية المخلوعة لالحاق علي مصطفى بالمكتب العسكري الذي يقوده فهد الشاعر ماثلت تعيين اللواء محمد عمران، العلوي، فيما سبق وزيراً للدفاع في يناير (كانون الثاني) 1966، ففي كلتا الحالتين كان تعيين ضابط علوي بارز والذي كان من المفترض أن يتعاطف مع بعض أعضاء القيادة القومية على ما يبدو بغرض إحداث انشقاق بين الضباط العلويين الآخرين٠

تنظيم سليم حاطوم السري

عقد الحكام السوريون الجُدد مؤتمراً قطرياً استثنائياً لحزب البعث في دمشق بعد انقلاب 23 فبراير (شباط) 1966 لمناقشة الأسباب المؤدية للانقلاب٠ وقد تقرر معاقبة جميع أولئك الذين اتخذوا مواقف تقوم على ولاءات طائفية أو اقليمية أو عشائرية معاقبة شديدة، وخاصة إذا كانوا من أعضاء الحزب٠ كما أُعلن أن "حركة 23 شباط" لم تكن فقط رداً على ما يسمى "بالعقلية اليمينية الدكتاتورية" لأعضاء القيادة القومية المخلوعة واللواء أمين الحافظ، ولكن قُصد بها أيضاً وضع حد للمناورات الطائفية٠ وقد رُفضت بشدة الاتهامات الموجهة ضد أولئك الذين تقلدوا زمام السلطة في 23 فبراير (شباط) بأن سلطتهم مستندة على الروابط الطائفية والإقليمية بحجة أن الإنقلاب تم بمعرفة أفراد "من جميع المحافظات السورية"٠ وقيل أن الأمر ذاته ينطبق على أولئك الذين قُبض عليهم أو طُردوا من البلاد والذين عُرفوا بأنهم ليسوا "جماعة منفصلة" وليسوا أعضاء في "طائفة دينية معينة"[155]٠ بيد أنه في الفصل السابق قد أوضحنا كيف أن تشكيلات الكتل الطائفية والإقليمية والعشائرية لعبت دوراً هاماً في الصراع على السلطة بين المعسكرين الرئيسيين المتعارضين في الشهور التي سبقت الانقلاب٠

---

[154] مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، 22 نوفمبر (تشرين الثاني) 1974 ٠

[155] المناضل، العدد 3، ابريل (نيسان) 1966، ص 13 ٠ انظر الملحق أ٠

ومن الملفت للأنظار أنه في نهاية المؤتمر القطري الاستثنائي لم يتم إعادة انتخاب اثنين من أبرز وأهم الضباط الدروز بالتنظيم العسكري في القيادة القطرية الجديدة[156]، وهما حمد عبيد وسليم حاطوم، اللذان كانا من أعضاء القيادة القطرية السورية المؤقتة التي تقلدت زمام الحكم رسمياً في 23 فبراير (شباط) 1966 •

لقد فقد حمد عبيد مركزه البارز في الحزب (وفى الجيش) نتيجة الموقف الذي اتخذه بعد فترة وجيزة من انقلاب 23 فبراير (شباط) 1966، وكان عبيد وزيراً للدفاع بوزارة الدكتور يوسف زعين التي استقالت في 22 ديسمبر (كانون الأول) 1965 اثر حل القيادة القطرية السورية، واعتقد أن لديه الحق في استعادة مركزه السابق بالحكومة كمكافأة لدعمه لجديد ضد الحافظ منذ سبتمبر (أيلول) 1965، عندما عُين لأول مرة وزيراً للدفاع[157]، إضافة إلى أن الحافظ والقيادة القومية قد تم الإطاحة بهما الآن• ومع افتقاد عبيد لمؤهلات القيادة والإشاعات التي كانت تتردد حول فساد سلوكه، بات واضحاً أن وزارة الدفاع بأهميتها لن تُسند إليه ثانية، وخاصة وأن مساندته لجديد لم تعد ذات أهمية[158]•

لذلك، فإن تعيين حافظ الأسد وزيراً للدفاع في 23 فبراير (شباط) 1966 (حتى قبل إعلان مجلس الوزراء الجديد) قد قُوبل بالنقد الشديد والرفض من قِبل حمد عبيد الذي، بالتالي، تورط في مشكلات مع النظام الجديد[159]• وبعد فترة وجيزة من الانقلاب حث أنصار أمين الحافظ حمد عبيد، الذي خاب أمله،

---

[156] الحياة، 29 مارس (آذار) 1966 •

[157] حمد عبيد فى مقابلة مع ماكنتير،

The Arab Ba'th Socialist Party, pp. 393−4.

[158] ترددت الشائعات حول نشاطات عبيد الفاسدة حتى قبل تعيينه وزيراً للدفاع• وافتقاده لمؤهلات القيادة اللازمة لمثل هذا المنصب الهام كان أمراً معروفاً داخل سلك الضباط• وقد اشتكى ضباط الوحدات فى قطنا، حيث كان عبيد قائداً للوائين قبل توليه منصب وزير الدفاع، من ضعف شخصيته وعدم قدرته على تزعم رجاله• وقد أدى هذا إلى قيام قادة الوحدات بقطنا على حد تعبيرهم بتسيير أمور وحداتهم العسكرية "بالتسيير الذاتي" (مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، 5 سبتمبر (أيلول) 1971)•

[159]

Macintyre, The Arab Ba'th Socialist Party, pp. 3934;

على خلق أوضاع في حلب تساعد على القيام بانقلاب مضاد من جانبهم[160]. بيد أن خطط الانقلاب المضاد هذه باءت بالفشل وتم القبض على عبيد ومعظم المتورطين في الانقلاب من قِبل أنصار النظام الجديد[161].

وقد ضعف وضع سليم حاطوم في الحزب بسبب النقد الشديد للوحشية التي تم بها اتخاذ أمين الحافظ سجيناً[162]. ورغم أن سليم حاطوم كان له "تصيب الأسد" في تنفيذ انقلاب 23 فبراير (شباط) 1966، إلا أنه لم يُكافأ على دوره الفعال والحاسم، بل أيضاً فقد اعتباره في الحزب. وقد شعر بأنه خُدع من قِبل صلاح جديد، الذي أيده في الانقلاب، كما شعر بأنه ظُلم لعدم منحه الوظائف العسكرية والسلطة التي اشتهاها. كل هذا جعله على استعداد للتآمر ضد النظام الجديد الذي كان قد سبق وساعده في الوصول للسلطة. وعلى أمل تحقيق طموحاته أخيراً، بدأ حاطوم في بناء تنظيم عسكري خاص به، حيث كانت غالبية الضباط الصغار من جبل الدروز وكانوا في معظم الحالات أعضاء بطائفة الدروز. وبالإضافة إلى بعض الضباط الدروز البارزين مثل المقدم طلال أبو عسلي، قائد وحدات الجيش السوري على الجبهة مع إسرائيل وأمين فرع الحزب العسكري المتطابق، فإن القيادة ضمت بعض الأشخاص من غير الدروز، مثل مصطفى الحاج علي، القائد السني لجهاز المخابرات العسكرية، وهو من حوران، المحافظة السورية الجنوبية المتاخمة لجبل الدروز[163].

النهار، 4 مارس (آذار) 1966؛ البعث، 24 فبراير (شباط) 1966 .

160 مقررات المؤتمر القومي التاسع، ص 68 .

161 التقرير الوثائقي، ص 104 –108؛ مقررات المؤتمر القومي التاسع، ص 68،69؛ النهار، 27 فبراير (شباط) 1966، 4 و 8 مارس (آذار) 1966؛ المحرر، 28 مارس (آذار) 1966 . خلال المحاكمات الحزبية التي جرت فى أواخر عام 1966 اتُهم حمد عبيد بالثراء غير المشروع وسوء استخدام السلطة. قارن المناضل، ملحق العدد 5، يونيو (حزيران) 1966، ص 9؛ الحياة، 1 و 5 مايو (آيار) 1966؛ الجريدة، 4 مايو (آيار) 1966 . طبقاً للحياة، 12 يونيو (حزيران) 1966 عارض حاطوم بشدة مصادرة أملاك حمد عبيد، أحد أعضاء طائفته الدينية.

162 قارن النهار، 1 مارس (آذار) 1966 و16 سبتمبر (أيلول) 1966 .

163 تطلع الرائد حاطوم الذي كان يقود كتيبة المغاوير بالجيش إلى منصب قائد لواء مدرع، مع إعطائه مسئولية إدارة شئون الأمن بالجيش (مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، 22 نوفمبر (تشرين الثاني) 1974؛ الثورة، 29 يناير (كانون الثاني) 1967؛ البعث، 30 يناير (كانون الثاني) 1967).

وفى القطاع المدني، اتصل حاطوم بأعضاء ما يسمى بجماعة الشوفيين والتي كانت تتشكل أساساً من الدروز· وجماعة الشوفيين هذه (والتي تُعرف أيضاً في نشرات حزب البعث بالمنشقين) كانت إحدى جماعات حزب البعث السوري تحت قيادة حمود الشوفي (درزي من السويداء) الذي شغل منصب الأمين العام للقيادة القطرية السورية في الفترة من سبتمبر (أيلول) 1963 حتى فبراير (شباط) 1964 ولعب فيها دوراً هاماً في إعادة بناء الجهاز المدني لحزب البعث في سوريا· وقد تمتعت جماعة الشوفيين باتجاهات ايديولوجية قوية، وبالذات بالأفكار الماركسية، كما كان لها العديد من الاتباع في الكثير من فروع الحزب السورية· بيد أن اتباع تلك الجماعة كانوا أكثر عدداً في فرع الحزب بمنطقة مسقط رأس حاطوم: جبل الدروز· إن موقفهم المتسم بالنقد تجاه معظم قادة اللجنة العسكرية قد أدى إلى تصفية بعض أعضاء جماعة الشوفيين البارزين (بمن فيهم حمود الشوفي) من حزب البعث في 1964 و 1965[164]· وفى عام 1966 كان هناك لا يزال بعض أنصار الجماعة داخل جهاز حزب البعث بالنظام الجديد، حيث قام سليم حاطوم بتمثيلهم لحد ما في الجيش[165]· ويرجع تاريخ علاقة حاطوم بجماعة الشوفيين إلى عام 1963 عندما أخذوا يفقدون السلطة داخل الحزب واختاروا حاطوم كي يكون قائدهم العسكري[166]·

وربما يكون انحدار العديد من أبرز أعضاء جماعة الشوفيين من جبل الدروز، شأنهم شأن سليم حاطوم، قد حثهم على التعاون معه، رغم عدم تمسكه بوجهة نظر ايديولوجية محددة وواضحة·

لكن تنظيم حاطوم العسكري وتنظيم القيادة القومية المخلوعة افتقدا القوة القادرة على اسقاط نظام جديد والأسد، ولأسباب تكتيكية بحتة قرر حاطوم وأعضاء المكتب العسكري بقيادة فهد الشاعر التعاون

---

[164] التقرير الوثائقي، ص 31 -32 ·

[165] مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، 22 نوفمبر (تشرين الثاني) 1974؛ التقرير التنظيمي 1965، ص 3937؛ المناضل، رقم 9، منتصف سبتمبر (أيلول)، 1966 ·

[166] سامي الجندي، البعث، ص 149 · كما أن حمد عبيد تعاطف لبعض الوقت مع جماعة الشوفيين· (مقابلة مع أمين الحافظ، بغداد، 12 سبتمبر (أيلول) 1973)·

معاً، وظل التنظيمان العسكريان منفصلين عن بعضهما البعض، بينما تعاون قادتهما معاً إلى حد ما[167]. وقد عُقدت عدة اجتماعات بين ممثلي الجماعتين، حيث وُضعت خطة بهدف الإطاحة بالنظام القائم[168]. ونظراً للعلاقة السابقة بين حاطوم والقيادة القومية التي أُطيح بها بمساعدته، فانه بات واضحاً ان كلتا الجماعتين تعاونتا فقط بهدف تخلص الواحدة من الأخرى فيما بعد[169].

الاستقطاب الطائفي العلوي – الدرزي وانقلاب سليم حاطوم الفاشل (8 سبتمبر (أيلول) 1966)

في 10 أغسطس (آب) 1966، حدث أن اكتشفت القيادة القطرية السورية بطريق الصدفة خطط الانقلاب المُدبر من قِبل القيادة القومية المخلوعة وسليم حاطوم، وتمكنت تدريجياً خلال بقية الشهر من معرفة أسماء الأشخاص الآخرين المتورطين في الانقلاب المُدَّبر.

وقد اختار فهد الشاعر يوم 3 سبتمبر (أيلول) 1966 موعداً مناسباً للانقلاب العسكري، بيد أنه فيما بين 25 أغسطس (آب) و 3 سبتمبر (أيلول) 1966 تكشف الجزء الأكبر من التنظيم العسكري السري للقيادة القومية المخلوعة، بما في ذلك تشكيل مكتبه العسكري. وحيث أنه تم اعتقال العديد من ضباطه، فقد أصبح غير محتمل قيامه بأي عمل ناجح ضد نظام القيادة القطرية. لذلك، فقد لجأ فهد الشاعر للاختباء، بناء على تعليمات الرزاز، وتخلى عن أي خطط أخرى للتعاون مع حاطوم عسكرياً. بيد أن حاطوم ذاته استمر في مؤامراته ضد القيادة القطرية، حيث انتهى الأمر بانقلاب فاشل في 8 سبتمبر (أيلول)[170].

---

[167] مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، 22 نوفمبر (تشرين الثاني) 1974 .

[168] مقررات المؤتمر القومي التاسع، ص 70 . طبقاً للرزاز فانه تم إطلاع حاطوم على تفاصيل الانقلاب الذي خطط له أساساً فهد الشاعر، وذلك قبل أيام من ساعة الصفر. ولم يتم إطلاعه قبل ذلك، حتى لا يتسنى له معرفة وحدات الجيش التي تضم أعضاء من التنظيم العسكرى للقيادة القومية. ففي الواقع، أبداً لم يثق قادة المكتب العسكرى للقيادة القومية فى حاطوم. (مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، 22 نوفمبر (تشرين الثاني) 1974).

[169] قارن المناضل، العدد 9، منتصف سبتمبر (أيلول) 1966، ص 1 .

[170] مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، 22 نوفمبر (تشرين الثاني) 1974 .

وفى أوائل سبتمبر (أيلول) 1966 شرع كل من سليم حاطوم وطلال ابو عسلي ومصطفى الحاج علي في الانتقاد العلني للاعتقالات التي جرت في أغسطس (آب) للضباط المتورطين في المؤامرة التي تكشفت أخيراً، وركزوا في انتقادهم على ما تردد عن عدم وجود ضابط واحد علوي من بين الضباط المعتقلين أو المطلوبين للاعتقال، بل كونهم جميعاً أعضاء من طوائف دينية أخرى. وبالنسبة لحاطوم وابو عسلي والحاج علي (كما ورد فيما بعد) كانت هذه "مسألة حساسة" يقع عبئها على عاتق قيادة الجيش والحزب[171].

وقد استطاع سليم حاطوم استغلال القضية الطائفية بالاشارة إلى حقيقة أنه منذ انقلاب 23 فبراير (شباط) 1966 قد تم تصفية ضباط دروز بارزين من الجيش والحزب، أمثال حمد عبيد، والآن جار اعتقال القادة الدروز أمثال طلال ابو عسلي وفهد الشاعر الذي يشغل أعلى الرتب بين الضباط الدروز في الجيش السوري من قِبل قيادة الجيش بتهمة التورط في المؤامرة التي تكشفت أخيراً[172].

ولم يكن غريباً أن نسبة كبيرة من الدروز كانوا ضمن الضباط المعتقلين بصدد هذه المؤامرة، حيث كانوا يشكلون العضوية الأساسية لتنظيم حاطوم العسكري السري. إضافة إلى ذلك، نجد أن فهد الشاعر، عندما شرع في بناء التنظيم العسكري السري للقيادة القومية المخلوعة، لجأ لطائفته الدينية الدرزية، لما أعطاه هذا الإجراء من مزايا إضافية في الاحتفاظ بالسرية، فأي شخص يجند أعضاء طائفته الدينية وخاصة في مواقف تلعب فيها الشكوك الطائفية والتوترات دوراً هاماً يقلل من المخاطرة بتسرب خططه لأعضاء الطوائف الأخرى.

إن دواعي السرية والأمن والشكوك في الضباط العلويين جعلت المكتب العسكري للقيادة القومية المخلوعة يرفض منذ البداية قبول أعضاء من هذه الطائفة الدينية داخل تنظيمه العسكري. لذلك، فكان من الطبيعي عدم وجود علويين ضمن المعتقلين بصدد هذه المؤامرة. ولم يكن هذا الأمر معروفاً خارج نطاق المكتب العسكري المختص وخارج قيادة تنظيم سليم حاطوم العسكري. فمنذ الصراع على السلطة بين

---

171 المناضل، العدد 9، منتصف سبتمبر (أيلول) 1966 .

172 قارن الدفاع (القدس)، 9 سبتمبر (أيلول) 1966؛ الحياة، 8 سبتمبر (أيلول) 1966 .

أمين الحافظ وصلاح جديد، تزايدت الشكوك الطائفية تجاه عدد من الضباط العلويين داخل جزء من سلك الضباط السوري· ولم يكن من العسير على حاطوم وأنصاره استغلال وتقوية هذه الشكوك بين أفراد طوائفهم الدينية، التي كان الدروز يشكلون النسبة الكبيرة منهم·

وبهذا خلق حاطوم ومعاونوه المقربون من الدروز الانطباع الذي كان له تأثير النبوءة المحققة لذاتها لحد ما بوجود تجمع أو استقطاب طائفي علوي درزي في القوات المسلحة السورية· وقد نجح حاطوم بالتعاون مع ابو عسلي، في كسب تأييد الغالبية العظمى (تكاد تكون من الدروز بالكامل) لفرع الحزب المدني بجبل الدروز، وكذلك أعضاء التنظيم العسكري السري للقيادة القومية المخلوعة، الذين كانوا متمركزين في جبل الدروز[173]·

إن اعتقال الضباط الدروز الذين أيدوا انقلاب 23 فبراير (شباط) 1966 في البداية واشتركوا فيه، بجانب جهود قيادة الجيش في تعيين مؤيدي صلاح جديد وحافظ الأسد في المراكز السياسية والاستراتيجية الهامة داخل وحدات الجيش التي كان يسيطر عليها أعضاء دروز من مجموعة حاطوم، كل ذلك سبب فزعاً كبيراً وقلقاً في فرع الحزب بجبل الدروز[174]· وبالتالي، قامت قيادتها في 7 سبتمبر (أيلول) 1966 بتقديم مذكرة خاصة لصلاح جديد وضحت فيها وجهة نظر الغالبية من أعضاء فرع السويداء[175]·

---

[173] مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، 22 نوفمبر (تشرين الثاني) 1974، انظر أيضاً

Van Dam, De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme, p. 153.

[174] قارن المناضل، العدد 9، منتصف سبتمبر (أيلول) 1966؛

La Syrie ou la Révolution dans la Rancoeur (Paris, 1968), p. 240;

الحياة، 31 يوليو (تموز) 1966 ·

[175] المناضل، العدد 9، منتصف سبتمبر (أيلول) 1966 · خلال المحاكمات التي جرت فى دمشق فى أوائل عام 1967 للمتورطين فى المؤامرة ضد نظام القيادة القطرية السورية اتُهم أعضاء مجموعة حاطوم بإثارة المشاعر الجماعية الطائفية عن عمد· وكانت حجة النائب العام أثناء المحاكمة كالآتي: "عندما كُشفت الخطة أخذ المتآمرون يبثون الشائعات المغرضة فى السويداء عن طريق المتآمر عبد الرحيم بطحيش، رئيس فرع المخابرات (المحلى)، مثيرين النعرات الطائفية، مما دعا بعض الحزبيين فى السويداء إلى رفع مذكرة إلى القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي"، (البعث، 28 مارس (آذار) 1967)·

وقد أُعلن أن هؤلاء الأعضاء ما زالوا يؤيدون تصفية ما يسمى بـــ "العناصر اليمينية"[176] من الحزب، ما دامت لا تشمل الضباط (المتورطين) الذين اشتركوا في انقلاب 23 فبراير (شباط) 1966، إلى جانب القيادة القطرية[177]. وفيما يتعلق بهؤلاء الضباط، فقد طلب فرع السويداء إعادة جميع من نُقلوا لمراكز أقل أهمية في ذاك الوقت، أو الذين اعتُقلوا، إلى مراكزهم السابقة، حتى يتم إثبات تورطهم المُزمع بصورة قاطعة في المؤامرة ضد القيادة القطرية لأعضاء الحزب الأقل رتبة. كما اقتُرح انعقاد مؤتمر قطري أو اجتماع على مستوى أقل لبحث أزمة الحزب. وفى الختام هدد أعضاء جبل الدروز في مذكرتهم بتجاهلهم لأية تعليمات أخرى صادرة عن القيادة القطرية وبمقاطعتهم لأية انتخابات مستقبلية للحزب، إذا ما استمرت عملية تصفية الضباط الذين ينحدرون من جبل الدروز والذين شاركوا في انقلاب 23 فبراير (شباط) 1966 حتى انعقاد الاجتماع المُقترح.

وكرد فعل لهذه المذكرة، قررت القيادة القطرية للحزب إرسال لجنة حزبية عليا للسويداء، تتكون من الرئيس السوري والأمين العام للقيادة القطرية السورية الدكتور نور الدين الاتاسي، والأمين العام المساعد صلاح جديد، وجميل شيا العضو الوحيد الدرزي بالقيادة القطرية. وكان غرض اللجنة هو شرح خلفية "أزمة الحزب" لأعضاء الحزب في السويداء.

وهنا، اغتنم حاطوم وأنصاره فرصة وصول اللجنة واعتقلوا جديد والاتاسي لاستغلالهم كرهائن أثناء مفاوضاتهم اللاحقة مع سلطات الحزب والجيش، بما فيها حافظ الأسد الذي بقى في دمشق. وقد تم اعتقال ضباط بارزين آخرين أمثال القائد العلوي للحرس القومي النقيب محمد إبراهيم العلي، الذي تم اعتقاله بالسويداء على يد الملازم أول عبد الرحيم بطحيش الدرزي رئيس فرع المخابرات العسكرية المحلى. فقد نصب لهم فخاً عن طريق دعوتهم لوليمة، وفى نفس الوقت نجح أنصار عسكريون آخرون لحاطوم في مفاجأة لواء السويداء والاستيلاء عليه. ولم يتم اعتقال جميل شيا العضو الدرزي الوحيد في لجنة القيادة القطرية من قِبل أبناء طائفته الدينية. لذلك، فقد تمكن من التوسط بين جديد وحاطوم[178].

---

[176] تم وصف أنصار القيادة القومية المخلوعة من قِبل نظام القيادة القطرية السورية بـــ "العناصر اليمينية".

[177] يبدو أن قيادة فرع السويداء أشارت بالذات للضباط الدروز المنقولين أو المُسرحين من منطقة السويداء.

[178] المناضل، العدد 9، منتصف سبتمبر (أيلول) 1966؛ البعث، 27 فبراير (شباط) 1967، 15 مارس (آذار) 1967؛

وجدير بالملاحظة أنه في الأزمات التي تتسم بالطائفية يُفضل اختيار الوسطاء من نفس الطائفة الدينية (وإن أمكن من نفس المنطقة) لإجراء المفاوضات• والسبب هنا واضح، ألا وهو أنه في مثل هذه الأزمات غالباً ما يكون لدى أفراد الطائفة الدينية الواحدة (والمنطقة) ثقة أكبر في بعضهم البعض[179]•

وأثناء مفاوضاته (الهاتفية) مع وزير الدفاع حافظ الأسد، ورئيس الوزراء يوسف زعين، طالب سليم حاطوم بعدة اشتراطات بينها:

1) عودة أهم مؤيديه إلى مراكزهم العسكرية التي طُردوا أو نُقلوا منها بعد 23 فبراير (شباط) 1966 •

2) إطلاق سراح أتباعه أو زملائه الذين اُعتقلوا مؤخراً فيما يتعلق باكتشاف المؤامرة ضد القيادة القطرية•

3) إبعاد بعض من أهم وأبرز أنصار صلاح جديد من الجيش•

4) إعادة قبول ما أسماه حاطوم بــ "اليساريين" (أي جماعة الشوفيين) في الحزب•

5) استقالة القيادة القطرية السورية التي اُختيرت في مارس (آذار) 1966، وتعيين قيادة قطرية سورية مؤقتة جديدة تضم خمسة أعضاء على الأقل من جماعة الشوفيين، إلى جانب بعض الأعضاء الحاليين بالقيادة القطرية[180]•

ورفضت قيادة الجيش تماماً الرضوخ لأى من هذه المطالب، وعوضاً عن ذلك أرسلت وحدات عسكرية تضم كتيبة الصواريخ للسويداء، مهددة بقصف عاصمة المحافظة[181]•

محمد إبراهيم العلي، الغجرية (المرابي "5")، دمشق، 1995، ص 292؛ الجريدة، 13 سبتمبر (أيلول) 1966؛ انظر الحياة، 15 مارس (آذار) 1966 •

[179] تجدر الإشارة إلى أنه بعد انقلاب 23 فبراير (شباط) 1966 تم ارسال جميل شيا إلى حلب للتوسط بين النظام الجديد وبين ابن طائفته حمد عبيد المعارض لهذا النظام•

[180] المناضل، العدد 9، منتصف سبتمبر (أيلول) 1966 •

[181] قارن المحرر، 13 سبتمبر (أيلول) 1966 •

ونتيجة لهذه الإجراءات المضادة الفعالة فشل انقلاب سليم حاطوم في 8 سبتمبر (أيلول) 1966، وقرر أخيراً كل من حاطوم وأبو عسلي الفرار إلى الأردن، وذلك كما أعلن أبو عسلي فيما بعد "لتفادى اشتباك مسلح على مثل هذا المدى القريب من الجبهة مع إسرائيل"[182].

الدعاية الطائفية ضد العلويين

في 13 سبتمبر (أيلول) 1966 عقد حاطوم مؤتمراً صحفياً في عمان وسرد روايته لما حدث في السويداء[183]، وصرح بأن "الوضع في سوريا مهدد بوقوع حرب أهلية نتيجة لتنمية الروح الطائفية والعشائرية التي يحكم من خلالها اللواء صلاح جديد واللواء حافظ الأسد والفئات الموجودة حولهما"[184]، وأضاف حاطوم قائلا:

> ان الروح الطائفية تنتشر بشكل فاضح في سوريا وخاصة في الجيش سواء بتعيين الضباط وحتى المجندين وان الفئة الحاكمة تعمد الى تصفية الضباط والفئات المناهضة لها وتحل مكانهم من اتباعها في مختلف المناصب. فقد بلغت نسبة العلويين في الجيش خمسة مقابل واحد من جميع الطوائف الأخرى[185].

وفى مقابلة مع حاطوم وأبو عسلي مع صحيفة النهار بتاريخ 14 سبتمبر (أيلول) 1966، صرح حاطوم بأنهم فروا إلى الأردن من أجل أن يناضلوا بأسلوب آخر أو بطريقة أخرى "لإنقاذ الجيش وإبعاد

---

[182] طلال أبو عسلي في مقابلة مع محمد حسنين هيكل، الأهرام، 1 أكتوبر (تشرين الأول) 1966.

[183] فلسطين (القدس)، 14 سبتمبر (أيلول) 1966؛ الدفاع، 14 سبتمبر (أيلول) 1966.

[184] المصدر السابق.

[185] المصدر السابق. لم تكن تخفى ملاحظات حاطوم فى عمان حول الجو الطائفي داخل القوات المسلحة السورية عن أعضاء حزب البعث بالقيادة القطرية السورية، بل أُعيد نشرها فى جريدة الحزب الداخلية الشهرية المناضل، العدد 9، منتصف سبتمبر (أيلول) 1966، ص 5، وإن كان بشكل مُخفف للغاية.

الروح الطائفية التي سيطرت عليه"[186]، ومضى قائلا:

إذا ما سئل عسكري سوري عن ضباطه الاحرار سيكون جوابه انهم سرحوا وشردوا ولم يبق سوى الضباط العلويين٠ ان الضباط العلويين متمسكون بعشيرتهم وليس بعسكريتهم وهمهم حماية صلاح جديد وحافظ أسد٠ ان الاعتقالات الاخيرة شملت مئات الضباط من جميع الفئات الا العلويين[187]٠

إذن، فاتهمات حاطوم الموجهة لحافظ الأسد وصلاح جديد والإيحاء بأن هؤلاء القادة البعثيين العلويين مذنبون، لقيامهم بتطبيق سياسة طائفية في الجيش واعتقال الضباط غير العلويين فقط، لم يكن لها ما يبررها٠ فلم يكن بالإمكان إلقاء اللوم مباشرة على جديد والأسد رغم احتمال كونهما السبب غير المباشر لعدم قبول العلويين من حيث المبدأ في التنظيم العسكري للقيادة القومية المخلوعة٠

وأضاف طلال أبو عسلي لملاحظات حاطوم أن وضع الجيش السوري دقيق جداً وخطر،

إذ ان جميع أبناء الوطن هم ضد كل ما هو علوي٠ وهذا الانقسام قائم في الجيش لدرجة الاقتتال فى اية لحظة، وان هذا سيكون رداً طبيعياً على التكتل العلوي المنتحل صفة الحزب٠

ان التسلط العلوي شمل كل المستويات لدرجة انك ترى الامرأة العلوية تتصرف وكأنها هي السلطة٠ وفى كل المنازل التي يسكنها العلويون يرى جيرانهم بوضوح تسلطهم باسم السلطة وباسم الحزب وكل علوي من كبير او صغير يعرف ماذا سيحدث من تطورات ومن تنقلات ومن اعتقالات قبل ان يعرف بعض كبار المسؤولين[188]٠

واخيراً روى أبو عسلي انه "عندما تم اعتقال الضباط فى الجبهة" (الذين كانوا متورطين فى المؤامرة ضد القيادة القطرية)

كانت النساء العلويات يزغردن ويهللن على مسامع نساء الضباط المعتقلين وهذه صورة بسيطة

[186] النهار، 15 سبتمبر (أيلول) 1966 ٠

[187] المصدر السابق٠

[188] المصدر السابق٠

عن الجو فى البلد[189]٠

وبعد مضي اسبوعين اصدر سليم حاطوم تصريحاً بتاريخ 28 سبتمبر (أيلول) 1966، شمل وفقاً لما ذكرته جريدة الحياة اتهاماً بأن المجموعة الحاكمة فى دمشق

عقدت العزم على تنفيذ خطة طائفية بغية اقامة نظام انتهازي يحمل شعار "دولة علوية ذات رسالة خالدة"، يلمع فيها العميد صلاح جديد ونور الانوار إبراهيم ماخوس[190]٠

ومن الواضح ان شعار "دولة علوية ذات رسالة خالدة" تلاعب بألفاظ الشعار البعثى "أمة عربية ذات رسالة خالدة"، أما نور الأنوار والعميد فهما مصطلحان ومرتبتان دينيتان علويتان٠

وبمثل هذه التصريحات حاول حاطوم وأتباعه زيادة التوتر الطائفي بين المواطنين السوريين وبين صفوف الجيش السوري، جاعلين حافظ الأسد وصلاح جديد والقادة العلويين الآخرين موضع اشتباه فى نظر غير العلويين، بهدف تقويض مراكز سلطتهم[191]٠

---

[189] المصدر السابق٠

[190] الحياة 29 سبتمبر (أيلول) 1966 • كان إبراهيم ماخوس (علوي) فى ذلك الحين وزير الخارجية٠

[191] تشابه تلميحات حاطوم الى حد كبير الاتهامات والتلميحات الواردة فى التصريح (الكاذب) الذي أُذيع فى سوريا فى أوائل عام 1969 من قِبل معارضي نظام البعث الذين كانوا فى السلطة آنذاك٠ ففي هذا التصريح يدعو شيخ علوي بارز (عبد الرحمن الخير) العلويين السوريين لمقاومة ما يسمى بسوء استخدام صلاح جديد للديانة العلوية من أجل أغراض سياسية بحتة، كما اتهم هذا التصريح جديد بسعيه وراء إقامة دولة علوية٠ وقد نُشر هذا التصريح فى باديء الأمر بجريدة الحياة اللبنانية المحافظة المعارضة للبعث فى 19 مايو (آيار) 1969، ثم أُعيد طبعه فى كتاب رئيس الوزراء الاردني الأسبق سعد جمعه بعنوان مجتمع الكراهية (بيروت، 1971)، ص 62 –75 • قارن فؤاد الأطرش: الدروز، مؤامرات وتاريخ وحقائق، ص 344 –351 • وقد يكون هذا التصريح قد تم توزيعه بمعرفة معارضي نظام البعث السوري بدوافع مشابهة لتلك الخاصة بحاطوم: إثارة القلاقل والتوتر الطائفي٠ للاطلاع على مزيد من الإتهامات الدعائية ضد جديد ورغبته فى إقامة دولة علوية فى سوريا انظر: الحوادث، 16 أغسطس (آب) 1968؛ وسامي الجندي، كِسرة خُبز (بيروت، 1969)، ص 718 وانظر أيضاً الفصل الثاني، حاشية 58، والفصل الخامس٠

التصفيات اللاحقة لانقلاب حاطوم الفاشل

لقد تم اجراء تصفيات واسعة النطاق فى الجيش السوري وحزب البعث اثر انقلاب سليم حاطوم الفاشل. وشملت التصفيات العديد من الضباط الدروز، وهذا أمر طبيعي نظراً لأن حاطوم وأبو عسلي كانا قد اعتمدا بصورة رئيسية على تأييد الدروز[192]. وغالباً ما كان يتم تسليم زمام القيادة بالوحدات العسكرية التي تم تصفيتها الى ضباط علويين[193].

وقد تركت المؤامرة الفاشلة بصماتها على مسار الأحداث السياسية فى سوريا حتى عام 1967 الذي شهد المزيد من حملة التصفيات وظل فرع الحزب بجبل الدروز مشلول الحركة والنشاط لأكثر من ستة أشهر بعد فشل حاطوم[194].

إن العملية الفاشلة وما تلاها من تصفيات واعتقالات قد أثارت الطائفة الدرزية السورية، حتى أن القائد المخضرم سلطان الأطرش، قائد الثورة السورية ضد الفرنسيين عام 1925 والذي كان لا يزال يحظى باحترام كبير ارسل برقية مفتوحة لرئيس الأركان السوري فى ديسمبر (كانون الأول) 1966 نصها كالآتى:

> اولادنا فى السجون مضربون نحملكم مسؤولية النتائج. لقد اعتاد الجبل وما يزال ان يقوم بالثورات لطرد الخائن والمستعمر ولكن شهامته تأبى عليه أن يثور ضد أخيه ويغدر ببني قومه. هذا الرادع الوحيد نقتصر مبدئيا على المفاوضات[195].

---

[192] من أجل أسماء الضباط الذين تم تصفيتهم انظر: المناضل، العدد 11، منتصف ديسمبر (كانون الأول) 1966؛ Van Dam, De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme, p. 157; قارن الحياة، 11 و 13 سبتمبر (أيلول) 1966؛ النهار، 19 سبتمبر (أيلول) 1966؛ الصفاء، 15 سبتمبر (أيلول) 1966 .

[193] قارن الحياة، 7 و 23 أكتوبر (تشرين الأول) 1966؛ النهار، 30 سبتمبر (أيلول) 1966

[194] نشرة المكتب التنظيمي للقيادة القطرية السورية لحزب البعث، 6 مارس (آذار) 1967. قارن الحياة، 5 مارس (آذار) 1967؛ الصفاء، 25 فبراير (شباط) 1967 .

[195] النهار، 31 ديسمبر (كانون الأول) 1966 .

وقد كان من الصعب على حكام دمشق (ومعظمهم علويون) تهدئة الطائفة الدرزية بعد تزعزع ثقتها فى السلطات المركزية بدرجة كبيرة[196]٠

وفى مارس (آذار) 1967 قُدم العديد من الأشخاص المتورطين فى المؤامرة الفاشلة وأكثرهم بصورة غيابية الى محاكمة عسكرية خاصة شُكلت فى دمشق٠ وكانت أهم تهمتين وجهتا للمتهمين: 1) الاشتراك فى مؤامرة لـلإطاحة بنظام الحكم، 2) التحريض على حرب أهلية وانقسام طائفي[197]٠

وطالب النائب العام أن يصدر ضد خمسة من الضباط وجميعهم من الدروز حكم الإعدام[198]٠

ومن العواقب الهامة للمؤامرة الفاشلة فضلا عن تصفية أو تحييد جماعات الضباط السنيين الهامة بعد انقلاب 23 فبراير (شباط) 1966 تصفية أبرز جماعات الضباط الدروز والجماعات التي بقيت لم

---

[196] قارن الجريدة، 13 سبتمبر (أيلول) 1966؛ انظر أيضاً الحياة، 14 أكتوبر (تشرين الأول) 1966، حيث يُزعم أن انقلاب حاطوم الفاشل كان له أثر سلبي على العلاقات بين سكان منطقة حوران والسلطات فى دمشق٠ قارن فؤاد الأطرش: الدروز، مؤامرات وتاريخ وحقائق، ص 322 ٠

[197] البعث، 14 و 28 مارس (آذار) 1967 ٠

[198] الضباط الدروز الذين تم المطالبة بإعدامهم: فهد الشاعر وسليم حاطوم وطلال أبو عسلي وعبد الرحيم بطحيش وفواز أبو الفضل٠ قارن الحياة، 2 ابريل (نيسان) 1976٠

عندما اندلعت حرب يونيو (حزيران) 1967 عاد سليم حاطوم لسوريا، حيث اعتقلته السلطات واتهمته بالتآمر مع الدوائر الإمبريالية الأنجلو أمريكية والألمانية الغربية للاطاحة بالنظام السوري ضمن "مخطط إمبريالي شامل"٠ وتم محاكمة حاطوم عسكرياً وصدر ضده حكم بالإعدام ونُفذ فى 26 يونيو (حزيران) 1967 ٠ (البعث، 25 يونيو (حزيران) 1967؛ إذاعة دمشق، 26 يونيو (حزيران) 1967؛ قارن

Daniel Dishon (ed.), Middle East Record 1967 (Jerusalem, 1971), p. 496.

انظر أيضاً سامي الجندي، البعث، ص 156)٠ وفى 1968 تم محاكمة الضباط والمدنيين فى دمشق المتهمين بالاشتراك فى انقلاب حاطوم الفاشل فى سبتمبر (أيلول) 1966 وما يسمى بمحاولته الثانية لـلإطاحة بالنظام السوري خلال حرب يونيو (حزيران) 1967 ٠ (البعث، 8 سبتمبر (أيلول) 1968؛

Dishon (ed.), Middle East Record 1968 (Jerusalem, 1973), pp. 735, 736.

يعد لها القدرة على تكوين كتل قوية منفصلة يمكنها أن تهدد النظام بصورة خطيرة٠

تصفية الجماعات الحورانية البارزة

قوى مركز بعض الضباط العلويين من جراء حملة التصفية للعديد من الضباط الدروز البارزين وأعداد قليلة من ضباط محافظة حوران على سبيل المثال٠ فقد اقلقت مشاعر التوتر والشكوك الطائفية والإقليمية الجماعية المتداخلة والتي اندلعت خلال الصراع على السلطة بين النخبة السياسية البعثية عدداً من أعضاء الحزب حول مدى سيطرة العلويين داخل الحزب والقوات المسلحة[199]٠ وخلال الشهور الأولى من عام 1967 قدم قادة بعض الفروع والشعب والفرق استقالتهم من مهام وظائفهم الحزبية، رافضين الاشتراك فى أية اجتماعات أو نشاطات حزبية أخرى، تعبيراً عن قلقهم تجاه التوترات الطائفية والاقليمية الجماعية المتداخلة فى جهاز الحزب والقوات المسلحة وأيضاً إظهاراً لقلقهم تجاه سيطرة جماعات معينة خاصة العلويين سواء كانت طائفية أو اقليمية أو عشائرية[200]٠

وقد تم التعبير ظاهرياً عن هذه التوترات عندما هدد ثلاثة وزراء من محافظة حوران بتقديم استقالتهم من الحكومة السورية[201]٠ وفى أعقاب الحرب العربية الاسرائيلية فى يونيو (حزيران) 1967 فقد بعض البعثيين المدنيين البارزين من حوران مراكزهم فى قيادة الحزب والحكومة[202]٠ وفى 14 فبراير

---

[199] طبقاً للصفاء، 22 نوفمبر (تشرين الثاني) 1966، فإن رئيس الأركان أحمد سويداني ومحمد الزعبي (سنيان من حوران) كانا ضمن القلقين من سيطرة العلويين٠

[200] نشرة المكتب التنظيمي للقيادة القطرية السورية لحزب البعث، 19 مارس (آذار) 1967 للنص انظر
Van Dam, De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme, p. 171.

[201] الوزراء الحورانيون الذين هددوا بتقديم استقالتهم هم محمد الزعبي (سني) وصالح محاميد (سني) ومشهور زيتون (مسيحي)٠ (الحياة، 12 مارس (آذار) 1967، 6 و 7 ابريل (نيسان) 1967؛ الأحرار، 14 فبراير (شباط) 1967؛ الجديد، 17 مارس (آذار) 1967)٠

[202] المحرر، 26 سبتمبر (أيلول) 1967؛ العالم العربي، 11 سبتمبر (أيلول) 1967؛ الحياة، 12 و 26 سبتمبر (أيلول) 1967 ٠ انظر أيضاً

(شباط) 1968 تم إعفاء أحمد سويداني رئيس أركان الجيش السوري وهو من حوران وكان فيما سبق من أبرز أنصار صلاح جديد من مهام منصبه فى الجيش[203]. وكان هذا يعنى خلع الشخصية العسكرية الرئيسية المتبقية من حوران[204]. وفى الواقع كان يعنى هذا الاجراء تصفية أو تحييد البعثيين العسكريين والمدنيين الحورانيين من جهاز الحزب والجيش بوصفهم كتل قوى منفصلة. وهذا لم يكن يعنى عدم وجود أي ضباط حورانيين بالجيش أو أن البعثيين الحورانيين قد حُرموا من شغل مناصب عليا فى جهاز الحزب، بل كان يعنى نهاية دورهم كمجموعة قوة لها وزنها، ولم يُمنحوا فيما بعد فرصة إعادة تجميع أنفسهم كجماعات ذات قوة فى القوات المسلحة، بحيث يشكلون تهديداً خطيراً للفصائل الأخرى (كالعلويين) داخل القوات المسلحة أو داخل الحزب. وكانت الفصائل الحورانية فيما مضى تستمد تأثيرها وقوتها من التحالفات القائمة مع المجموعات الأخرى كتلك التابعة لصلاح جديد أو سليم حاطوم[205].

Van Dam, De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme, pp. 1702.

[203] البعث، 16 فبراير (شباط) 1968؛ الثورة، 17 فبراير (شباط) 1968 . قارن البعث، 21 يوليو (تموز) 1968؛ الراية، 12 يوليو (تموز) 1971؛ تم استبدال سويداني بمصطفى طلاس رئيساً للاكان. انظر مصطفى طلاس، مرآة حياتي، ص 450 .

[204] تم تسريح موسى الزعبي ومصطفى الحاج علي من الجيش فى 1967 و 1968 وهما العضوان السنيان الحورانيان الآخران باللجنة العسكرية البعثية السابقة.

[205] قارن الحياة، 16 فبراير (شباط) 1968؛ الصفاء، 6 فبراير (شباط) 1968؛ الجريدة، 2 مارس (آذار) 1968؛ قارن الأنوار، 15 نوفمبر (تشرين الثاني) 1970 . فى أغسطس (آب) 1968 تم التبليغ عن تورط أحمد سويداني فى انقلاب فاشل. فى يوليو (تموز) 1969 القت السلطات السورية القبض عليه عندما توقفت طائرته فى مطار دمشق فى طريقها من بغداد للقاهرة، حيث كان يتمتع باللجوء السياسي هناك منذ 1968 . (قارن عبد الكريم الجندي فى مقابلة مع أخبار اليوم، 7 سبتمبر (أيلول) 1968؛ النهار، 20 أغسطس (آب) 1968؛ الحياة، 21 أغسطس (آب) 1968 و 23 يوليو (تموز) 1969؛ الأنوار 21 أغسطس (آب) 1968؛ الصياد، 24 يوليو (تموز) 1969). وبعد اعتقال سويداني تم اعتقال العديد من مؤيديه العسكريين الحورانيين الذين كانوا لا يزالوا بالجيش. (قارن الحياة، 9 أغسطس (آب) 1969). وتمت اعتقالات جديدة فى مايو (آيار) 1970 بين المدنيين والعسكريين المتهمين بالتخطيط لإطاحة بالنظام السوري لصالح نظام البعث العراقي المعارض، ضمت ضباطاً من حوران وحلب وادلب ومعظمهم سنيون. وكان معظم الضباط المعتقلين من حلب وأدلب من مؤيدي الفريق أمين الحافظ، وهو حلبي وقد عاش بالمنفى فى بغداد منذ عام 1968 . (قارن الأحرار، 6 يونيو (حزيران) 1970؛ الراية، 12 يوليو (تموز) 1971). تم الإفراج عن اللواء أحمد سويداني من سجن المزة فى فبراير (شباط) 1994 بعد أن قضى به حوالي 25 عاماً. الحياة، 24 فبراير (شباط) 1994 .

تمثال للرئيس حافظ الأسد و صورة جدارية له و لولديه باسل و بشار، في مدينة حلب
(تصوير: نيقولاوس فان دام في عام 1994) .



تمثال للرئيس حافظ الأسد و صورة جدارية له و لولديه باسل و بشار، في مدينة حلب
(تصوير: نيقولاوس فان دام في عام 1994) .

الفصل الخامس

الصراع على السلطة داخل الطائفة العلوية

التنافس بين الاسد وجديد

بعد سقوط القيادة القومية في فبراير (شباط) 1966، وخاصة بعد انقلاب حاطوم الفاشل، تجمع معظم الضباط البعثيين وأعضاء الحزب المدنيون، إما حول صلاح جديد أو حافظ الاسد اللذين كانا أبرز السياسيين في سوريا حينذاك٠

وبالرغم من أن جديد لم يعد له منصب رسمي في الجيش السوري منذ اغسطس – (آب) 1965– عندما استبدل منصبه كرئيس للاركان بمنصب مدني قيادي كأمين عام مساعد بالقيادة القطرية السورية إلا أنه نجح لفترة من الزمن في إحكام قبضته على جزء كبير من سلك الضباط، وذلك جزئياً من خلال مؤيديه في المكتب العسكري الذي كان يتولى الإشراف على تنظيم الحزب العسكري٠ ومنذ ابريل (نيسان) 1966 شمل هذا المكتب أعضاء مدنيين٠ وقد تمكن جديد من السيطرة على جزء من القوات المسلحة عن طريق اتصالات جانبية شخصية مباشرة رغم حظرها تنظيمياً بعدد من الضباط العسكريين[206]٠ أما الاسد، وبكونه وزيراً للدفاع ومنافساً لجديد، كان في وضع أفضل من حيث التأثير على سلك الضباط الذي كان يرتبط بجزء منه بصفة شخصية٠ وقد شغل الاسد منصبَ قائد القوات الجوية منذ عام 1964، وكان مسئولا عن تعزيزها٠ لذلك، استطاع أن يعين الكثير من مؤيديه العسكريين في مراكز استراتيجية هامة٠ علاوة على ذلك، كان الاسد قائداً كبيراً باللجنة العسكرية البعثية التي كانت مسئولة لعدة سنوات عن نشاطات التنظيم العسكري للحزب٠

---

[206] قارن الأنوار، 15 نوفمبر (تشرين الثاني) 1970 ٠

وبعد انقلاب 23 فبراير (شباط) 1966 تكرر ظهور التوتر بين جديد والاسد، بيد أن المواجهة العلنية لم تحدث· فقد ازداد وضع النزاع بعد الهزيمة العسكرية العربية في يونيو (حزيران) 1967، ويرجع ذلك جزئياً للاختلافات في الرأى حول السياسات العسكرية والخارجية والإقتصادية الإجتماعية التي كان لا بد من اتباعها حينذاك[207]·

وقد كان الجدل الايديولوجي بين أهم الكتل والجماعات البعثية عادة ما يتركز حول مسألة اعطاء الأولوية إما للسياسة الاشتراكية الموجهة داخلياً أو لسياسة عربية قومية موجهة خارجياً بصورة أكبر بهدف التعاون بين العرب والوحدة بينهم في صالح المواجهة مع إسرائيل· وكانت المشكلة الرئيسية هي العثور على أنسب الطرق للربط بين هذه السياسات الاشتراكية و القومية العربية، بغية استخلاص النتائج التي يمكن أن تعتبر على المدى الطويل الأمثل من وجهة النظر البعثية·

وقد باتت الخلافات في الرأى بين جديد والاسد واضحة جلية في المؤتمرات القطرية والقومية لحزب البعث التي عقدت بدمشق في سبتمبر (أيلول) وأكتوبر (تشرين الأول) 1968، حيث ظهر اتجاهان واضحان، أيد أحدهما إعطاء الأولوية القصوى لما سمي بالتحويل الاشتراكي للمجتمع السوري، وكان يسوده المدنيون كأعضاء بارزين، بمن فيهم صلاح جديد وعبد الكريم الجندي وإبراهيم ماخوس وزير الخارجية (العلوي) ويوسف زعين رئيس الوزراء· وهذه الجماعة ذات الميول الاشتراكية رفضت علانية فكرة التعاون السياسي أو العسكري مع الأنظمة التي وسمتها بالرجعية أو اليمينية أو بكونها موالية للغرب كالأردن أو لبنان أو العراق، حتى وإن كان ذلك على حساب الكفاح ضد إسرائيل· ولم يكن لدى هذه الجماعة اعتراض على زيادة الاعتماد على الاتحاد السوفييتي والدول الشيوعية الأخرى من الكتلة الشرقية، ما دام هذا لصالح التحويل الاشتراكي[208]·

---

[207] الراية، 12 يوليو (تموز) 1971، ص 17 · قارن النهار، 14 فبراير (شباط) 1967؛ الأنوار، 1 و 9 فبراير (شباط) 1967؛ البعث، 12 فبراير (شباط) 1967؛ اذاعة دمشق، 13 فبراير (شباط) 1967 ·

[208] انظر

Dishon (ed.), Middle East Record 1968, pp. 711–13.

أما الاتجاه الثاني فقد ابدى ميلا قومياً عربياً قوياً وطالب بإعطاء الأولوية القصوى للكفاح المسلح ضد إسرائيل، أي تقوية الامكانيات العسكرية العربية حتى ولو أحدث ذلك تأثيرات سلبية مؤقتة على التحويل الاشتراكي لسوريا. وقد تم تأييد سياسة التعاون والتنسيق العسكري والسياسي مع الدول العربية مثل الأردن والعراق ومصر والسعودية، دون الاهتمام بألوانها السياسية، ما دام ذلك في صالح الكفاح العربي ضد إسرائيل. وقد عبر معظم المندوبين العسكريين عن هذا الاتجاه القومي في المؤتمرات، ومن أبرزهم وزير الدفاع حافظ الاسد ورئيس أركان الجيش السوري مصطفى طلاس.

لكن اقتراحات الاسد ببدء المفاوضات مع نظام البعث المنافس في العراق – الذي تقلد زمام السلطة في يوليو (تموز) 1968 وكان يسوده البعثيون المرتبطون بالقيادة القومية التي أُطيح بها في سوريا في فبراير (شباط) 1966 – لصالح التعاون العسكري ضد إسرائيل وبقصد التقليل من عزلة سوريا السياسية في العالم العربي، قد رُفضت بشدة من قِبل غالبية أعضاء المؤتمر المدنيين ذوى الميول الاشتراكية، الذين رفضوا بشدة أي نوع من التقارب مع البعثيين الذين كانوا يحكمون العراق، مؤكدين أن هؤلاء هم المنشقون "اليمينيون" الذين طُردوا من الحزب نتيجة حركة 23 فبراير (شباط) 1966 [209].

وقد فاز جديد وأنصاره بأغلبية ساحقة خلال المؤتمر وتمكنوا من جعل أفكارهم السياسية مقبولة ومعتمدة كمقررات رسمية لسياسة الحزب.

ولم يقبل الاسد نتائج مؤتمرات الحزب ورفض حضور اجتماعات أخرى للقيادة القطرية أو الاجتماعات المشتركة للقيادة القطرية السورية والقيادة القومية. وبالرغم من انتخابه في القيادة القطرية، إلا أنه في الواقع استقال من تلك المؤسسة[210]. وقد قرر إحكام سيطرته على القوات المسلحة عن طريق فصل الجهاز العسكري للحزب عن قيادة الحزب المدنية، كما اصدر أوامر بمنع أعضاء القيادة القطرية أو

---

[209] المصدر السابق، ص 711–712 . وحول التنافس بين نظامي البعث والعديد من محاولات المصالحة الفاشلة انظر Eberhard Kienle, Ba'th v Ba'th: The Conflict between Syria and Iraq 1968–1989, (London 1990); and Nikolaos van Dam, "Union in the Fertile Crescent", Middle East International, 20 July 1979.

[210] محاضر جلسات المؤتمر القومي الاستثنائي العاشر لحزب البعث، الراية، 5 يوليو (تموز) 1971؛ الجريدة، 18 اكتوبر (تشرين الأول) 1968؛ الأنوار، 29 اكتوبر (تشرين الأول) 1968.

مسئولي الحزب المدنيين الآخرين من زيارة أقسام تنظيم الحزب العسكري أو القيام باتصالات مباشرة مع قطاع الحزب العسكري[211]. وقد تم منع ضباط الجيش بدورهم من اجراء أية اتصالات مباشرة مع سياسيي الحزب المدنيين، إلا عن طريق القنوات الرسمية لقيادة تنظيم الحزب العسكري[212]. واضافة إلى ذلك، قامت المخابرات العسكرية بحظر العلاقات العادية بين اقسام الحزب المدنية والعسكرية عن طريق فتح مراسلات الحزب واعاقة التوزيع العادي لنشراته الصادرة عن القيادة القطرية السورية والموجهة لجهاز الحزب[213].

وعقب مؤتمرات الحزب المنعقدة في سبتمبر (أيلول) وأكتوبر (تشرين الأول) 1968 تم نقل بعض أنصار جديد العسكريين (ومعظمهم علويون) إلى مناصب أقل حساسية في القوات المسلحة، دون سابق تشاور مع المكتب العسكري الذي يسيطر عليه أنصار جديد والذي كان في الظروف المعتادة هو صاحب اتخاذ القرارات بشأن التنقلات العسكرية[214].

ان الامتياز الممنوح لقيادة الجيش لاجراء تنقلات بين مسئولي الجيش الذين هم فوق رتبة معينة قد جرى وضعه رسمياً أثناء الاجتماعات المشتركة للقيادتين : القطرية السورية والقومية. فعلى سبيل المثال، تقرر أن يكون نقل قادة الوية الجيش ضمن اختصاص الاجتماع المشترك[215]. ورغم ذلك، استمر الاسد في خططه وأعفى كما ذُكر المقدم عزت جديد العلوي أحد أبرز أنصار صلاح جديد العسكريين من قيادة اللواء السبعين، الذي كان له أهميته السياسية والاستراتيجية[216].

---

[211] محاضر جلسات المؤتمر القومي الاستثنائي العاشر لحزب البعث، الراية، 12 يوليو (تموز) 1971 .

[212] الجريدة، 8 نوفمبر (تشرين الثاني) 1968 .

[213] محاضر جلسات المؤتمر القومي الاستثنائي العاشر لحزب البعث، الراية، 12 يوليو (تموز) 1971 .

[214] قارن الحوادث، 1 نوفمبر (تشرين الثاني) 1968؛ الأنوار، 26 اكتوبر (تشرين الأول) 1968؛ الحياة، 29 اكتوبر (تشرين الأول) 1968؛

Dishon (ed.), Middle East Record 1969−1970 (Jerusalem, 1977), pp. 1129−30.

[215] محاضر جلسات المؤتمر القومي الاستثنائي العاشر لحزب البعث؛ الراية، 12 يوليو (تموز) 1971 .

[216] المصدر السابق؛ الأنوار، 26 اكتوبر (تشرين الأول) 1968؛ الحوادث، 1 نوفمبر (تشرين الثاني) 1968 .

وبينما نجح الاسد في فرض سيطرته على معظم القوات المسلحة السورية، فقد أحكم جديد قبضته على جهاز الحزب المدني بشغل أهم مراكز الحزب المدنية بمؤيديه. وهكذا تم خلق ما يسمى بـــ "ازدواجية السلطة": مؤسستا السلطة السورية الرئيسيتان وهما القوات المسلحة وجهاز حزب البعث المدني قد تم السيطرة عليهما من قِبل جماعات مختلفة من الحزب أو الجيش يتعارض كل منهما بشدة مع الآخر ويتبع كل منهما سياسات مختلفة.

الصراع على السلطة داخل الطائفة العلوية

تم التوضيح في الفصول السابقة أنه منذ الانفصال عن الجمهورية العربية المتحدة في 1961 لعبت الولاءات الطائفية والاقليمية والعشائرية دوراً هاماً في الصراع على السلطة في سوريا. وبالتالي، يمكن استنتاج ان قوة الضباط العسكريين والسياسيين المدنيين على المستوى الوطني قد اعتمدت بشكل كبير على النفوذ الذي استطاعوا فرضه على المستويات الاقليمية والطائفية و/أو العشائرية : ليتسنى إحراز النجاح في السياسات الوطنية لا بد للشخص أولا أن يكون ناجحاً سياسياً بين أفراد منطقته أو طائفته الدينية أو عشيرته. وكثيراً ما تم التعبير عن الصراع على السلطة بين أشخاص من مناطق مختلفة و/أو طوائف دينية على شكل نزاع بين مناطق و/أو صراع بين طوائف، كما تم التعبير عن الصراع على السلطة بين الأشخاص من نفس المنطقة و/أو الطائفة الدينية على شكل نزاع اقليمي داخلي و/أو نزاع طائفي داخلي[217].

لذلك، فان الصراع على السلطة الذي اندلع في 1964 بين أبرز الضباط العلويين باللجنة العسكرية البعثية، أي محمد عمران وصلاح جديد وحافظ الاسد، قد انعكس بوضوح في الشقاق الداخلي في فرع الحزب بمحافظة اللاذقية (ذي الأغلبية العلوية)[218].

---

[217] قارن

Van Dusen, 'Political Integration and Regionalism in Syria', p. 136.

[218] انظر الفصل الثاني. طبقاً لما ذكره

وقد ظهر شقاق مماثل في نفس الفرع في 1969 و ١٩٧٠ عندما بلغ الصراع على السلطة ذروته بين الاسد وجديد وكلاهما من اللاذقية وذلك حين سعى كل منهما إلى بسط سلطته داخل حزب البعث على المستوى الوطني وتقوية قبضته على فرع الحزب ومؤسساته الأخرى بمسقط رأسه٠

وفى فبراير (شباط) 1969 عندما حاول أنصار جديد المسيطرون على فرع الحزب باللاذقية التخلص من تأثير الاسد عن طريق تصفية أبرز أنصاره، فقد تلى ذلك اجراءات مضادة عنيفة، حيث أصدر حافظ الاسد أوامره باعتقال قيادة فرع الحزب باللاذقية واستبدال أعضائها بأنصاره الذين تم فصلهم من قبل[219]، كما فُرضت الإقامة الجبرية على محافظ اللاذقية وهو أيضاً في قيادة فرع الحزب المحلى في 27 فبراير (شباط) 1969 ومُنع من دخول مكتبه أو المقر الرئيسي المحلى للحزب٠ وتم أيضاً الإغارة على مكاتب الحزب بطرطوس (ومعظم أعضاء الفرع هناك علويون) والشُعب المحلية من قِبل كتيبة المغاوير التي كانت مُكلفة بحراسة المنشئات الحيوية في المحافظة، وذلك بقصد اعتقال أعضاء فرع قيادة الحزب٠ وفى طرطوس تم اعتقال عادل نعيسة أمين عام فرع اللاذقية وأحد أنصار جديد وهو العضو العلوي الوحيد بالقيادة القطرية السورية بجانب الاسد وجديد، وقد أُجبر على مغادرة المحافظة فوراً تحت حراسة عسكرية٠

Hurewitz, Middle East Politics: The Military Dimension, p. 154,

انقسم الضباط العلويون لمجموعتين: "احداهما مكونة من سوريين بالمولد والأخرى من مهاجرين من منطقة الاسكندرون التي سُميت بولاية هاتاي بعد ضمها لتركيا في 1939 • ومن كلتا المجموعتين فان الضباط المهاجرين المنتمين للعائلات الأكثر تحضراً والأقل فقراً هم الذين شغلوا المناصب العليا٠ ولم تثبت هذه الدراسة وجود مثل هذه الجماعة من الضباط العلويين البارزين من الاسكندرون، بل اظهرت ان ضباطاً علويين من اللاذقية هم الذين شغلوا أساساً المراكز الهامة بمؤسسات السلطة السورية٠ وأحد أبرز الضباط العلويين من الاسكندرون هو توفيق الجهني (قائد اللواء السبعين عشية "الحركة التصحيحية" في نوفمبر (تشرين الثاني) 1970) . و شقيقه اللواء جلال الجهني كان مديرا للادارة السياسية في الجيش عام 2000 •

[219] من بين الأعضاء الجدد المعينين بقيادة فرع اللاذقية أنصار حافظ الاسد الذين سبق فصلهم من الحزب لوقوفهم كمرشحين منافسين لانتخابات نقابة العمال ضد القائمة الانتخابية التي قدمتها قيادة الفرع٠ وعندما جرى فصلهم كإجراء انتقامي، كان رد فعل الاسد هو إغلاق نقابة العمال المحلية تماماً (الراية، 12 يونيو (حزيران) 1971)•

وقد أصدر الاسد تعليماته للمخابرات العسكرية بمختلف المحافظات بمنع أعضاء قيادة الحزب من الاتصال بالجهاز المدني لفروع الحزب، وذلك عن طريق تحذيرهم وتهديدهم بالاعتقال. وقد اتُخذت أعنف الإجراءات في محافظتي اللاذقية وطرطوس. وفى الواقع، كانت هذه الاجراءات التي اتخذها الاسد في أواخر فبراير (شباط) 1969 أشبه ما تكون بانقلاب عسكري. ونتيجة لذلك، فقدت القيادة القطرية السورية معظم قوتها، بغض النظر عن استمرارها رسمياً وتواجدها بمنصبها. وقد احتلت قوات الاسد مبنى اذاعة دمشق ومبنى اذاعة حلب، بالاضافة الى مكاتب أكبر جريدتين سوريتين (تحت سيطرة البعث) وهما البعث والثورة، وتم فرض الرقابة العسكرية على نشرات الأخبار والتعليقات السياسية وجميع البرامج السياسية والثقافية والإعلامية[220].

وبناء على طلب القيادة القطرية السورية تم انعقاد مؤتمر قطري استثنائي في مارس (آذار) 1969 بدمشق، حيث بُذلت الجهود للتوصل الى حل وسط بين الكتل التي تجمعت حول الاسد وتلك التي تجمعت حول جديد، بيد أنه لم يتم التوصل الى مصالحة فعلية. ولتقوية مركزه خلال المؤتمر قامت قوات الاسد باحتلال مراكز استراتيجية هامة في دمشق وضواحيها. وانتهى المؤتمر بمأزق واستمرت ازدواجية السلطة المذكورة آنفاً : احتفظ الاسد بسيطرته على القوات المسلحة السورية، بينما نجح جديد الى حد كبير في إحكام قبضته على جهاز الحزب المدني السوري.

وقبيل انعقاد المؤتمر القطري الاستثنائي بوقت قصير قام أنصار الاسد العسكريون بمحاصرة مقر قيادة العقيد عبد الكريم الجندي (مؤيد اسماعيلي مخلص لجديد) الذي كان يشغل حينذاك منصب رئيس الأمن القومي ورئيس إدارة المخابرات العامة، وقاموا باختطاف عدد من مساعديه وأنصاره ومصادرة السيارات الخاصة بمكتبه. أما بالنسبة لعبد الكريم الجندي فقد انتحر[221].

---

[220] تعميم الأمين العام للقيادة القطرية السورية لحزب البعث الى جهاز حزب البعث السوري، 28 فبراير (شباط) 1969؛ النهار، 5 مارس (آذار) 1969؛ الراية، 5 يوليو (تموز) 1971؛ قارن البعث، 25 مايو (آيار) 1969 . وفى 20 مارس (آذار) 1969 بدأت جماعة صلاح جديد البعثية في إصدار جريدة بديلة في بيروت باسم "الراية"، حيث كانت قد فقدت تماماً حرية التعبير في جريدتي البعث والثورة اليوميتين في سوريا.

[221] الراية، 19 يوليو (تموز) 1971، ص 6 . قارن اذاعة دمشق، 2 مارس (آذار) 1969؛ الثورة، 3 مارس (آذار) 1969؛ النهار، 5 مارس (آذار) 1969 .

وبموت الجندي انتهت الفترة التي تم فيها إما تحييد أو تصفية أبرز أنصار جديد العسكريين غير العلويين، بمن فيهم أحمد سويداني وأحمد المير[222]. وكنتيجة غير مباشرة لذلك، نجد ان الصراع على السلطة الذي تلا ذلك والقائم بين جديد وأنصار الاسد قد اقتصر الى حد ما على أعضاء الطائفة العلوية[223].

وفى عام 1969 وعام 1970 حاول جديد وأنصاره استعادة بعض نفوذهم المفقود بوضع منظمة الصاعقة التي تم تشكيلها في سوريا بعد حرب يونيو (حزيران) 1967 تحت الاشراف المباشر للقيادة القطرية السورية، بهدف تحويل المنظمة الى اداة قوة بديلة يمكن استخدامها في وقت لاحق كثقل مقابل قوة الاسد العسكرية[224].

وفى سبتمبر (أيلول) 1970 اتخذ قادة سوريا السياسيون قراراً في صالح التدخل العسكري في الحرب الأهلية في الأردن إلى جانب المنظمات الفدائية الفلسطينية التي كانت تحارب في ذلك الوقت معركة خاسرة ضد الجيش النظامي الاردني تحت قيادة الملك حسين. وقد فشل هذا التدخل واشعل فتيل مواجهة جديدة بين الاسد وجديد وكل من أنصارهما وحلفائهما.

وانعقد المؤتمر القومي الاستثنائي العاشر لحزب البعث بدمشق في أواخر اكتوبر (تشرين الأول)

---

[222] أحمد المير، عضو مؤسس للجنة العسكرية البعثية، كان قائداً للوحدات العسكرية على الجبهة السورية الاسرائيلية خلال حرب يونيو (حزيران) 1967، وقد أعفي من مهام منصبه بعد ذلك بفترة قصيرة وتم اختياره عضواً في القيادة القومية لحزب البعث في سبتمبر (أيلول) 1967 • وفى اكتوبر (تشرين الأول) 1968 تم استبدال المير في هذا المنصب بشخص آخر ليتم تعيينه بالسفارة السورية في مدريد.

[223] الحياة، 16 اغسطس (آب) 1969، فسرت النزاع بين حافظ الاسد وصلاح جديد على انه "مناورة بهدف تصفية قادة الحزب غير العلويين، قادرة على كشف العناصر التي اتخذت موقفاً معادياً من النظام السوري". ان مثل هذه الشائعات المُخْتَلَقة التي حاولت ان تفسر كل شيء تقريباً بناء على خلفيات طائفية للبعثيين الحاكمين كانت أمراً مألوفاً للصحف اللبنانية اليومية المحافظة المناهضة للبعث، كالحياة.

[224] قارن الصياد، 22 مايو (ايار) 1969؛

Dishon (ed.), Middle East Record 1969–1970, p. 1149.

1970 لمحاولة إيجاد حل لأزمة الحزب المتجددة، بيد أنه قبيل ذلك بوقت قصير قام الاسد بنقل بعض أنصار جديد العسكريين، استعداداً لأى حدث محتمل، وليكون قادراً على فرض ارادته على خصومه السياسيين، إذا ما سار المؤتمر في غير صالحه[225]. واثناء المؤتمر بات واضحاً أن الاسد وأهم مؤيد عسكري له، مصطفى طلاس، كادا أن يكونا معزولين تماماً، بينما تمتع جديد وحلفاؤه بتأييد غالبية أعضاء المؤتمر. أما في القوات المسلحة فقد كانت العلاقات بين المعسكرين السياسيين الرئيسيين على عكس ذلك تماماً. وعندما أصدر معظم أعضاء المؤتمر في النهاية قراراً غير واقعي بإعفاء كل من وزير الدفاع، الاسد، ورئيس الأركان، طلاس، من منصبيهما العسكريين وتكليفهما بمهام في الحزب، حسب ما تقرره قيادة الحزب، فقد استطاع الاثنان اتخاذ اجراءات مضادة فعالة على وجه السرعة.

وفى 13 نوفمبر (تشرين الثاني) 1970 أمر الاسد العسكريين باحتلال مكاتب القسم المدني للحزب، وكذلك المنظمات الشعبية البعثية، بالإضافة الى إلقاء القبض على أبرز قادة الحزب المدنيين، بمن فيهم صلاح جديد والرئيس نور الدين الاتاسي. وقد فر الكثير من أعضاء المؤتمر الى لبنان، بغية تفادى الاعتقال، واستمروا في معارضة النظام السوري الجديد من هناك[226].

ولم يحصل القسم المدني لحزب البعث تحت نظام حكم الاسد مرة أخرى على المركز القوى الذي حظي به لبعض الوقت خلال المدة السابقة. وفى 13 نوفمبر (تشرين الثاني) 1970 كادت جماعة ضباط حافظ الاسد الذي أصبح أول رئيس علوي سوري في فبراير (شباط) 1971 ان تحتكر السلطة السياسية. وبهذا تم وضع حد للتقليد السوري بأن يكون الرئيس سنياً، كما كان هذا الأمر بمثابة رمز لتطور العلويين

[225] الراية، 7 يونيو (حزيران) 1971.

[226] الراية، 14 و 17 نوفمبر (تشرين الثاني) 1970. ظل اللواء صلاح جديد في الأسر حتى وفاته في 19 أغسطس (آب) 1993 بسجن المزة (دمشق). وقد دُفن في اليوم التالي بقريته بالقرب من اللاذقية وسط احتفال كبير. أما نور الدين الاتاسي فقد اطلق سراحه بعد أكثر من عشرين عاماً بالسجن ومات بعد ذلك بقليل. وشارك العديد من البعثيين المدنيين والعسكريين المعارضين للاسد في نفس هذا المصير. الحياة، 24 فبراير (شباط) 1994. للاطلاع على قائمة بأسماء المساجين الذين طال حبسهم وعلى خلفياتهم انظر لجنة الدفاع عن المعتقلين السياسيين في سوريا، المكتب المركزي، من قوافل المعتقلين السياسيين وأخبارهم في السجون السورية، غير معلوم المكان، 1976، وأيضاً
Middle East Watch, Syria Unmasked: The Suppression of Human Rights by the Asad Regime, London, 1991, pp. 166–169.

سياسياً من طائفة دينية متخلفة اقتصادياً ومضطهدة اجتماعياً الى مجموعة من السكان المتحررين وطنياً وفى مركز قوة وسيطرة.

وبعد 13 نوفمبر (تشرين الثاني) 1970 اعتمد حافظ الاسد بصورة كبيرة على جماعة الضباط التابعة له في الإحتفاظ بالسلطة. وشملت هذه الجماعة عدداً من كبار الضباط الذين كان لهم ولأنصارهم مراكز استراتيجية هامة في القوات المسلحة السورية. هذا، وقد تقلد الضباط التابعون لطوائف دينية غير علوية مهاماً عسكرية عليا من حيث الشكل، إلا أنهم لم يكونوا في وضع يشكل أي تهديد للرئيس العلوي الذي كان اتباعه الشخصيون قادرين على قمع أية بادرة عصيان. فعلى سبيل المثال، نجد أن اللواء ناجي جميل، وهو سني من دير الزور وقد رأس السلاح الجوى السوري من نوفمبر (تشرين الثاني) 1970 حتى مارس (آذار) 1978، لم يكن في استطاعته استخدام السلاح الجوى بفاعلية في أي عصيان عسكري ضد الرئيس، ويرجع ذلك جزئياً الى أن أنصار حافظ الاسد العلويين حينذاك كانوا مسئولين عن القواعد الجوية الرئيسية. وكان هذا ينطبق أيضاً على كبار الضباط السنيين الآخرين أمثال اللواء مصطفى طلاس، الذي عُين وزيراً للدفاع في مارس (آذار) 1972، وخلفه فيما بعد اللواء يوسف شكور كرئيس للاركان، وهو مسيحي من الروم الأرثوذكس من محافظة حمص.

ان ضباطاً مثل طلاس وجميل وشكور استطاعوا فرض سيطرتهم، طالما كانوا خاضعين لسياسات الرئيس، أما في حالة حيدهم عن خط سيره فكان من السهل إزاحتهم جانباً من قِبل أنصاره العسكريين ومعظمهم علويون، وخاصة بالنظر الى حقيقة أنه لم يكن لهم أتباع شخصيون أقوياء داخل القوات المسلحة.

وفى الحقيقة، فان تعيين ضباط سنيين في مثل هذه المراكز العسكرية العليا، أمثال طلاس وجميل، كان من الممكن أن يكون بغرض تهدئة السنيين وتبديد الانطباع بأن أهم المراكز مقصورة على العلويين دون غيرهم[227].

---

[227] من أبرز الأعضاء العلويين في جماعة حافظ الاسد في هذه الفترة: رفعت الاسد (أخوه) وعلي حيدر (قائد "القوات الخاصة") ومحمد توفيق الجهني (قائد الفرقة الأولى) وعلي دوبا (رئيس المخابرات العسكرية) وعلي الصالح (قائد الدفاع الجوى) وعلي حماد (رئيس شئون الضباط). وفى 1975 كان هؤلاء هم أعضاء اللجنة العسكرية المسئولة عن تنقلات الضباط. ومن بين أنصار حافظ الاسد العسكريين العلويين الآخرين في هذه الفترة: عبد الغني ابراهيم وعلي أصلان وحكمت ابراهيم وعلي حسين. كما يمكن العثور على أسماء العديد من أنصار حافظ الاسد الآخرين في جريدة البعث، 11

وكما رأينا، فإن أبرز جماعات الضباط السنيين والدروز والاسماعيليين قد تم إما تحييدهم أو تصفيتهم من القوات المسلحة قبل عام 1970 •والتفوق الذي حظيت به جماعة حافظ الاسد بعد نوفمبر (تشرين الثاني) من ذلك العام قلل كثيراً من الفرص أمام غير العلويين لتشكيل كتل قوى مستقلة قادرة على تهديد مركز النظام القائم• وبالرغم من أن الصحف والمجلات والنشرات الدورية اللبنانية كانت تصرح مراراً بأن مركز الاسد مُهدد من قِبل الضباط السنيين، إلا أن مصداقية تلك التصريحات مشكوك فيها، ولم يتم اثبات صحتها في حين صدورها بصورة مقنعة[228]•

ان مخاطرات التحدي لمركز الاسد في الأصل نبعت أساساً من داخل الطائفة العلوية ذاتها• ويمكننا أن نستنتج من الاعتقالات والتسريحات التي حدثت أن الضباط العلويين والمدنيين البعثيين من اللاذقية كانوا متورطين بصورة رئيسية في المؤامرات التي تم الكشف عنها منذ نوفمبر (تشرين الثاني) 1970 • فعلى سبيل المثال، في يونيو (حزيران) 1971، اعتُقل عدد من أنصار جديد واتُهموا بالتورط في نشاطات تخريبية ضد النظام، وقد شمل ذلك العديد من أبرز أعضاء الحزب بقيادة فرع اللاذقية[229]•

مارس (آذار) 1974، والتي نشرت قائمة بأسماء الضباط الذين مُنحوا أوسمة عسكرية كمكافأة لهم على أدائهم الحسن في حرب اكتوبر (تشرين الأول) 1973 • انظر أيضاً حزب البعث العربي الاشتراكي، القطر العربي السوري، القيادة القطرية، تقارير المؤتمر القطري الثامن ومقرراته، المنعقد في دمشق في الفترة الواقعة بين 1985/1/5 و 1985/1/20؛ التقرير التنظيمي، دمشق 1985، ص 372 (المشار إليه فيما بعد بــ "التقرير التنظيمي 1985")، و
Van Dam, De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme, p. 184 n. 29.

[228] قارن الكفاح، 23 سبتمبر (أيلول) 1971؛ بيروت 23 و 24 و 26 سبتمبر (أيلول) 1971؛ الحوادث، 7 ديسمبر (كانون الأول) 1972 • الدستور (بيروت)، 26 يونيو (حزيران) 1972، ذكرت وجود بعض جماعات الضباط السنيين تحت قيادة وزير الدفاع مصطفى طلاس وقائد السلاح الجوى ناجي جميل ورئيس الوزراء عبد الرحمن خليفاوي (وهو دمشقي من أصل جزائري) الذين كانوا يشكلون تهديداً لمركز الاسد• وقد ظهرت مثل هذه التقارير بصفة خاصة في الصحف الموالية للعراق بعد تقلد زمام السلطة في العراق في 17 يوليو (تموز) 1968 من قِبل مجموعة من البعثيين، لهم ارتباطٌ تنظيميٌ بأولئك الذين أُطيح بهم في سوريا في 23 فبراير (شباط) 1966 • انظر أيضاً الراية، 1 مارس (آذار) 1971، حيث ذكرت أنه بعد انقلاب الاسد في 13 نوفمبر (تشرين الثاني) 197• انقسم أنصاره الى "ثلاثة أجنحة"•

[229] انظر الراية، 14 و 28 يونيو (حزيران) 1971؛ الحياة، 11 و 15 يونيو (حزيران) 1971 وفى 5 يناير (كانون الثاني) 1971 ذكرت الحياة اعتزال اثني عشر ضابطاً، عشرة منهم علويون، بمن فيهم عزت جديد•

وقد اُغتيل اللواء العلوي محمد عمران في 4 مارس (آذار) 1972 في طرابلس بلبنان، حيث كان يعيش في المنفى منذ عام 1967 • وقد دلت الآثار التي خلّفها القتلة على احتمال تورط جهاز المخابرات السورية. وقد يكون عمران استمر في الاتصال ببعض أنصاره العسكريين في سوريا، على أمل العودة للحياة السياسية في المستقبل. هذا، وقد تكون عملية اغتياله والشائعات التي ترددت حول تورط النظام السوري قد قوضت كثيراً من ثقة الضباط العلويين بالذات تجاه الاسد[230].

وفى ديسمبر (كانون الأول) 1972 تم اعتقال المزيد من أنصار وحلفاء جديد العسكريين والمدنيين بتهمة التآمر ضد النظام. ومرة أخرى بدا واضحاً أن النسبة الكبرى من المعتقلين علويون : ذكرت الراية اعتقال خمسة عشر ضابطاً، اثنا عشر منهم على الأقل علويون. علاوة على ذلك، وطبقاً لنفس المصدر، فإن معظم المدنيين الذين اعتُقلوا كانوا من فروع الحزب باللاذقية وطرطوس ودمشق[231].

ونظراً لأن معظم التحديات لنظامه نبعت من داخل الطائفة العلوية فإنه ليس من المدهش بمكان أن يضع الاسد ثقته المتزايدة في أشخاص مقربين إليه، كأفراد عائلته أو قبيلته أو قريته وما يجاورها، وذلك لكي يؤمِّن مركزه حتى ضد من هم من نفس طائفته الدينية. لقد كان اخوته الخمسة جميعهم أعضاءاً عاملين بالحزب، وشغلوا مراكز بارزة في الجيش وفى مؤسسات الحزب أو في المؤسسات الحكومية،

---

[230] الدستور (بيروت)، 26 يونيو (حزيران) 1972؛ الحوادث، 7 ديسمبر (كانون الأول) 1972؛ الحياة، 6 مارس (آذار) 1972؛ بيروت، 6 مارس (آذار) 1972؛ السياسة (الكويت)، 4 مارس (آذار) 1972 • المحرر، 6 مارس (آذار) 1972، اتهمت نظام البعث العراقي باغتيال عمران؛ الثورة (بغداد)، 4 اكتوبر (تشرين الأول) 1976، واذاعة بغداد في 4 اكتوبر (تشرين الأول) 1976، ألقت اتهاماتها كذلك على نظام البعث السوري. وليس واضحاً ما إذا كانت التغييرات في قيادة الجيش السوري في 26 مارس (آذار) 1972 متعلقة باغتيال عمران أم لا. انظر أيضاً محمود صادق، حوار حول سوريا (لندن: دار عكاظ، 1993)، ص 21، 26، 33، الذي يذكر ان مجموعة (صغار) الضباط الموالية لمحمد عمران قد اصبحت فيما بعد موالية لحافظ الأسد.

[231] الراية، 4 ديسمبر (كانون الأول) 1972 • قارن الحوادث، 7 ديسمبر (كانون الأول) 1972؛ العالم العربي، 8 ديسمبر (كانون الأول) 1972، ص 11–12 : "متاعب ومشكلات الرئيس الاسد"؛
L'Orient–Le Jour, 14 December 1972.
ومن المحتمل أن يكون بعض أعضاء الحزب الذين تم اعتقالهم من فرع دمشق أيضاً من منطقة اللاذقية.

خاصة رفعت الاسد الذي تولى قيادة سرايا الدفاع بعد انقلاب نوفمبر (تشرين الثاني) 1970، وهى نخبة من وحدات الجيش ذات أهمية سياسية واستراتيجية متمركزة حول دمشق، استطاع بها أن يحمى نظام أخيه الأكبر٠ وقد ذُكر أن القوات العسكرية التي كانت تحت قيادته لعبت دوراً هاماً في حرب اكتوبر (تشرين الأول) 1973 ضد إسرائيل، وقد مُنح هو وعدد من الضباط الآخرين في مارس (آذار) 1974 أوسمة عسكرية لما أظهروه من تفوق غير عادى خلال الحرب[232]٠

وبعد انقلاب نوفمبر (تشرين الثاني) 1970 على وجه الخصوص سرت شائعات داخل البلاد وخارجها اوحت بوجود منافسة بين الأخوين، وصلت أحياناً إلى حد القول بأن رفعت الاسد كان مصدر تهديد لمركز أخيه٠ لذلك، عندما حاولت قيادة الجيش نقله ونقل وحداته بعيداً عن دمشق كما ذُكر فقد اُشيع أن رفعت ثار مراراً وتكراراً على ذلك[233]٠ إلا أنه في ابريل (نيسان) 1975 في المؤتمر القطري السوري السادس لحزب البعث بدمشق تم انتخاب رفعت الأسد عضواً في القيادة القطرية السورية إلى جانب أخيه حافظ[234]٠

وفى نفس المؤتمر جرى تعيين أخ آخر وهو جميل الاسد عضواً في المؤتمر القومي الثاني عشر لمنظمة الحزب الحاكم[235]، بعد أن كان قد تم انتخابه بالفعل عضواً بمجلس الشعب السوري في مايو (ايار) 1973 [236]٠ أما الأخوة الثلاثة الآخرون للرئيس فهم اسماعيل ومحمد وأحمد على سليمان، وقد تقلد الأخير

---

[232] البعث، 11 مارس (آذار) 1974 ٠ انظر مقابلة رفعت الاسد مع الصياد، 13 فبراير (شباط) 1974، حول الدور الذي لعبته وحداته المسلحة في حرب اكتوبر (تشرين الأول)٠

[233] انظر على سبيل المثال الراية، 14 يونيو (حزيران) 1971 ٠

[234] النهار، 15 ابريل (نيسان) 1975 ٠

[235] البعث، 16 ابريل (نيسان) 1975 ٠ قارن الكفاح العربي، 8 ابريل (نيسان) 1975 ٠

[236] النهار، 28 مايو (ايار) 1973 ٠ وفقاً لهذه الجريدة اليومية، فإن سلمى نجيب، حماة أخ الرئيس حافظ الاسد، كانت قد اُختيرت في نفس الوقت٠

لفترة ما منصباً بالمجلس المحلى بمحافظة اللاذقية[237]٠

وفى بيروت، واصل أنصار جديد مهاجمة نظام الاسد من خلال صفحات جريدة الراية التابعة لهم، مع التركيز على مظاهر النظام الطائفية والعشائرية٠ وفى مقال بعنوان "من يحكم بغداد ودمشق ؟" كتب أحد المحررين قائلا :

يمكننا أن نلاحظ أن الفريقين الموجودين على رأس السلطة في دمشق وبغداد ينتميان لكتل تكونت داخل الجيش والحزب، وهى في واقعها كتل طائفية أو عشائرية (مثل) كتلة "التكارتة" في العراق٠٠٠ لقد قفز كل من حكام دمشق وبغداد الى السلطة عبر انقلاب عسكري يعتمد على تحالف كتل عشائرية أو طائفية في الجيش[238]٠

وفى مقالاتهم الموجهة ضد الاسد لم يذكر أنصار جديد البعثيون أن مراكز سلطتهم السابقة في سوريا كانت أيضاً معتمدة على الكتل الطائفية والعشائرية والاقليمية في القوات المسلحة وفى الحزب٠

وبعد انقلابه في نوفمبر (تشرين الثاني) 1970 حاول حافظ الاسد وضع حد لعزلة سوريا السياسية في العالم العربي والتي كانت قد زادت حدتها في الفترة منذ 23 فبراير (شباط) 1966 ٠ فقد سعى الى التقارب مع "دول المواجهة" مصر والاردن وكذلك مع الدول الأكثر محافظةً مثل السعودية، وذلك بقصد بناء جبهة عسكرية وسياسية موحدة ضد إسرائيل٠ أما جديد وحلفاؤه فقد سبق لهم أن رفضوا أي تعاون

[237] البعث، 23 يناير (كانون الثاني) 1975 ٠

[238] الراية، 22 نوفمبر (تشرين الثاني) 1971 ٠ انظر أيضاً المقالة المعنونة "مقابلة بين القرداحة وتكريت والمنوفية"، الراية، ١٠ ابريل (نيسان) 1972، حيث وُصف التقارب السياسي بين سوريا والعراق ومصر في 1972 بسخرية على أنه تقارب بين ثلاثة من الأنظمة يسيطر عليها حُكام من مساقط رأس معينة : فحافظ الاسد من القرداحة والرئيس العراقي أحمد حسن البكر من تكريت والرئيس المصري أنور السادات من المنوفية٠ قارن الراية، 19 يوليو (تموز) 1971 و 27 ديسمبر (كانون الأول) 1971 و 1 مايو (ايار) 1972 و 28 اغسطس (آب) 1972 ٠ ومما يثير الانتباه انه في عام 1977 اتبع العراق رسمياً سياسة حذف الانتساب الى عشيرة أو منطقة لدى ذكر الأسماء الشخصية٠ ويبدو أن هذا الإجراء الذي لم يكن مُلزماً لغير العسكريين كان قد اتُخذ بهدف التشويش على الولاءات العشائرية أو الإقليمية٠ وهدف آخر وراء ذلك كان منع عامة الشعب من التعرف بسهولة على منطقة أو عشيرة البعثيين الحاكمين في العراق٠

جاد مع مصر التي يحكمها الرئيس جمال عبد الناصر ومع الدول الأكثر محافظة، بحجة أن التقدميين هم وحدهم القادرون على كسب الصراع النهائي ضد إسرائيل. وقد اظهرت سياسة الاسد الجديدة التمركزة على التعاون العربي نتائج حاسمة في حرب اكتوبر (تشرين الأول) 1973، حيث استطاعت القوات المسلحة المصرية والسورية تنسيق جهودهما العسكرية بشكلٍ فعالٍ ضد إسرائيل.

وتوحى التطورات الواردة بهذا الكتاب بوجود علاقة ارتباط واضحة بين الاستقرار السياسي ودرجة التشرذم الطائفي والاقليمي والعشائري داخل نخبة السلطة السياسية: فكلما أظهرت الجماعات المعنية تبايناً عظيماً كانت النتيجة انعدام الاستقرار السياسي.

ان فترة الاستقرار الطويلة نسبياً التي تمتعت بها سوريا منذ نوفمبر (تشرين الثاني) 1970 يمكن أن تُعزى الى حد كبير لعدم تقويض الانضباط العسكري والحزبي حينذاك بالشكل الذي كانت الأوضاع عليه فيما سبق، بسبب الانقسام الطائفي والاقليمي والعشائري، بجانب أنه لم يبق سوى جماعة واحدة من الضباط العلويين، ألا وهى جماعة حافظ الاسد، الذي تقلد زمام السلطة العليا واستطاع أن يفرض ارادته على الآخرين. أن التأثير الهدام الذي يمكن أن يفرضه الشقاق الحزبي على الانضباط العسكري قد بدا واضحاً من خلال الإنجازات التي حققتها القوات المسلحة السورية: ففي حرب اكتوبر (تشرين الأول) 1973 كانت الانجازات أفضل بكثير منها في يونيو (حزيران) 1967 عندما تأثر سلك الضباط وتنظيم حزب البعث بتشكيلات طائفية وإقليمية وعشائرية.

وفى عام 1976 تم تقويض مركز حافظ الاسد بصورة خطيرة لأول مرة منذ قيام "حركته التصحيحية" في نوفمبر (تشرين الثاني) 1970، والسبب الرئيسي في ذلك يرجع الى إصداره الأوامر للجيش السوري بالتدخل في الحرب الأهلية اللبنانية. وقد دارت هذه الحرب التي أخذت في الإشتعال تارة والخمود تارة أخرى منذ ابريل (نيسان) 1975 بين الأحزاب السياسية اليمينية اللبنانية المتكونة أساساً من المسيحيين الموارنة وبين الأحزاب السياسية اليسارية التي كان معظم اتباعها من الطوائف الإسلامية المتعددة والتي دُعمت عسكرياً في مرحلة لاحقة من قِبل المنظمات الفدائية الفلسطينية.

وقد تدخل الأسد في المعارك اللبنانية بغية الوصول الى وضع يمكن فيه استخدام الوسائل الدستورية والشرعية لتحقيق تسوية سلمية بين الأطراف المتنازعة. بيد أن هذه المحاولة قد باءت بالفشل:

فقد تصاعدت حدة المعارك بشكل لم يكن متوقعاً على الإطلاق وتورط السوريون في البداية في مواجهة عسكرية عنيفة مع الفدائيين الفلسطينيين ومليشيات اليسار اللبنانية، وهم الحلفاء التقليديون لنظام البعث السوري[239]. وقد كان لهذا الجانب بالذات تأثير مزعج على وضع الاسد داخل البلاد، وارتفعت أصوات المعارضة القوية ضد تدخله في لبنان، وبعد اكتشاف وإحباط مؤامرات لإسقاط النظام القائم ذُكر أن هناك العديد من الاعتقالات قد تمت داخل القوات المسلحة والجهاز المدني لحزب البعث[240].

وعقب التدخل العسكري السوري في لبنان وقعت سلسلة من الإغتيالات السياسية والهجمات على قادة حزب البعث في سوريا. ولم يكن واضحاً حينذاك ما إذا كانت تلك الأحداث وليدة معارضة سياسية داخلية ضد التدخل العسكري السوري في لبنان مثلا، أو نتيجة المنافسة بين نظاميِّ البعث الحاكمين في كل من بغداد وسوريا، أو ما إذا كان حتى المقصود بذلك هو إثارة "الإنقسامات الطائفية". وعلى أية حال، فمن الملاحظ أن معظم الذين
تم اغتيالهم كانوا من العلويين[241]. واتهمت إذاعة دمشق ما أسمته بـــ "الزمرة الفاشية العشائرية التكريتية"

---

[239] في 12 ابريل (نيسان) و 20 يوليو (تموز) 1976 في الخطابين اللذين بثتهما إذاعة دمشق أوضح الرئيس حافظ الاسد خلفيات قراره بالتدخل في لبنان. انظر كذلك صابر فلحوط، المسألة الفلسطينية والموقف العربي السوري (دمشق، 1977)، ص 309−314؛ وغالب كيالي، حافظ الاسد: قائد ورسالة (بيروت، 1977)، ص 179−185 .

[240] قارن الصمود، كما ورد في

Arab Report & Record, 1−15 April 1976, p. 231

قارن بيروت، 27 مايو (ايار) 1976؛ الجمهورية (القاهرة)، 27 ابريل (نيسان) 1976؛

Baghdad Observer 11 and 19 May 1976.

[241] من أبرز الشخصيات العلوية التي تم اغتيالها: الرائد علي حيدر قائد حامية حماة (قُتل في نهاية 1976)؛ الأستاذ محمد الفاضل رئيس جامعة دمشق (قُتل في 22 فبراير (شباط) 1977)؛ العميد عبد الكريم رزوق قائد فيلق الصواريخ بالجيش السوري (قُتل في 19 يونيو (حزيران) 1977)؛ الدكتور علي عبد العلي الأستاذ بجامعة حلب (قُتل في 1 نوفمبر (تشرين الثاني) 1977)؛ الدكتور يوسف عيد أحد أقرباء اللواء محمد عيد القائد العسكري للمنطقة الشمالية (قُتل في 6 مارس (آذار) 1978)؛ الدكتور ابراهيم نعامة عميد أطباء الأسنان السوريين ونائب رئيس مجلس إدارة جمعية الصداقة السوفييتية السورية (قُتل في 18 مارس (آذار) 1978)؛ المقدم أحمد خليل مدير الشرطة بوزارة الداخلية (قُتل في 1 اغسطس (آب) 1978) وكان مُقرباً جداً للرئيس حافظ الاسد. انظر البعث، 28 يونيو (حزيران) 1979 .

(Le Monde, 23 August 1978).

وقد كان العلي ونعامة صهري الرئيس السوري وينتميان لقرية تجاور قريته. قارن

الحاكمة في بغداد بتدبير بعض الاغتيالات[242].

أما المصادر المعارضة لسوريا فقد أعزت الجهود المبذولة للاطاحة بنظام الاسد، ليس فقط لدوافع سياسية، بل أيضاً للاستياء المزعوم ضد الهيمنة العلوية في سوريا. فعلى سبيل المثال، في 26 ابريل (نيسان) 1976 ادعت إذاعة القاهرة أن ما سمي بالانقلاب الفاشل الذي قام به الضباط السوريون في بداية ذلك العام يمكن نسبته بصورة كبيرة الى ما اسمته بـــ "التمرد الذي قام به ضباط الصف والجنود في حزب البعث ضد قيادة الحزب لفرضها سلطة الطائفة العلوية الدينية على البلاد[243]. وفى بث آخر في 5

Le Monde, 1 April 1978,

التي ذكرت أيضاً انه يبدو أن اللواء ناجى جميل رئيس الأمن الوطني قد تم عزله من منصبه كنائب وزير الدفاع وقائد القوات الجوية السورية، لعدم قيامه بالحيلولة دون وقوع تلك الاغتيالات. (قارن البعث، 3 نوفمبر (تشرين الثاني) 1977 و 28 مارس (آذار) 1978 و 26 ابريل (نيسان) 1978؛ النهار العربي والدولي، 8 ابريل (نيسان) 1978؛ النهار، 28 مارس 1978؛

Sunday Times, 16 April 1978;

إذاعة بغداد، 24 ابريل (نيسان) 1978)• وفى 6 يوليو (تموز) 1977 تم التلميح في صحيفة تشرين السورية اليومية التابعة للحكومة بأن الاغتيالات ربما كان المقصود بها إثارة "الإنقسامات الطائفية". (قارن

Guardian, 6 July 1977).

[242] إذاعة دمشق، 28 مارس (آذار) 1977 و 13 يوليو (تموز) 1977 و 2 نوفمبر (تشرين الثاني) 1977 و 17 سبتمبر (أيلول) 1978 • ومن ناحية أخرى، اتهم النظام البعثى العراقي ما أسماه بـــ "نظام أسرة الاسد" وبالذات رفعت الاسد بأنه كان وراء الإغتيالات).قارن

Baghdad Observer, 11 July 1977;

إذاعة بغداد، 24 و 30 اغسطس (آب) 1978) • وقرب نهاية سبتمبر (أيلول) 1978 خمدت الحرب الإعلامية فجأة وقام الرئيس حافظ الاسد في الفترة من 24 الى 26 اكتوبر (تشرين الأول) 1978 بزيارة مصالحة الى بغداد من أجل زيادة التقارب بين نظامي البعث المتنافسين، والتي تُوجت بمعارضتهما المشتركة للاتفاقات المصرية الاسرائيلية، فيما يتعلق بـــ "إطار عمل للسلام في الشرق الأوسط" و "إطار عمل لتحقيق معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل" وُقعت في كامب ديفيد بتاريخ 17 سبتمبر (أيلول) 1978 • وقد اختتمت زيارة الاسد بتوقيع "ميثاق للعمل القومي المشترك بين سوريا والعراق". (البعث، 27 اكتوبر (تشرين الأول) 1978) •

Eberhard Kienle, Ba'th v Ba'th, pp. 135−151.

[243] إذاعة القاهرة، 26 ابريل (نيسان) 1976؛ الجمهورية (القاهرة)، 27 ابريل (نيسان) 1976 •

يونيو (حزيران) 1976 وصفت إذاعة القاهرة نظام حافظ الاسد في مصطلح دعائي بأنه "نظام البعث السوري العلوي" وفى مارس (آذار) 1978 ذهب الرئيس المصري أنور السادات الذي انتُقد بشدة من قِبل سوريا لقيامه بزيارة إسرائيل في نوفمبر (تشرين الثاني) 1977 ولبدئه المباحثات مع رئيس الوزراء الاسرائيلي مناحم بيجين الى حد التصريح بأن نظام البعث في سوريا كان "أولا علوياُ وثانياً بعثياً وثالثاً سورياً"، بغية التلميح بأن الرئيس الاسد كان لديه نية تأسيس دولة علوية[244]٠

وعلى نقيض ما يمكن استخلاصه من كل هذه الدعاية الطائفية فإن المعارضة الأكثر خطورة على نظام حافظ الاسد كان من الممكن أن تأتى أولا من قِبل الضباط التابعين للطائفة العلوية، ثم من قِبل الآخرين٠

وفى عام 1977 ساهم تطور آخر لمجرى الأمور في سوريا في تدهور مركز الاسد٠ ففي 18 اغسطس (آب) 1977 ربما على أمل استعادة بعض الاعتبار الذي فقده نظامه اثر تدخله في لبنان أعلن الاسد تكوين لجنة للتحقيق في الكسب غير المشروع "للتحقيق في جرائم الرشوة وبسط النفوذ والإختلاس واستغلال المناصب والمكاسب غير المشروعة"[245]٠ ويبدو ان ما كان مقصوداً بهذه الحملة ضد الفساد هو تبديد السخط الشعبي ضد سبل معالجة الحكومة للسياسة الاقتصادية وضد الفساد المتفشي في البيروقراطية الحكومية والقطاع العام٠ وحقيقةً، كانت الحملة محكوماً عليها بالإخفاق منذ البداية، حيث أن بعض الضباط العسكريين من ذوى المناصب العليا وهم من الحاشية المباشرة للرئيس حافظ الاسد والذين كانوا يشكلون لب جماعته من الضباط (ومعظمهم علويون) قد وجدوا مذنبين بالتورط في ممارسات الفساد[246]٠

---

[244] الرئيس أنور السادات في مقابلة له مع مجلة اكتوبر، 26 مارس (آذار) 1978؛ إذاعة القاهرة، 25 مارس (آذار) 1978 ٠ انظر أيضاً الفصل الرابع، حاشية 40 ٠

[245] خطاب الرئيس حافظ الاسد، إذاعة دمشق، 18 اغسطس (آب) 1977 ٠

[246] وفقاً لبعض التقارير، فإن الرأى العام المحلى قد اعتبر أخا الرئيس المقدم الدكتور رفعت الاسد كأحد حاملي لواء النظام والمستفيدين من معاملات الرشوة والفساد في سوريا ٠ (قارن

Guardian, 22 September 1977; Arab Report & Record, 16–30 September 1977, p. 798; Afrique–Asie, 7 February 1977).

وفقاً لـــ

Arab Report and Record, 1–15 July 1977, p.559,

وتصفية هؤلاء الضباط من الجيش أو اتخاذ اجراءات تأديبية صارمة ضدهم كان من الممكن أن يقوض مركز قوة جماعة الاسد بشكل مباشر، وبالتالي، النظام ككل· لذلك، كان من المُحبذ عدم التعرض بالإساءة لمراكز أبرز الضباط، ونتيجة لهذا، فقد تمت المخاطرة بمصداقية النظام في تدبير الحملة ضد الفساد، وتعرضت هيبته للضرر مرة أخرى·

ويمكن أن نستنتج أن الفشل الذي مُنيت به الحملة ضد الفساد يعتبر مثالاً آخر للمأزق الذي وجد النظام البعثى السوري نفسه فيه مراراً وتكراراً منذ استيلائه على السلطة في عام 1963 • ويرجع ذلك لبُنية لب نخبة القوى السياسية: أي الحزب السياسي أو إحدى جماعاته التي، رغم اتباعها إيديولوجية معينة لإبعاد الولاءات الطائفية والإقليمية والعشائرية، إلا أنها وجدت نفسها مضطرة الى حد ما للرجوع لتلك الولاءات التقليدية عندما تقلدت زمام السلطة، حتى لا تفقد القوة المطلوبة لتحقيق ايديولوجيتها·

وأصبحت المشكلة تدور في حلقة مفرغة: فمن ناحية نجد أن السلطة كانت ضرورية لتنفيذ التغييرات الاجتماعية الجذرية اللازمة، وما تستتبعه من قمع للولاءات الطائفية والإقليمية والعشائرية، ومن ناحية أخرى نجد أن الاحتفاظ بالسلطة كان يستتبعه الاعتماد على تلك الولاءات، وبالتالي إعاقة قمعها·

فإنه كان من المُعتقد حينذاك أن العلويين قد تقلدوا حوالي 18 منصباً من بين الـــ 25 منصباً بقيادات الجيش·

الفصل السادس

الشقاق الحزبي الطائفي والإقليمي في نخبة السياسيين السوريين: تحليل احصائي

تحليل إحصائي لمؤسسات السلطة السياسية السورية

في هذا الفصل نعرض بعض نتائج بحث تناول البنية الخاصة بنخبة السلطة السياسية السورية عن طريق تحليل إحصائي للخلفيات الطائفية والإقليمية والاجتماعية الاقتصادية والسياسية لأعضاء مؤسسات السلطة السياسية الهامة.

لقد تم تناول الوزارات السورية فيما بين 1942 و 1995، بجانب القيادات القطرية السورية لحزب البعث منذ أن تقلد زمام السلطة في 1963 (انظر الجداول من 1 إلى 7)[247].

[247] بالنسبة إلى الفترة بعد 1980 انظر أيضاً الفصل التاسع من هذا الكتاب والجدولين 8 و 9 . تكونت سوريا ككيان سياسي بحدودها الحالية في يناير (كانون الثاني) 1942 . وكانت الوزارة المسئولة حينذاك هي الواحدة والثلاثون منذ انفصال سوريا عن الإمبراطورية العثمانية. لذلك، نجد أن ترقيم الوزارات منذ عام 1942 يبدأ برقم 31 بجدول 1 و 4 . أما في جدول 2 فقد تم إدراج وزراء من لواء الاسكندرون (وبالتحديد فايز اسماعيل وأدهم مصطفى وعدنان مصطفى العلويين) ضمن قائمة الوزراء من اللاذقية وذلك لتيسير الأمور. انظر أيضاً
Van Dam, De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme, pp. 31 45, and 200−202
من أجل تفاصيل إحصائية حول الحكومات السورية والقيادات القطرية السورية المنفردة.
انظر أيضاً:
Alasdair Drysdale, 'The Regional Equalization of Health Care and Education in Syria since the Ba'thi Revolution', International Journal of Middle East Studies, Vol. 13 (1981), pp. 93−111; Alasdair Drysdale, 'The Syrian Political Elite, 1966−1976: A Spatial and Social Analsis', Middle

وأولى البحث اهتماماً خاصاً لأعضاء البعث العسكريين لكونهم أهم حكام سوريا منذ 8 مارس (آذار) 1963 ونظراً للتشابه الكبير بين خلفياتهم والخلفية الخاصة بلب نخبة السلطة السياسية في ذلك الوقت.

ونتائج هذا البحث الإحصائي تعكس وتؤكد الاتجاهات والتطورات التي تم تناولها بالتفصيل في الفصول السابقة.

وقد لوحظ في المقدمة أن الفئات الطائفية والإقليمية والعشائرية قد تتداخل إلى حد كبير مع الفئات

Eastern Studies, Vol. 17 (1981), pp. 330; Raymond Hinnebusch, Authoritarian Power and State Formation in Ba'thist Syria (San Fransisco, 1990), pp. 177–189; and Macintyre, The Arab Ba'th Socialist Party, pp. 205–330,

حيث أعد الأخير بحثاً إحصائياً هاماً استقصى فيه مؤشرات السن والاستمرار في المناصب وأنماط التمثيل الإقليمي والطائفي والتعليم والوظائف الخاصة بالنخبة السياسية السورية، مع التركيز على الفترة بين 1958 و 1966 • ولم يقم ماكنتير بتقسيم الطوائف الدينية على أساس إقليمي كما هو الحال هنا، ففي هذه الدراسة تم تقسيم التمثيل الطائفي على أساس إقليمي بالجداول الإحصائية، وذلك لتحديد مدى التداخل بين التمثيل الإقليمي والطائفي. ومن أجل دراسة أخرى حول النخبة السياسية السورية انظر

Michael H. Van Dusen, 'Syria: Downfall of a Traditional Elite', in Frank Tachau (ed.), Political Elites and Political Development in the Middle East (New York, 1975), pp. 114–155; Gordon H. Torrey, 'Aspects of the Political Elite in Syria', in George Lenczowski (ed.), Political Elites in the Middle East (Washington, DC, 1975), pp. 151–161; Bayly Winder, 'Syrian Deputies and Cabinet Ministers, 1919–1959', The Middle East Journal, Vol. 16, No. 4, Autumn 1962, pp. 407 –429 and Vol. 17, No. 1, Winter 1963, pp. 35–54; M. Mohammed Sabet Mahayni, l'Evolution constitutionelle de la Syrie indépendante (Thèse pour le doctorat d'etat, Paris, 1972);

قارن حسن الحكيم، مذكراتي، صفحات من تاريخ سوريا الحديث 1920 – 1958 (بيروت، 1966)، المجلد الثاني، ص 147 – 282؛ جورج فارس، من هو في سوريا، 1949 (دمشق، 1949)؛ فارس، من هو في سوريا، 1951، دمشق، 1951؛ فارس، من هم في العالم العربي، المجلد الأول، سوريا (دمشق، 1957)؛

Office de Presse Arabe et de Documentation (OFA), 2e Cabinet Mahmoud Ayoubi (1er Septembre 1974), Structure, Analyse et Biographies (Damascus, 1974); Who's Who in the Arab World, Second Edition, 1967 – 1968, (Bayrut, n.d.); C. Ernest Dawn, 'The Rise of Arabism in Syria', The Middle East Journal, Vol. 16, No. 4, Autumn 1962, pp. 145 – 168.

الاجتماعية الاقتصادية، كما أن التباين بين الريف والمدن قد يتداخل أيضاً مع التباين الطائفي٠ علاوة على ذلك، فإن تداخل الولاءات الطائفية والاقليمية والعشائرية والاجتماعية الاقتصادية قد يتسبب في تشابك عناصرها بشكل لا يقبل الفصل، فتصبح متممة ومدعمة بعضها البعض٠ وينطبق هذا بالذات على الأقليات المتماسكة، حيث تتطابق الفئات المشمولة إلى أقصى حد٠ لذلك، قد يكون من الخطأ أن نعزو أي تمثيل لطوائف دينية معينة بمؤسسات السلطة إلى وجود ولاءات طائفية، أو أن نعلله على هذا الأساس، دون الأخذ في الاعتبار الخلفيات الإقليمية والعشائرية والاجتماعية الاقتصادية والسياسية التاريخية للاشخاص المعنيين٠ بالمثل، قد يكون من الخطأ أيضاً أن نعزو أساساً أي تمثيل لمجموعات إقليمية معينة بمؤسسات السلطة إلى وجود ولاءات إقليمية٠

ثورة تاريخية في النخبة السياسية السورية (1963)

لقد بات واضحاً أن عام 1963 كان بمثابة نقطة تحول بالغة الأهمية في تاريخ سوريا الحديث فيما يتعلق بتمثيل مجموعات طائفية وإقليمية واجتماعية اقتصادية وسياسية معينة٠

لقد أدى استيلاء البعثيين على السلطة في 8 مارس (آذار) 1963 إلى تغيير مفاجيء في العلاقة بين السنيين وغير السنيين، وأهل الريف والمدن، والطبقات الغنية والفقيرة، والمجموعات السياسية المحافظة والتقدمية٠ وتمثل هذا التغيير في البنية الجديدة للنخبة السياسية السورية٠

فمن 1942 وحتى 1963 شغل أبناء المدن السنيون (ومعظمهم دمشقيون، يليهم أهل مدينة حلب المنافسة) وأبناء الطبقة الغنية وأعضاء الأحزاب السياسية المحافظة أعلى وأقوى المناصب٠ أما أعضاء الأقليات الدينية (وخاصة الأقليات الإسلامية غير السنية) وأبناء المناطق الريفية فقد كان تمثيلهم ضئيلا جداً بالمؤسسات الهامة، كما عانوا من التفرقة السياسية والاجتماعية الاقتصادية بالمقارنة بفئات السكان الأخرى (انظر جدول 1 و 4)٠

وانقلبت العلاقة بين هذه المجموعات انقلاباً جذرياً بعد 8 مارس (آذار) 1963، كما يتضح في حقيقة أن أعضاء الطوائف الاسلامية غير السنية (وخاصة العلويون ثم الدروز ثم الاسماعيليون) وأبناء

المناطق الريفية الفقيرة (وخاصة من منطقة اللاذقية) تقدموا بشدة وأحرزوا تمثيلا فائقاً نسبياً بمؤسسات السلطة الهامة (انظر جدول 2 و 7)• علاوة على ذلك، أصبحت الحياة السياسية السورية بعد 1963 تحت سيطرة أشخاص من الطبقة البرجوازية الصغيرة ومن الأحزاب السياسية التقدمية•

ويعطينا سامي الجندي، وهو أحد الأعضاء المؤسسين لحزب البعث وأصبح وزيراً للاعلام في الوزارة التي تشكلت عقب انقلاب 8 مارس (آذار) 1963 مباشرة، وصفاً حياً للتغيير المفاجيء الذي شمل موظفي الوزارات:

بعد ثلاثة أيام من دخولي الوزارة جاء الرفاق يطالبون بعملية تنظيف واسعة ••• كان مقياس نجاح الوزير (تحدده) قوائم التسريحات، فالحزبيون وأقرباؤهم وبنو عشائرهم (جاءوا) يطالبون بحقوق النضال والقربى• وبدأت قوافل القرويين منذ ما ظهر الحزب على المسرح تترك القرى من السهول والجبال[248] إلى دمشق• وطغت القاف[249] المُقلقة في شوارعها ومقاهيها وغرف الانتظار في الوزارات، فكان التسريح لزاماً من أجل التعيين[250]•

ويمكن اعتبار ظهور الأقليات الدينية وأهل المناطق الريفية بعد 8 مارس (آذار) 1963 نوعاً من التحرر الوطني•

---

[248] أي جبال منطقتي اللاذقية والسويداء: جبال العلويين وجبل الدروز•

[249] إن القاف (ق) أحد حروف اللغة العربية التي تُنطق في بعض اللهجات السورية الخاصة بأهل الريف، وليس باللهجة السورية الخاصة بأهل المدن، حيث يشيع استخدام "الهمزة" عوضاً عن القاف• لذلك، يسهل التعرف على الأشخاص القادمين من تلك المناطق الريفية• قارن

Mark W. Cowell, A Reference Grammar of Syrian Arabic (Washington, DC, 1964), p. 4.

انظر أيضاً

Bernard Lewin, Notes on Cabali: The Arabic dialect spoken by the Alawis of "Jebel Ansariye" (Göteborg, 1969), p. 8,

الذي يذكر الآتي: "إن العلويين ينطقون بالقاف، أما أهل حماة فقد كانوا موضع سخرية من قِبلهم وذلك لإستخدامهم الهمزة _الضعيفة_ (بدلا من القاف القوية)•"

[250] سامي الجندي، البعث، ص 136– 137 • انظر أيضاً مطاع الصفدي، حزب البعث، ص 340، الذي يؤكد أن الإنتماء الطائفي كان أهم المقاييس للحصول على الترقيات والوظائف الهامة بالمؤسسات الحكومية تحت حكم البعث قي سوريا•

وأهم أسباب عدم الاستقرار السياسي السوري في القرن العشرين هو ما يسمى بالصراع "التقليدي" داخل النخبة، أي صراع على السلطة بين نخب اجتماعية اقتصادية تنتمي تقريباً لنفس الطبقات، وتحاول إسقاط منافسيها السياسيين، بغية تحقيق مصالحها الشخصية المحدودة. وقد كاد هذا الصراع على السلطة قبل 1963 أن يدور كلياً دون إشراك أهل الريف والطبقات الكادحة.

وبعد استيلاء البعث على السلطة في 1963، استمر هذا الصراع "التقليدي" بين النخب السياسية المتنافسة ذات الخلفيات الاجتماعية الاقتصادية المتقاربة، وكان الفارق الجوهري بينه وبين الفترة السابقة لعام 1963 هو الاختلاف الكبير بين الخلفيات الاجتماعية الاقتصادية والطائفية والاقليمية للنخب السياسية الجديدة وبين خلفيات السياسيين السابقين، إذ أصبحت السلطة السياسية أساساً في أيدي أفراد من أهل الريف ومن الطبقة البرجوازية الصغيرة ومن أبناء الأقليات الدينية[251].

وهذا قد فتح الطريق أمام تغييرات سياسية اجتماعية اقتصادية عنيفة أصبحت تولى اهتماماً رئيسياً لمصالح أهل الريف وأفراد الأقليات الدينية الذين عانوا من التفرقة فيما مضى.

الوزارات السورية والقيادات القطرية

تُظهر المقارنة بين الخلفيات الطائفية لأعضاء الوزارات السورية منذ 1942 حقيقة أنه في غضون الوحدة بين مصر وسوريا (1958 – 1961) لم يتقلد أي مسيحي منصباً بوزارات "الإقليم الشمالي" السوري، بينما كان تمثيل السنيين (94،7٪) أقوى مما كان عليه في الفترات التي سبقت وتلت الوحدة، كما أن النسبة المئوية للسوريين السنيين كانت أكبر في الحكومة المركزية للجمهورية العربية المتحدة[252]. ويمكن تعليل ذلك بالتثقيف السني القوى الذي برز خلال الوحدة بين مصر وسوريا، بسبب

---

[251] قارن

Macintyre, The Arab Ba'th Socialist Party, p. 254.

Van Dusen, 'Syria: Downfall of a Traditional Elite', p. 139

وصف النخبة السياسية الجديدة التي تقلدت زمام السلطة بعد 1963 بأنها في الصميم عبارة عن "سوريين من أدنى الخلفيات الاجتماعية السياسية توافرت لهم فرصة إتمام دراستهم الثانوية".

252

الوضع المسيطر للمصريين (ومعظمهم سنيون) ففي الفترة قبل وبعد قيام الجمهورية العربية المتحدة كان تمثيل المسيحيين (وخاصة الروم الأرثوذكس) على نحو وافٍ في الوزارات. وبينما عكست الوزارات السورية إلى حد ما خلفيات نخبة السلطة السورية، إلا أن القيادات القطرية لحزب البعث التي تركزت في أيديها السلطة السياسية بعد مارس (آذار) 1963 تعطى صورة أدق للتمثيل المتزايد للطبقات الفقيرة والمناطق الريفية ومنطقة اللاذقية والأقليات الدينية.

وقد وصل هذا التمثيل إلى ذروته في الوزارات والقيادات القطرية في الفترة بين فبراير (شباط) 1966 ونوفمبر (تشرين الثاني) 1970 . ففي الواقع، لم يكن بالقيادات القطرية في هذه الفترة أي تمثيل لسكان المدن الكبرى مثل دمشق وحلب. أما على المستوى الإقليمي، فكان معظم أعضاء القيادات القطرية ينتمون إلى ريف اللاذقية (29،7٪) والمحافظة الجنوبية حوران (20،3٪) ودير الزور (الجزيرة) (15،6٪) بالشمال الشرقي. ولم يكن الأمر من قبيل المصادفة: فاللواء العلوي صلاح جديد الذي كان حينئذ في أوج سلطته كان مديناً بتألقه داخل تنظيم حزب البعث السوري في المقام الأول لدعم الجماعة الحزبية من المناطق المذكورة آنفاً[253]. وقد اظهر العلويون أقوى تمثيل بين الأقليات الدينية بنسبة 23،4٪.

وفى الفترة بعد نوفمبر (تشرين الثاني) 1970 ازدادت نسبة السنيين وأهل المدن مرة أخرى بالوزارات السورية والقيادات القطرية، وذلك على حساب أهل الريف وأعضاء الأقليات الدينية.

كما ازداد بشكل ملحوظ عدد الدمشقيين بين الأعضاء المدنيين السنيين بالقيادات القطرية ليصل إلى متوسط 25٪ في الفترة ما بين 1970–1980، رغم أن حزب البعث كان يفتقر دائماً لأتباع من أبناء العاصمة السورية. ويمكن تفسير ذلك بأن الرئيس العلوي الفريق حافظ الاسد قد تعاون في هذه الفترة مع بعض كبار الضباط البعثيين الدمشقيين وحاول أكثر من البعثيين السابقين الذين كانوا في السلطة أن

Macintyre, The Arab Ba'th Socialist Party, p. 234, Table 25: 'Representation of Religious Communities in the Government of the United Arab Republic, 1958–1961'.

[253] إن صلاح جديد كما ورد آنفاً كان مُدعماً بقوة من قِبل العديد من "القطريين" الذين تمتعوا بتمثيل قوى في مناطق اللاذقية وحوران ودير الزور. (انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب)

يستميل سكان المدن إلى جانبه· بالإضافة إلى ذلك، اتبع الاسد سياسة اقتصادية وطنية أكثر تحرراً تجاه جزء من البرجوازية السورية· ففي "عهد صلاح جديد" (1966–1970) تم إتباع أسلوب صارم تجاه البرجوازية السورية ومن تبقى من كبار ملاك الأراضي، الأمر الذي تلاشى إلى حد ما بعد 1970 ·

العسكريون في القيادات القطرية السورية

وتقدم دراسة الخلفيات الاقليمية والطائفية لأعضاء القيادات القطرية السورية العسكريين بعد 8 مارس (آذار) 1963 دليلا أقوى على التمثيل المتزايد لأهل الريف والأقليات الدينية عن كلٍ من الوزارات والقيادات القطرية السورية بأكملها في تلك الفترة·

ولقد شكل الضباط من منطقة اللاذقية أعلى نسبة تمثيل بين الأعضاء العسكريين وصلت إلى 49٪، كما وصلت هذه النسبة ذروتها 63،2٪ في "عهد صلاح جديد" (1966 – 1970)· وبالنظر إلى الأقليات الدينية، فإن تمثيل الضباط العلويين في الفترة بعد 8 مارس (آذار) 1963 بالقيادات القطرية السورية كان على أشده، حيث وصل في المتوسط إلى 37،7٪، يليه الدروز (9،4٪) ثم الاسماعيليون (9،4٪) (انظر جدول 6 و 7)·

ولقد تم تمثيل الضباط السنيين بنسبة 43،4٪، إلا أن ذلك، كما رأينا، لا يوضح مدى سلطتهم الحقيقية داخل القوات المسلحة· علاوة على ذلك، فإن معظم الضباط الذين نحن بصددهم بعكس زملائهم المنتمين للاقليات المتماسكة كانوا ينتمون إلى مناطق مختلفة· هكذا، أصبح من المستحيل تدعيم أو تقوية الولاءات الطائفية عن طريق الروابط الإقليمية المشتركة· ونتيجة لذلك، لم يكن باستطاعة هؤلاء الضباط تشكيل كتلة قوة على أساس إقليمي كتلك التي كوَّنها الضباط من أبناء الأقليات المتماسكة·

وليس هناك وجود للضباط المسيحيين بين الأعضاء العسكريين للقيادات القطرية السورية، رغم أنهم شغلوا في بعض الأحيان مناصب رفيعة للغاية في القوات المسلحة السورية· فقد كانت أهميتهم تكمن أساساً في المجال العسكري التقني· أما في المجال السياسي، فقد استطاعوا أن يلعبوا أدواراً هامة على المستوى الفردي وليس على المستوى الجماعي أبداً، إذ انتمى الضباط المسيحيون حالهم حال السنيين إلى

مناطق مختلفة.

لقد قدمت الفصول السابقة وصفاً تفصيلياً لما انتهت إليه صراعات السلطة بين العسكريين البعثيين منذ 1963 من تصفية أبرز جماعات الضباط السنيين (1966)، والدروز (1966)، والحورانيين (1966–1968)، والاسماعيليين (1968–1969)، لينتهي الأمر بتفوق بعض جماعات الضباط العلويين. ويمكن تتبع هذه التصفيات من خلال بنية القيادات القطرية السورية.

وبعد 23 فبراير (شباط) 1966 تم إزاحة آخر ضابط سني من حلب (أي أمين الحافظ) وآخر الضباط الدروز (أي سليم حاطوم وحمد عُبيد). ولم يعد للضباط الحورانيين تمثيل بالقيادة القطرية منذ اكتوبر (تشرين الأول) 1968، أو للضباط الاسماعيليين منذ مارس (آذار) 1969 . كما لم يبق بعد هذا التاريخ ضباط غير العلويين والسنيين كأعضاء عسكريين، مع تمتع العلويين بالتفوق التام وتمثيلهم لكتل الجيش القوية، بينما لم يكن هذا هو الوضع بالنسبة للضباط السنيين، رغم تفوقهم العددي البسيط على الضباط العلويين بالقيادات القطرية. ويمكن تفسير انتخاب رفعت الاسد عضواً بالقيادة القطرية السورية في ابريل (نيسان) 1975 بأنه انعكاس لإعتماد الرئيس حافظ الاسد إلى حد كبير بعد 1970 على ضباط من عائلته الشخصية أو عشيرته أو أبناء المناطق المجاورة لقريته.

الفصل السابع

التحريض الطائفي والمواجهة

"لقد كان اللواء (العلوي) صلاح (جديد)، بعد أن متن قواعده في الجيش، أذكى من أن يطرح السلاح الطائفي٠ بل كان يستفيد من الطرح (السني) المعاكس، ليثبت أنه أصدق حزبية وقومية من الذين يطرحون هذا الشعار٠ ومع ذلك فلست ادري أيهما أكبر جريمة: الذي يصنع الطائفية أم الذي يكشفها؟!"

منيف الرزاز، التجربة المرة، ص 160 •

التحريض الطائفي: مذبحة حلب

اظهر الفصل الخامس أن سلسلة طويلة من الاغتيالات السياسية والهجمات على القادة السياسيين البعثيين بدأت في سوريا بعد تدخلها العسكري في لبنان عام 1976 • وقد كان معظم المغتالين من العلويين، ولم يكن واضحاً في البداية من هو وراء الاغتيالات، بيد أنه تبين بعد المصالحة السورية العراقية المؤقتة في اكتوبر (تشرين الأول) 1978 أن المسئولية تقع على مجموعات معارضة من المسلمين السنيين المتطرفين الذين امتعضوا ضمن أمور أخرى مما اعتبروه طابع النظام السوري العلوي الطائفي القمعي "المعادي للاسلام" و "الكافر"٠ وقد ادعت مجموعة تطلق على نفسها اسم "المجاهدين" وتتكون فيما يبدو من إخوان مسلمين وإن لم تكن مطابقة تماماً لتنظيم الاخوان المسلمين السوري مسئوليتها عن الاغتيالات٠ وقد افصحت هذه الجماعة عن نفسها وعن بواعثها في مقالة افتتاحية في نشرتها السرية "النذير" تحت عنوان "المجاهدون: من هم وماذا يريدون؟"٠

منذ ثلاث سنوات، وبتاريخ 8 شباط (فبراير) 1976 بالضبط[254]، انطلقت أول رصاصة في سبيل الله تفتح الباب للجهاد المنظم، الذي بدأ يؤتى ثماره الخيرة في الأيام الأخيرة، ولكن تلك الرصاصة الأولى كانت ثمرة معاناة مريرة طويلة من الظلم والارهاب. كانت سجون سوريا تعج بالمعتقلين المسلمين (السنيين) ... وكانت زبانية القمع والعسف تصول وتجول في الاحياء الشعبية والمدارس والجامعات، وكانت الحريات العامة والحقوق المدنية تداس بالاقدام ...

على ان المحنة تبلغ أشدها حين يكون الاضطهاد مركزاً على المسلمين (السنيين) وعلى الدين الاسلامي بالذات: من مساجد تهدم، وعلماء يعتقلون، ومناهج تربوية تعطل، ومدارس شرعية تغلق، ومن توجيه إعلامي وتعليمي إلحادي انحلالي يُنشر، ومن تسلط حزبي طائفي متزايد، ومن تحضير نفسي وعسكري لتهديم الجيش والقوات المسلحة وتسليم البلاد لليهود (أي، اسرائيل) لقمة سائغة، ومن إحلال للمليشيات الحزبية الطائفية (العلوية) محل القوات المسلحة النظامية، ومن نهب لثروات الأمة بالرُشى والابتزاز والتجارة المشبوهة والصفقات الريبة والإثراء غير المشروع لحفنة قليلة على حساب الأكثرية المسحوقة.

ان تاريخ سوريا الحديث لم يشهد استبداداً وفساداً فكرياً ولا إدارياً كالذي يشهده اليوم في ظل نظام حافظ أسد وعصابته المغامرة، لذلك كان لزاماً أن ينبعث من رقاد العدم الأموات، وان تنشط الهمم والنخوات، وان يعلو صوت: "الله أكبر؛ حي على الجهاد": "أُذِنَ للذين يُقاتلون بأنهم ظُلِموا وإن الله على نصرهم لَقدير." (سورة 22 : 39).

فالمجاهدون فتية آمنوا بالله رباً وبالاسلام ديناً وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولا، وبذلوا نفوسهم في سبيل الله رخيصة ليفتدوا دينهم وأمتهم مما هي فيه من ظلم وكفر وبغى وعدوان، وليعملوا على رفع كلمة "لا اله الا الله" وتحكيم الشريعة السمحاء رحمة بالناس أجمعين وبالشعب السوري بالذات؛ بعد أن جربوا مختلف السبل ولم يبق الا الجهاد[255].

---

[254] قارن الاهرام، 13 فبراير (شباط) 1976، حيث تم ذكر نبأ اغتيال الرائد محمد غُرة، مدير الأمن بحماة.

[255] النذير، العدد 2، 21 سبتمبر (أيلول) 1979، ص 1 . انظر أيضاً البعث، 28 يونيو (حزيران) 1979؛ وأيضاً

Eric Rouleau, 'Le Mécontentement Populaire Favorise le Renouveau de l'Islam Intégriste', Le Monde, 20 April 1979.

ولدراسة حول الجهاد انظر

Rudolph Peters, Islam and Colonialism. The Doctrine of Jihad in Modern History (The Hague, 1979).

ولم يترك المجاهدون مجالا للشك في رأيهم في العلويين في مقالات أخرى نشروها في النذير بصفتها "صوت الثورة الاسلامية"، فقد أشاروا إليهم بـــ "العدو النصيري (أي العلوي)" و "الكفرة النصيريين المارقين عن ملة الإسلام"، وأعلنوا "ان المجاهدين يخوضون أشرف المعارك ضد الإلحاد (العلوي) الحاكم في سوريا" ووصفوا صراعهم ضد النظام على أنه "بين الأغلبية المسلمة (السنية) المكبوتة والأقلية النصيرية الكافرة"[256]• وفى موقع آخر اتهم المجاهدون العلويين بأنهم "جعلوا من الإسلام عدوهم التقليدي"[257]•

ومن الواضح أن هدف المسلمين السنيين المتطرفين كان استقطاب عداءات المجتمع السوري حول المحور الطائفي، ولم يظهروا تمييزاً في اختيارهم للهدف: فيبدو أنه كان يكفى أن يكون الضحايا علويين، سواء كانوا بعثيين أم لا[258]•

ومن أسوأ الحوادث تلك التي وقعت في 16 يونيو (حزيران) 1979 في مدرسة المدفعية بحلب، عندما اغتيل ما لا يقل عن 32 طالباً عسكرياً وأُصيب 54، وقيل أن معظم الضحايا كانوا من العلويين[259]،

---

[256] النذير، العدد 1، 6 سبتمبر (أيلول) 1979، ص 3 •

[257] النذير، العدد 6، 8 نوفمبر (تشرين الثاني) 1979، ص 1 •

[258] David Hirst, 'Campaign of Terror is Leading to War', Guardian, 8 October 1979.

[259] David Hirst, 'Divisive Rulers Threaten to Send Syria along Road to Civil War', Guardian, 26 June 1979;
البعث، 24 يونيو (حزيران) 1979، 1 يوليو (تموز) 1979 • قارن النذير، العدد 10، 1 فبراير (شباط) 1980، ص 10 11، حيث زُعم أنه أثناء مذبحة حلب كان عدد السنيين من مدرسة المدفعية 60 فقط من بين 320 طالباً عسكرياً والبقية علويون• ورغم أن ارتفاع نسبة الطلبة العسكريين العلويين أمر لا يدعو للدهشة، إلا أنه غير محتمل ألا يكون هناك سوى سنيين وعلويين• وبينما أشارت النذير إلى "النسبة المرتفعة" للطلبة العسكريين السنيين بكليات القوات الجوية، إلا أنها علقت أيضاً على الإلتزام التام بإجراءات القبول بها• قارن حقائق عن الطائفة النصيرية في سوريا، ص 9؛ الإخوان المسلمون ••• يكشفون حقيقة الأوضاع في سوريا، ص 6 • وقد وقعت عدة اغتيالات أخرى، منها اغتيال زعيمين علويين بارزين بمدينة اللاذقية في أغسطس (آب) 1979، وهما الشيخ يوسف صارم ونادر حصري، مما أشعل فتيل التصادمات الطائفية

بيد أن وزير الاعلام السوري أحمد اسكندر أحمد نفى ذلك وأعلن ان من بين الضحايا مسيحيين ومسلمين سنيين[260]٠ وبالرغم من احتمال صحة أن القتلى والجرحى لم يكونوا جميعاً علويين، إلا أنه كان من الهام بمكان أن الرأي العام اعتقد أن الأمر هكذا٠ ولا شك أن هذا كان هدف القتلة، لأن مثل هذا الإعتقاد كان يشجع الاستقطاب الطائفي وبالتالي كان يزعزع النظام البعثي الذي يسيطر عليه العلويون[261]٠ وقد جاء في كلمات نائب أحد زعماء ما سمي بـــ "الإخوان المسلمين" في سوريا، والذي أُجبر بعد اعتقاله على "الإعتراف" في التلفزيون بدمشق: "كان لا بد لهذه الأعمال أن تؤدى لشق الجبهة الداخلية وزرع الطائفية، مثلما حدث في لبنان"[262]٠

ومن الجوانب المخيفة لمذبحة حلب الجماعية أنها اظهرت تغلغل السنيين النشيطين في الجيش، والذين بلغت كراهيتهم للسيطرة العلوية حد استعدادهم للقتل٠ ولم يهديء من روع النظام حقيقة أن الضابط (السني) الذي قاد مذبحة حلب كان نفسه عضواً في حزب البعث[263]٠

بين العلويين والسنيين، والتي قِيل أنه تم إخمادها بعنف من قِبل القوات المسلحة بقيادة رفعت الأسد٠ كما قِيل أن قوى الأمن المحلية التي كان يسيطر عليها العلويون قد تحيزت للطائفة العلوية، مما صعد البعد الطائفي للتصادمات٠ قارن نضال الشعب، ملحق للعدد 210، منتصف سبتمبر (أيلول) 1979 ٠

260

Financial Times, 28 June 1979.

261

Hirst, 'Divisive Rulers', 'Campaign of Terror' and 'Heads must Roll if Assad Cleanup Succeeds', Guardian, 26 June, 8 and 9 October 1979.

262 اذاعة دمشق، 7 سبتمبر (أيلول) 1979 ٠

263

Hirst, 'Divisive Rulers', Guardian, 26 June 1979;

النهار، 25 يونيو (حزيران) 1979؛

'Vague d'Agitation Confessionnelle en Syrie', Le Monde Diplomatique, October 1979;

الإخوان المسلمون ٠٠٠ يكشفون حقيقة الأوضاع في سوريا، ص 6؛ حقائق عن الطائفة النصيرية في سوريا، ص 9؛ حزب الاتحاد الاشتراكي العربي في سوريا، القطر السوري يمر بأزمة وطنية خطيرة (نشرة داخلية خاصة بالأعضاء فقط، دمشق، 1979)٠

وقد اتهم وزير الداخلية السوري في بيان رسمي صدر في 22 يونيو (حزيران) 1979 الإخوان المسلمين بالتورط في الاغتيالات، كما أوحى بوجود علاقة مباشرة بين الإغتيالات والمعارضة الخارجية لرفض سوريا فكرة اتفاقية جزئية مع اسرائيل مماثلة لتلك التي أقبل عليها الرئيس المصري السادات مع هذه الدولة:

لقد تحرك هؤلاء بعد اتفاقية سيناء (المصرية الاسرائيلية الموقعة في سبتمبر (أيلول) 1975) مباشرة وتصاعدت أعمالهم الاجرامية بعد زيارة السادات للقدس (في نوفمبر (تشرين الثاني) 1977) ثم بعد توقيع اتفاقيات الذل والعار مع العدو الصهيوني. وبدأوا بمسلسل الاغتيالات في بعض المدن السورية وفى حلب وفى حماة وفى دمشق. وكان من ضحاياهم أبرياء يعملون في شتى الاعمال الوظيفية وفى مؤسسات الدولة المختلفة.

وكانت آخر جريمة لهم تلك التي حدثت في مدرسة المدفعية في حلب. لقد تمكنوا من شراء عنصر من عناصر القوات المسلحة هو النقيب إبراهيم يوسف من مواليد تادف احدى قرى محافظة حلب. واستخدموا وجوده في المدرسة ونفوذه في يوم كان فيه هو الضابط المناوب في المدرسة. واستطاع مساء يوم السبت الواقع في السادس عشر من هذا الشهر ان يدخل الى المدرسة عددا من المجرمين من جماعة الاخوان المسلمين ويدعو الطلاب الضباط الى اجتماع عاجل يعقد في الندوة وعندما هرعوا من مهاجعهم تنفيذا لامره واصبحوا في قاعة الندوة الطلابية امر اعوانه من المجرمين الذين ادخلهم من خارج المدرسة بفتح النار على الطلاب الشباب العزل في القاعة المغلقة وذلك بالرشاشات وبالقنابل اليدوية وسقط خلال دقائق معدودات اثنان وثلاثون شهيدا واربعة وخمسون جريحا.

هل يمكن ان نتصور ان هؤلاء الذين قتلوا فتيانا في ريعان الشباب يتدربون ليذهبوا بعد قليل الى خنادق القتال ويتصدوا للعدوان الاسرائيلي ويستشهدوا برصاص العدو دفاعا عن ارض وطننا الطاهرة وعن كرامة امتنا، هل يمكن ان نتصور ان هؤلاء المجرمين مواطنون في وطننا؟ هل يمكن ان نتصور ان هؤلاء يرتبطون بهذا الوطن بأضعف الروابط التي يمكن ان تربط اي انسان بوطنه؟ هل يمكن ان نتصور ان عملا كهذا العمل يمكن ان يكون الا خدمة لاسرائيل ولكل أعداء امتنا؟[264].

وفور وقوع مذبحة حلب انطلقت حملة بطول البلاد وعرضها لاستئصال تنظيم الاخوان المسلمين، بدأت باعدام 15 عضواً بالتنظيم كانوا بالسجون. وقد نص قرار محكمة أمن الدولة العليا في 27 يونيو

---

[264] اذاعة دمشق، 22 يونيو (حزيران) 1979؛ البعث، 24 يونيو (حزيران) 1979 .

(حزيران) 1979 على "ان الامبريالية والصهيونية حرضتا عملاءهما في بلادنا على ارتكاب اعمال اجرامية من قتلٍ وتدميرٍ وبذر بذور الفتنة بين أبناء شعبنا، كل ذلك تحت ستار الدين، وهو منهم براء"٠ كما اتهم القرار "السادات والصهيونية" بأنهما "اعتمدا على عصابة الاخوان المسلمين" من أجل "تحقيق هدف السادات في تسديد ضربة للوحدة الداخلية"[265]٠

الدعاية الاعلامية المضادة للطائفة العلوية

لم تكن الاتهامات السورية بأن الرئيس السادات قد قام بمحاولة تقويض الوحدة السورية الداخلية بدون أساس من الصحة، فمنذ الخلاف المصري السوري حول توقيع مصر للاتفاقية الثانية لفصل القوات في سيناء مع اسرائيل في سبتمبر (أيلول) 1975 قام الرئيس السادات مُدعماً بوسائل الإعلام المصرية – بتكريس قدر كبير من الانتباه والدعاية الاعلامية الى ان البعث السوري كان يقع تحت سيطرة العلويين[266]٠ وقد تفوقت مصر في ذلك على محطات الاذاعة الإقليمية الأخرى، والتي كانت وقتئذ أشد عداءً لسوريا: اذاعة اسرائيل وصوت لبنان غير الشرعي الذي كان يديره حزب الكتائب اللبنانية

---

[265] اذاعة دمشق، 27 يونيو (حزيران) 1979 • تجدر الملاحظة بأن الاخوان المسلمين في سوريا قد أدانوا بشدة تعاملات الرئيس السادات مع اسرائيل٠ (قارن

Johannes Reissner, 'Die Andere Ablehnungsfront: Stimmen Radikalislamischer Kreise zur Friedensinitiative Anwar as−Sadats', Orient, Vol. 21, No. 2, June 1979, pp. 19−41.)

اذاعة القاهرة، 10 يوليو (تموز) 1979، علقت على الحملة ضد الاخوان المسلمين في سوريا بالآتي: "لقد حاولت السلطات السورية إلقاء لوم المذبحة على الاخوان المسلمين لصرف الانظار عن الصراع الخفي بين العلويين والسنيين داخل الحزب السوري ٠٠٠ ان اعضاء تنظيم الاخوان المسلمين الذين أُعدموا مؤخراً كانوا معتقلين بالسجون السورية منذ 1977 ولم يكن لهم أية علاقة بحادثة مدرسة المدفعية"٠ لقد تم اتهام ثلاثة من المعدومين علناً بتنفيذ اغتيالات فيما مضى٠ من أجل دراسة عن الاخوان المسلمين في سوريا انظر

Johannes Reissner, Ideologie und Politik der Muslimbrüder Syriens. Von den Wahlen 1947 bis zum Verbot unter Adib ash−Shishakli 1952 (Freiburg, 1980).

[266] انظر الفصل الخامس٠ توقفت قليلا الهجمات الاعلامية بين مصر وسوريا عام 1976 عندما تحسنت العلاقات الثنائية مؤقتاً٠

المارونية[267].

وقد اشار الرئيس السادات في العديد من خطاباته الى النظام السوري بـــ "البعث العلوي"[268]. وتمادى في 1 مايو (ايار) 1979 الى أبعد حد في تهجمه على البعثيين العلويين الحاكمين في سوريا، مهاجماً بعنف الطائفة العلوية ككل، دون أي تمييز بين البعثيين وغير البعثيين:

كنت مستعداً أن أتحدث من أجل الجولان، ولكن لا ... سأترك هؤلاء العلويين القذرين يتحدثون من أجلها. ان هؤلاء الناس فقدوا كل معاني الحياة، ولكن، والله سأتركهم أمام شعبهم في سوريا ودعهم يحلونها. سنرى ماذا سيحققون. كان بمقدوري ارجاع الجولان لهم ولكنني لست مسئولا عنها ما دام العلويون في السلطة ... كلنا نعلم من هم العلويون في نظر الشعب السوري، سيتعامل معهم الشعب السوري، وبعد ذلك ستكون الأشياء مختلفة. ان موقف سوريا لا يصلح أن نقول سوريا لأن الشعب السوري لا قوة له في هذا ان موقف العلويين معروف ... لقد قال لي (الملك) فيصل (ملك المملكة العربية السعودية) إن حافظ الاسد علوي وبعثي وأحدهما ألعن من الآخر ... كما قال لي فيصل كيف تضع يدك في يد البعثيين السوريين؟ الاسد علوي وبعثي وأحدهما ألعن من الآخر[269].

الى جانب الطائفية التي مارسها أعضاء النظام البعثى، قد تكون كل هذه الدعاية الاعلامية قد ساعدت في التحريض على المزيد من القلاقل الطائفية والتوترات وإثارة التصادمات الطائفية. لقد كان لاذاعة القاهرة قاعدة عريضة من المستمعين في العالم العربي، ولو من باب الاهتمام بأخبار التعاملات بين مصر واسرائيل. وقد علقت صحيفة الأخبار القاهرية على مذبحة حلب في مقالة افتتاحية بعنوان "بحر الدم الذي تعيشه سوريا" تعليقاً ينسجم مع الدعاية الاعلامية المصرية التي تصف حزب البعث الحاكم بالطائفية العلوية:

---

[267] لم يستغل البعثيون العراقيون في حملاتهم الاعلامية ضد النظام السوري المسألة الطائفية ولم يذهبوا أبعد من التركيز على الروابط العائلية بين بعض قادة النظام قارن الفصل الخامس .

[268] انظر على سبيل المثال مجلة اكتوبر، 26 مارس (آذار) 1978؛ الاهرام، 6 ابريل (نيسان) 1979، 15 مايو (ايار) 1979، 6 يونيو (حزيران) 1979 .

[269] اذاعة القاهرة، 1 مايو (ايار) 1979 .

إذا جاءت أخبار هذه المذبحة مفاجئة للبعض وأثارت الخوف والذعر، فإنها لم تكن مفاجئة لأولئك الملمين بحقائق الوضع في سوريا وبالأعمال الوحشية التي يرتكبها الحكم البعثى العلوي ضد الشعب السوري. لقد كانت هذه المذبحة حلقة في سلسلة طويلة من الجرائم والاغتيالات وأعمال القمع والإكراه التي يلجأ إليها حزب البعث العلوي لإذلال الشعب السوري وحماية نظامه، ولم يكن هناك بد من أن يثور الشعب السوري ضد مثل هذا الإذلال دفاعاً عن النفس.

وقد قال وزير الداخلية البعثى في بيانه الذي أصدره للدفاع عن نفسه ان المذبحة كانت آخر الجرائم فيما أسماه مسلسل التآمر على سوريا، الذي يُحاك بأكمله خارج البلاد. ومن الطبيعي أن يختلق وزير بعثي مثل هذه الإدعاءات.

لكن الحقيقة، حقيقة المأساة التي يعيشها الشعب السوري، والأحوال والظروف المحيطة بمذابح حلب معروفة لكل الشعب الآن. لقد كان معظم ضحايا المجزرة والبالغ عددهم أكثر من 50 قتيلا وعشرات الجرحى من العلويين، أي من نفس الفئة التي ينتمي إليها حزب البعث، وحزب البعث يمثل فقط أقلية صغيرة لا تزيد على 11٪ من الشعب.

ووفقاً لوكالات الأنباء، فقد كان الانتقام من العلويين هو الدافع وراء المذبحة، حيث تعمَّد مرتكبوها استهداف تجمع ضخم للعناصر العلوية في الجيش. وقد وقعت المذبحة منذ عشرة أيام لكنها أُبقيت سراً ليتمكن حماة النظام العلوي من الاستمرار في تقتيل أهوج لغير العلويين أو السنيين، وذكرت وكالات الأنباء ان معظم الذين قُتلوا مؤخراً كانوا من السنيين وأن القتل الانتقامي لمذبحة العلويين في حلب مستمر، ونتيجة لذلك، فإن سوريا مهددة بأن تصبح ضحية للصراع الطائفي ولحرب أهلية داخلية مشابهة للحرب الاهلية اللبنانية[270].

وفى محاولة لمجابهة الحملة الاعلامية الطائفية والقلاقل التي أحاطت مذبحة حلب، ولتوسيع التأييد لحملة النظام البعثى ضد الاخوان المسلمين، علق الرئيس حافظ أسد في 30 يونيو (حزيران) 1979 للمرة الأولى بشكل علني على حادث حلب وأسهب في موقف حزب البعث من الدين والسياسة:

ان العروبة تربط بين جميع ابناء هذا البلد، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتز بالعروبة كما يعتز بالاسلام، والوطن يفقد معناه كوطن اذا لم يعش فيه المواطنون متساوين، وهذه المساواة من صميم الاسلام، ونحن نقود البلد باسم حزب البعث العربي الاشتراكي، وانا اقود بصفتي أمينا عاما للحزب ورئيسا للجمهورية، وليس باسم دين او طائفة، مع أن الاسلام هو دين الاكثرية، وشعارات الوحدة والحرية والاشتراكية يؤمن بها البعثى كما يؤمن بها كل

---

[270] الأخبار، 24 يونيو (حزيران) 1979.

من يؤمن بوطنه ... ان الذين يأخذون من الدين الصور والمظاهر، ويبتعدون عن جوهره ويجمدون عند هذا الحد، إنما يجعلون من الدين معيقا للتقدم وقد أكدنا منذ بدء الحركة التصحيحية (في نوفمبر (تشرين الثاني) 1970) أن الدين محبة وعمل وانجاز، وأن الاساس هو أن تكون هناك قيم واخلاق، وقد عملنا كل ما من شأنه أن يعز الدين ويرسخ قيمه في النفوس وأكدنا أن الاسلام دين حياة وتقدم. ولكننا الآن بصدد مؤامرة على بلدنا وبصدد عمل اجرامي لم يرتكبه شخص حقود فنقول انها نزوة فردية ونضرب صفحا عنه، وانما ارتكبه تنظيم سياسي اسمه جماعة الاخوان المسلمين، وله سياسة مقررة هي سياسة القتل، وهو يقف هذا حتى ولو كنا ملائكة بل انه يعتبر ثلث الناس غير مسلمين (أي العلويين والدروز والاسماعيليين والمسيحيين)، أي أنهم يريدون احتكار الاسلام لانفسهم مع انه ليس من حق اي حزب ان يحتكر الاسلام او اي دين من الاديان ...

ان هؤلاء استغلوا جو الحرية لإغواء بعض الناشئة وليدفعوهم الى درب الجريمة وليجعلوا منهم أعداء للاسلام، ولا يمكن التساهل مع هذه الجماعة التي ارتكبت أعمال القتل وارتكبت مجزرة من أبشع ما عرف تاريخ العرب والاسلام، ولا يمكن التساهل مع من يفعلون ذلك باسم الاسلام ...

فلا الاغتيالات يمكن أن تقلب النظام، ولا يمكن أن نسمح بأي عمل طائفي، ولكنهم اتخذوا قرارهم في عام 1975 عندما اتضح الخط الفاصل بيننا وبين نظام السادات، فكان قرارهم تطبيقا لاستراتيجية هدفها اثارة الاقتتال الطائفي كما ذكروا في افاداتهم ... والذين يثيرون الطائفية لا بد من معاقبتهم وتصفية منظمتهم في سوريا، لانهم ضد حركة التقدم وضد حركة التاريخ، ولا بد أن يوضع حد نهائي لأعمالهم.

ثم انهى الرئيس الاسد كلمته بحث الشعب على هجر كل تغريض طائفي:

ان الاسلام والمسلمين شيء وهذه الجماعة شيء آخر. ان حزب البعث العربي الاشتراكي حزب قومي اشتراكي لا يفرق بين دين وآخر، واني كمسلم مؤمن اشجع على الايمان واشجع على مكافحة التزمت والتعصب، فهما يتناقضان مع حقيقة الدين، وانا اعتقد أن المسلم الحقيقي هو أخو المسلم والمسيحي، وأن المسيحي الحقيقي هو أخو المسيحي والمسلم، وهذا مصدر قوة لنا اذا فهمنا الدين، ولو لم تكن سوريا دائماً فوق الطائفية لما كانت سوريا موجودة الآن[271].

وبشكل عام، بدت الحملات الاعلامية للنظام التي تلت ذلك وحملة النظام لاستئصال الاخوان المسلمين فظة وحادة للغاية، حتى أنها أثارت عداوة الشق الاعظم من الشعب المخلص بدلا من أن تثير تعاطفهم. فعلى سبيل المثال، أدى وصف الرئيس الاسد للاخوان المسلمين بأنهم "خونة ومرتدين وهراطقة" على ما يبدو

[271] اذاعة دمشق، 3 يونيو (حزيران) 1979؛ البعث، 1 يوليو (تموز) 1979 .

إلى تأثير معاكس، حرض بشكل خاص معظم السنيين المسلمين من الشعب على الابتعاد عنه. إن عباراته "اللهم العنهم واسلامهم. لن يضمنا اسلام واحد معهم. انهم قتلة الاسلام والمسلمين. انهم خوان الاسلام والمسلمين"[272]. وكان ينطبق هذا أيضاً على أقوال أخيه رفعت وبعض القادة البعثيين الآخرين الذين تلاعبوا بالألفاظ وأطلقوا في خطاباتهم العامة على الإخوان المسلمين لقب "خوّان المسلمين"[273].

وقد ادعى الإخوان المسلمون – ولديهم ما يبرر ذلك – ان حملة النظام الاعلامية ضدهم قد ساعدت على تقوية مركزهم: "ان قرار النظام باتهام الإخوان المسلمين (بالاغتيالات) واسلوبه الشائن في اتهامهم، بالإضافة الى دعايته الساذجة ضدهم، لا تعنى إلا ترشيحهم لقيادة الشعب السوري لإنقاذه من محنته الكبرى"[274].

لقد حدث بعد ذلك في اوائل 1980 اضطرابات مدنية دامية بطول البلاد وعرضها، و يبدو أنها تمت بتحريض من المتطرفين السنيين، وقد لاقت التأييد لعدة أسباب من قِبل عدد كبير من الشعب المحافظ المتدين. وقد سارع قادة النظام عندئذ الى القول بأنهم يعتبرون فئة محدودة من جماعة الإخوان المسلمين هي المسئولة عن الاغتيالات واثارة القلاقل، حيث صرح الرئيس الاسد في 23 مارس (آذار) 1980 بالآتي:

اريد ان اوضح امرا يتعلق بحزب الاخوان المسلمين في سوريا. الاخوان المسلمون في سوريا ليسوا جميعا مع القتلة. بل كثير منهم، القسم الاكبر منهم ضد القتلة ويدين القتل، وهذا القسم يرى انه يجب ان يعمل من أجل الدين

---

[272] خطاب الرئيس الاسد في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر القطري السوري السابع لحزب البعث بدمشق، اذاعة دمشق، 22 ديسمبر (كانون الأول) 1979 . قارن النذير، العدد 11، 21 فبراير (شباط) 1980 . للاطلاع على تعليق المجاهدين على خطاب الاسد في 22 ديسمبر (كانون الأول) 1979 انظر النذير، العدد 9، ص 26–27، فقد علقوا على وصف الاسد للإخوان المسلمين بأنهم "هراطقة" بالآتي: "ان كلمة "هراطقة" عادة لا يستعملها المسلمون إلا في وصف النصيريين وأمثالهم من الزنادقة".

[273] البعث، 29 اكتوبر (تشرين الأول) 1979 .

[274] الإخوان المسلمون ... يكشفون حقيقة الأوضاع في سوريا، ص 6 . قارن صلاح الدين البيطار، "سؤال الساعة: ما هو البديل؟"، الإحياء العربي، العدد 16، 19 مايو (ايار) 1980 .

ورفع شأن الدين لا من اجل اي هدف آخر. هؤلاء ايها الشباب، لا خلاف لنا معهم اطلاقا، بل نحن نشجعهم، نحن نشجع كل امرىء يعمل من أجل الدين ومن أجل تعزيز القيم الدينية. ولهؤلاء الحق، بل وعليهم واجب، ان يقترحوا علينا وان يطالبونا بكل ما من شأنه خدمة الدين ورفع شأن الدين. ونحن لن نقصر، بل لن نسمح لاحد بأن يسبقنا في هذا المجال. ونحن نشجع من يعمل من أجل الدين، ونحارب من يستغل الدين لأهداف غير دينية ونحارب الرجعيين الذين يحاولون ان يستغلوا المتدينين في بلادنا لمصالحهم وأغراضهم السياسية القذرة[275].

وفى ابتعاد واضح عن العلمانية التي درج عليها البعث، والتي تفصل بين الدين والسياسة فصلا تاماً، استهل الرئيس الاسد في هذه الفترة بعض خطاباته بعبارات دينية مثل "الله أكبر"، بل واستشهد بآيات من القرآن ليؤكد بعض حججه[276]. وفى بعض المناسبات اعتبر الرئيس انه من الضروري التصريح علناً بأنه مسلم، وذلك على ما يبدو لأن معظم السكان السنيين كانوا يعتقدون ان العلويين ليسوا مسلمين، ولهذا السبب وحده كان لديهم شك كبير في شرعية حكم الاسد[277].

وقد يكون حقاً أن الرئيس الاسد وأبرز رفاقه العلويين البعثيين قد اعتبروا انفسهم فوق الطائفية من حيث المبدأ. وحتى لو افترضنا نظرياً ان القادة البعثيين ذوى الأصل العلوي لم يكن لديهم ميول طائفية ولم يتحيزوا عمداً أثناء الصراع على السلطة على أسس عشائرية أو اقليمية، مثلما حدث في المراحل الأولى من ثورة 8 مارس (آذار) 1963، فما كان لهذا كله أن يمنع مرؤوسيهم ومؤيديهم وعملائهم العلويين من التمسك بالدوافع الطائفية في تأييدهم لقادتهم. فهؤلاء كانوا سينظرون الى قادتهم ليس كرؤساء بطون أو افخاذ من نفس العشيرة أو المنطقة فحسب، بل أيضاً ولا سيما أثناء الأزمات التي لعبت فيها التوترات الطائفية دوراً هاماً كرفاق علويين يقودون هذا الشِق من الطائفة العلوية الذي ينتمون اليه ويمثلونه ويحمون المصالح العلوية اذا لزم الأمر.

---

[275] اذاعة دمشق، 23 مارس (آذار) 1980 . قارن المقابلة مع الرئيس الاسد في الرأي العام الكويتية والتي أذاعتها اذاعة دمشق، 9 مارس (آذار) 1980 .

[276] اذاعة دمشق، 17و 23 و 29 مارس (آذار) 1980؛البعث، 18 مارس (آذار)1980 .

[277] خطاب الرئيس الاسد، اذاعة دمشق، 8 مارس (آذار) 1980 . قارن النذير، العدد 2، 21 سبتمبر (أيلول) 1979، ص 23−25؛ العدد 3، 7 اكتوبر (تشرين الأول) 1979، ص 3؛

R. Stephen Humphreys, 'Islam and Political Values in Saudi Arabia, Egypt and Syria', The Middle East Journal, Vol. 33, No. 1, Winter 1979, pp. 15−18; Michael C. Hudson, Arab Politics. The Search for Legitimacy (New Haven and London, 1977), pp. 251−67, 395, 397.

علاوة على ذلك، يبدو أن العديد من العلويين الذين لم يكن لديهم دوافع ايديولوجية قد "اتخذوا البعثية أداة للتسلط"[278]، ليستفيدوا من النظام الذي يمثله عدد كبير جداً من أبناء طائفتهم وعشيرتهم وأقاربهم، وإن كان في كثير من الأحيان لأسباب مختلفة تماماً٠

تهديدات الحرب الأهلية الطائفية

رغم عدم صحة القول بان "الطائفة العلوية" كانت تحكم سوريا أثناء تلك الفترة (أو أي فترة سابقة)، ولم يمنع الكثير من غير العلويين (وحتى بعض العلويين) من وصف النظام بمثل هذه العبارات[279]٠ وهذا هو بالضبط ما حاول أن يشجعه المتطرفون السنيون المعارضون للنظام البعثى السوري، والذين كانوا وراء اغتيال العلويين٠ فقد حاولوا بالتحريض المتعمد للاستقطاب الطائفي أن يصوروا النظام على أنه طائفي بحت، وذلك لكسب تأييد واسع من الأغلبية غير العلوية من المواطنين ضد النظام البعثى الذي يسيطر عليه العلويون٠ وهكذا، حاولوا فرض مواجهة طائفية مباشرة بين الأقلية

278

Hirst, 'Campaign of Terror', Guardian, 8 October 1979.

279 قارن نشرة داخلية أصدرتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري (أي، جماعة رياض الترك المعارضة للنظام) في أوائل يونيو (حزيران) 1979، والتي أعطت التحليل التالي للوضع: "لأننا وطنيون، فإننا نتألم لأن رايات الطائفية ترتفع في بلادنا، وهو ما فشلت (حتى) فرنسا في تحقيقه ٠٠٠ ويبدو أن أساليب النظام الطائفية تشكل أعظم خطر على البلاد، ولكننا عند معالجتها يجب أن نفرق بينها وبين وضع الطائفة العلوية، لأن تلك الطائفة لا تحكم البلاد،

مثلها مثل الطائفة السنية التي لم تحكم البلاد في الماضي٠ إن من يحكم البلاد هم طبقات ومجموعات إجتماعية وأسر٠ أما الطوائف الدينية فهي تضم الفقراء والعمال وغيرهم من الشرفاء، وهم يشكلون الأغلبية، كما تضم الأغنياء وأولئك الذين يستغلون مناصبهم في النظام أو مواقعهم في مجال الانتاج، وهم يشكلون الأقلية٠ إن الأغنياء والمنتفعين من النظام في بلادنا، رغم اختلافاتهم، إلا أن هناك مصلحة مشتركة بينهم٠ وهكذا، يجب على الفقراء والعمال والمكبوتين أن يتحدوا من أجل مصالحهم، بغض النظر عن طوائفهم الدينية٠ إن أساليب النظام (الطائفية) عمداً أو بغير عمد قد أدت بشكل عام إلى إضرام روح الطائفية والتوتر الطائفي٠ فإذا لم تُتخذ التدابير لمنع هذا الخطر، قد يؤدى ذلك إلى المواجهة بين طائفة دينية وأخرى ٠٠٠"٠

العلوية والأغلبية السنية، معتبرين أنه باستطاعتهم أن ينالوا تأييدهم على أساس تفوقهم العددي. بيد أننا إذا أخذنا في الإعتبار أن عدد العلويين السوريين كان يقارب المليون وأن العديد منهم كانوا يحتلون مراكز سلطة حساسة بالجيش والشرطة وقوى الأمن، فمن المتوقع أن تكون مثل هذه المواجهة الطائفية دموية وعنيفة للغاية وغير مضمونة النتائج. ولا شك أن الكثير من العلويين بمن فيهم العديد ممن عارضوا النظام منذ البداية كانوا سيشعرون بالتهديد من قِبل الأغلبية السنية وبالتالي وبغض النظر عن صدق هذا الشعور أو عدم صدقه كانوا سيشعرون بضرورة التماسك معاً من أجل الحفاظ على كيانهم، خوفاً من التفرقة السياسية والاجتماعية الاقتصادية على أسس طائفية، مثلما كان الوضع قبل التحرر الوطني السريع للعلويين والأقليات الأخرى الذي أعقب الاستيلاء البعثى على السلطة في 1963 .

وبالرغم من هذه الاحتمالات الخطيرة والدموية، إلا أن المتطرفين السنيين بدوا على استعداد لدفع البلاد إلى حرب أهلية على الطريقة اللبنانية، إذا ما بدت هذه الوسيلة هي الوحيدة لإسقاط نظام الاسد. وبهذا المعنى في نفوسهم كانت استراتيجيتهم المُعلنة في أوائل 1980 هي تصعيد أعمال العنف ضد النظام في محاولة لإجبار قادة النظام على توريط الجيش النظامي في قتال ضد الشعب، بحجة أن الجيش "معظمه من السنيين، وبالتالي يمكن إضعاف ولاءه للنظام إذا ما تعرض للقدر الكافي من الضغوط"[280].

ولكن ضباط وجنود وحدات الجيش الأكثر حساسية واستراتيجية كانوا من العلويين، وقد فضل النظام بكل واقعية أن لا يعهد لغير هذه الوحدات بمهمة معالجة الاضطرابات الشعبية.

إن نجاح المخططات لإنهاء السيطرة العلوية بات بعيد المنال، طالما لم يتمكن المتطرفون السنيون وحلفاؤهم المؤقتون من السنيين الأقل تطرفاً وغير العلويين من السيطرة على كميات كبيرة من الأسلحة وعلى وحدات الجيش ذات الأهمية الاستراتيجية. وفى ظل هذه الظروف، وخلافاً لما قد يُستنتج من الدعاية الطائفية، فإن المعارضة الأكثر خطراً على نظام حافظ الاسد جاءت في المقام الأول من الضباط العلويين الذين كانوا جزءاً من الحلقة الداخلية للنظام البعثى، ثم جاءت في المقام الثاني من مصادر أخرى. ويبدو أن العلويين "المطلعين على خبايا النظام، هم وحدهم الذين كانوا قادرين على التحكم في

280

The Economist, 22 March 1980.

قارن النذير، العدد 4، 22 اكتوبر (تشرين الأول) 1979، ص 3 .

موارد التنظيم ومصادر المعلومات من أجل القيام بانقلاب حاسم"[281]، سواء بمساعدة ضباط من طوائف أخرى أو بدون مساعدتهم٠

ومن سخرية الأقدار ان الجماعات التي سيطر عليها العلويون داخل الجيش وداخل حزب البعث كانت مدينة جزئياً بمراكزها القوية لحملات التصفية داخل الجيش ضد الجماعات البعثية التي كانت تُجرى على أسس طائفية و/أو اقليمية، وأيضاً لمجموعات المعارضة الأخرى، كالمتطرفين السنيين الذين استفزهم تمثيل العلويين القوى غير المتوازن داخل مؤسسات السلطة والذين أدت معارضتهم إلى تقوية الاتجاه الذي عارضوه[282]٠

وبعد مذبحة حلب تخوف العديد من الناس من أن تكون الحرب الأهلية الطائفية وشيكة، إذا لم تحدث اصلاحات جذرية للقضاء على السمة الطائفية والاستبدادية للنظام٠ وبأخذ هذا في الإعتبار فقد صدرت عدة بيانات عن مجموعات سياسية يسارية مختلفة معارضة للنظام٠ فعلى سبيل المثال، أصدرت جماعة الدكتور جمال الاتاسي لحزب الاتحاد الاشتراكي العربي في سوريا النشرة الداخلية التالية:

ان هذه أزمة تمزق وطني وانقسام، يتهدد باضرام نار الصراع الطائفي والحرب الأهلية ٠٠٠ هذا المسلسل الرهيب والذي ما زال يمتد ويتسع، لا يقدم مشاهد من الصراع بين جماعات ارهابية يحركها التعصب وبين سلطة استبدادية تشد اليها عصبية معينة (أي، علوية) وتغذى بالمقابل التعصب (فحسب)، بل هي التعبير الصارخ عن أزمة وطنية فعلية تتهدد الوجود الوطني لهذا القطر وتدفع على طريق الصدام الطائفي الدموي، أي، على طريق قبرصة أو لبننة سوريا، أي، على طريق الانقسام الوطني الذي ساق اليه الصراع الطائفي في لبنان،

281

Hirst, 'Divisive Rulers', Guardian, 26 June 1979.

قارن

Paul Maler, 'La Société Syrienne contre son ètat', Le Monde Diplomatique, April 1980,

الذي يذكر انه طبقاً لما قاله عضوان باللجنة المركزية بحزب البعث في سوريا في مقابلة معهما، "إن الحملات الاثنتى عشر القمعية التي واجهتها الحركة (حركة 23 فبراير (شباط) 1966، أي، البعثيون المؤيدون للواء العلوي السجين صلاح جديد) منذ 1970 هي أعظم برهان على أنهم يشكلون أكبر خطر على النظام"٠ وكما فسرنا بعاليه فإن سلطة صلاح جديد فيما مضى كانت ترتكز أساساً على ضباط بعثيين من الطائفة العلوية٠

282 قارن منيف الرزاز، التجربة المرة (بيروت، 1967)، ص 160، المذكورة في مستهل هذا الفصل٠

وتحقيق حلم الاستعمار الصهيوني في تفجر المشرق العربي بصراعاته الداخلية بدءاً من لبنان مروراً بسوريا وانتهاءً بالعراق.

ولكن وأيا ما ذهبت التعليلات والدعايات الرسمية في الانقاص من خطورة هذه الظواهر، أو في الاكتفاء بربطها بعوامل خارجية وقوى معادية وتآمرية، من امبريالية وصهيونية ورجعية وساداتية وشمعونية وحدادية، فان هذا لا يغطى على الدور الذي لعبه نظام الحكم القائم من حيث نهجه وتكوينه في اذكاء هذه الظواهر كرد فعل وفى تغذية هذه الانقسامات، وهو يحمل المسؤولية الكاملة عما آلت اليه الأوضاع، بل وعن الانقسام الوطني وعن هذه الظواهر الارهابية بالذات.

واستمرت النشرة الحزبية في تحذير معارضي النظام الذي يسيطر عليه العلويون من أن يلوموا الطائفة العلوية ككل على الوضع القائم، لأنهم بهذا يساعدون على تقوية موقف المعارضة السنية المحافظة والمتطرفة، كما يشجعون على الصراع الطائفي:

اننا نربأ بأنفسنا وبكل وطني، أن نسمى هذا النظام (مع كل ما أقامه في تركيبه وتكوينه من تفرقة وتمييز فج) بنظام طائفة بحد ذاتها (أي، العلويين)، وأن "نجيِّر" مسئولية سياسات الفئة الحاكمة واجراءاتها لحساب تلك الطائفة (العلوية)، ولو أن تلك الفئة المسيطرة تحاول استغلال الطائفة وشدها بالعصبية والتعصب اليها أو بالخوف والتخويف من عصبية الآخرين (أي، غير العلويين) وردود فعلهم تجاهها، ليقدم نفسه اليها وكأنه حاميها، وكأنه مصدر منافعها ومصالحها، عن طريق مكاسب وامتيازات يقدمها لهذا الفرد منها أو ذاك ولتلك الأسرة (العلوية) أو غيرها، وليعبيء بعد ذلك العديد من أفرادها في أجهزة سلطته وقواها القمعية والمخابراتية. ولكن الطائفة (العلوية) تبقى في غالبيتها وبكل ما فيها من فلاحين وعمال ومعلمين وفئات اجتماعية مختلفة، مسحوقة مثل غيرها وأكثر، باستبداد النظام واضطهاده واستغلاله، وهى في تطلعها الوطني والقومي، تنشد الاندماج الوطني لا التمايز والانقسام ومصالحها العامة ترتبط ارتباطا جذريا بالمصلحة العامة لجميع الوطنيين ولجماهير امتنا كلها[283].

---

[283] حزب الاتحاد الاشتراكي العربي في سوريا، القطر السوري يمر بأزمة وطنية خطرة (نشرة داخلية خاصة بالأعضاء فقط، دمشق 1979). كلمة "حدادية" في هذا الاقتباس تشير الى حركة الرائد اللبناني سعد حداد الذي أعلن في 1979، وتحت ظل الحماية الاسرائيلية، عن "جمهورية لبنان الحرة" في منطقة بجنوب لبنان محاذية لاسرائيل. وكان حداد قد هرب من الجيش اللبناني أثناء الحرب الأهلية في لبنان وتولى تطبيق القانون في هذه المناطق بجنوب لبنان بوضعها تحت سيطرته. قارن

Nikolaos van Dam, 'Israel and Arab National Integration: Pluralism versus Arabism', Asian Affairs, Vol. 10 (Old Series Vol. 66), Part 2, June 1979, pp. 144–50.

لذلك، وعلى الرغم من أن "الطائفة العلوية" لم تكن هي التي تحكم سوريا، إلا أنه من الصواب أن نتحدث عن الحكم البعثي الذي يسيطر عليه العلويون٠ فعملياً، اقتصرت المشاركة الفعالة في هذا النظام على جزء محدود من الطائفة العلوية تربطه أواصر اقليمية وعشائرية٠ وقد استطاع العديد من العلويين الآخرين أن يستفيدوا من ذلك نتيجة لدرجات متفاوتة من المحسوبية الطائفية التي مارسها العلويون المنتمون للنظام الحاكم، معززين بذلك السمة الطائفية العلوية للنظام[284]٠

الطائفية والفساد وغياب الانضباط الحزبي

ان التمثيل العلوي القوى في مؤسسات السلطة السورية لا يمكن ان يكون في حد ذاته السبب في عدم الاستقرار الذي عاناه النظام السوري في النصف الثاني من السبعينات، فقد بدأت سيطرة البعثيين العلويين منذ استيلاء البعث على السلطة في 1963، ثم تعززت هذه السيطرة بعد نوفمبر (تشرين الثاني) 1970 عندما احتكرت جماعة الاسد السلطة، التي سيطر عليها العلويون، مماحقق في البداية فترة طويلة نسبياً من الاستقرار٠

لذلك، يجب ألا نحدد الأسباب الأكثر عمقاً لعدم الاستقرار الذي ألمّ بالنظام السوري في الخلفية الطائفية للنخبة الحاكمة فقط، وإنما في مزيج من عوامل مختلفة مثل الفساد والصعوبات الاقتصادية والأساليب القمعية وغير الديمقراطية وغياب الانضباط الحزبي والممارسات الطائفية التي طفت الى السطح، خاصة في الفترة التي تلت التدخل العسكري السوري في الحرب الاهلية اللبنانية[285]٠ ونتيجة

---

[284] يصل ديفيد هيرست الى حد التعبير بأن "البلاد لا يحكمها البعثيون بأي حال، بل العلويون ٠٠٠ فنظرياً يديرون البلاد من خلال الحزب، ولكن عملياً يديرونها من خلال تضامنهم السري داخل الحزب والمؤسسات الهامة الأخرى ٠٠٠ فخلف الواجهة نجد أن صلة القرابة بالرئيس العلوي الاسد هي أعظم الصفات لتقلد السلطة، وذلك عن طريق الأواصر العائلية أو الطائفية أو العشائرية"٠

(Guardian, 26 June 1979)

[285] قارن البيان الصحفي لحمود الشوفي، الممثل الدائم للجمهورية العربية السورية بالأمم المتحدة، معلناً استقالته من منصبه في 27 ديسمبر (كانون الأول) 1979 ٠

لذلك، أصبح من الممكن توجيه السخط الشعبي والتوترات الاجتماعية الاقتصادية وإثارتها عبر قنوات طائفية، مثلما بدا واضحاً في الاضطرابات المدنية العنيفة والدموية بطول البلاد وعرضها في ربيع 1980 .

وفي سبتمبر (أيلول) 1979 بدأت حملة ثانية ضد الفساد بهدف تحسين المناخ السياسي والاجتماعي الاقتصادي المتدهور في البلاد، إلا أن العوائق البنيوية التي عرقلت التنفيذ الجذري للحملة الأولى ضد الفساد في 1977 كانت لا تزال قائمة، وبدت احتمالات نجاح إجراءات الإصلاح الشاملة مظلمة طالما بقى التنظيم الحزبي للنظام ضعيفاً[286].

وفي 1980 كان تنظيم حزب البعث لا يزال يعانى من نقاط الضعف العديدة التي تكبدها منذ أن جاء الى السلطة في 1963، وبالرغم من انقضاء 17 عاماً على الجماعات البعثية المختلفة في الحكم، إلا أنها لم تنجح في التخلص من نقاط الضعف هذه. وهذا ما بدا واضحاً في التقرير التنظيمي المقدم للمؤتمر القطري السابع لحزب البعث والمنعقد في دمشق من 22 ديسمبر (كانون الأول) 1979 الى 6 يناير (كانون الثاني) 1980، حيث يلخص هذا التقرير ما أسماه بأكبر الصعوبات التي أعاقت النشاطات التنظيمية للحزب:

1- قلة الخبرة والسوية العلمية عند بعض الرفاق في القيادات الحزبية، وعدم توفر الانسجام فيما بينها أحيانا.
2- ضعف التربية العقائدية في الجهاز الحزبي[287] وبروز ظاهرة العزوف عن التثقيف الذاتي ونمو الميل

---

[286] قارن حمود الشوفي الذي أعلن في بيانه الصحفي في 27 ديسمبر (كانون الأول) 1979: "في ظل غياب الممارسات الديمقراطية الحقيقية تفشت ممارسات الفساد والابتزاز والرشوة دون كبح. إن حملة الاسد التي تم الإعلان عنها أخيراً والتي حظيت بالكثير من الدعاية من أجل القضاء على الفساد في حكومته قد توقفت فور أن بدأت في توريط أصدقاء شخصيين وأقرباء في مناصب حكومية وعسكرية منتقاة من قِبله". للاطلاع على ظهور برجوازية جديدة "بيروقراطية" أو "برجوازية الدولة" تحت ظل النظام البعثي السوري، انظر

Elizabeth Longuenesse, 'Bourgeoisie, Petite-Bourgeoisie et Couches Moyennes en Syrie', Peuples Méditerranéens, No. 4, July September 1978, pp. 21-42.

[287] ان ضعف حزب البعث في سوريا من وجهة النظر الايديولوجية بدا واضحاً من وصف التقرير التنظيمي لأهم الصعوبات التي واجهته في توصيل أفكار الحزب لجهاز الحزب: " ندرة المواد التعليمية التي تصف أفكار الحزب بدقة؛

الاستهلاكي لدى الجيل.

3- عدم توخى الدقة في الاختيار عند تعيين القيادات المتسلسلة، وعدم معرفة القيادة بالمرشحين من قيادات الفروع معرفة مباشرة.

4- ضعف سوية الجهاز المتفرغ في مؤسسات الحزب القيادية (أي، الجهاز الذي اعفى اعضائه من أي واجبات أخرى، ويتوقع منهم تكريس أنفسهم بشكل كامل للعمل الحزبي).

5- ظواهر (مهمة أخرى) أبرزها: اللامبالاة، وضعف الشعور بالمسؤولية، وضعف الحماس للحزب والتعصب له، والانتهاز، والفهم الخاطيء لممارسة الديمقراطية، ونمو بعض أمراض المجتمع الموروثة (أي، الطائفية والاقليمية والعشائرية)[288].

وفى غضون المؤتمر القطري السابع تم اتخاذ قرار بتشكيل لجنة مركزية من 75 عضواً "تمارس صلاحيات المؤتمر القطري بين فترتي انعقاده ... وتشرف على تنفيذ قرارات القيادة وخططها في مجال الدولة والعمل الحزبي"[289]. وليس من المدهش بمكان وبتوافق مع التحليل الاحصائي لمؤسسات السلطة السورية الواردة بالفصل السادس أن يتمتع الضباط العلويون بتمثيل قوى ضمن الأعضاء العسكريين المنتخبين في اللجنة المركزية. ومن بين هؤلاء، الرئيس حافظ الاسد وأبرز أنصاره العلويين، بمن فيهم شقيقه رفعت الاسد، والعماد علي أصلان (نائب رئيس هيئة الأركان)، والعماد علي دوبا (مدير المخابرات العسكرية)، واللواء علي حيدر (قائد القوات الخاصة) واللواء علي الصالح (قائد قوات الدفاع الجوي) واللواء ابراهيم صافي (قائد الفرقة الثالثة) واللواء شفيق فياض (قائد الفرقة الأولى ومن أقرباء الرئيس) واللواء عدنان بدر الحسن[290].

وصعوبة تدريب القائمين بعملية التعليم؛ وقلة المصادر التي تتناول الأفكار الاشتراكية القومية". (المناضل، العدد 129، يناير (كانون الثاني) 1980، ص 95- 96). وفى الواقع، هناك العديد من المصادر التي تتناول الأفكار الاشتراكية العربية القومية، إلا أن معظم الكتاب كانوا ينتمون لتنظيم حزب البعث المنافس الحاكم بالعراق، وهؤلاء تم إعدادهم أو فروا من سوريا. لذلك، لم تتوافر كتبهم في سوريا بشكل عام.

[288] المناضل، العدد 129، يناير (كانون الثاني) 1980، ص 95 .

[289] المصدر السابق، ص158 ؛ النهار العربي والدولي، 14 , 20 يناير (كانون الثاني) 1980

[290] المناضل، العدد 129، يناير (كانون الثاني) 1980، ص 128-129؛ البعث، 6 يناير (كانون الثاني) 1980 . وفى المؤتمر القطري السابع الذي حضره 518 عضواً عاملا، قام 160 منهم بتمثيل القوات المسلحة، أي، أكثر من 30٪ من عدد وفود الأعضاء العاملين. وقد ضموا جميل الاسد، شقيق الرئيس الأسد، وضباطاً علويين بارزين آخرين أمثال عبد

وقد اختارت اللجنة المركزية من بين اعضائها قيادة قطرية جديدة تألفت من 21 عضواً، وبالطبع كان الرئيس حافظ الاسد وشقيقه رفعت الاسد من بين الذين اعيد انتخابهم[291]• ومن وجهة نظر احصائية نجد أن تشكيل القيادة القطرية يتمشى مع القيادات الثلاث السابقة منذ نوفمبر (تشرين الثاني) 1970 كما ورد بالفصل السادس: حيث اظهرت جميعها تمثيلا قوياً نسبياً لمنطقة اللاذقية وللعلويين[292]•

وفى ختام المؤتمر القطري السابع أعلن الرئيس الاسد بعض الخطوط العريضة للاصلاحات

الغنى ابراهيم وعلي حسين وحكمت ابراهيم وعدنان ابراهيم الأسد ابن عم الرئيس ومحمد الخولي (نائب قائد القوات الجوية ومدير المخابرات الجوية) ومعين ناصيف (نائب مدير المخابرات المسئول عن الأمن وصهر رفعت الأسد)• (المناضل، العدد 129، يناير (كانون الثاني) 1980، ص 26 –38) • وطبقاً للتقرير التنظيمي المقدم للمؤتمر القطري السابع فإن عدد الأعضاء العاملين المدنيين بجهاز الحزب السوري وقت المؤتمر قد وصل الى 45381 ، بينما وصل عدد أعضاء الحزب في نهاية 1978 (بما فيهم الفئات الأخرى غير الأعضاء العاملين) الى 237–501 (المناضل، العدد 129، يناير (كانون الثاني) 1980، ص 11، 94)•

291 كانت القيادة القطرية السورية الجديدة التي تم انتخابها في 5 يناير (كانون الثاني) 1980 تضم أربعة عشر سنياً (بينهم ثلاثة عسكريين)، وأربعة علويين (بينهم عسكريان اثنان)، ومسيحيين اثنين، ودرزياً واحداً• قارن
Maler, 'La Société Syrienne', Le Monde Diplomatique, April 1980.

292 انظر الجداول 5 و 6 والفصل السادس• للمرة الأولى منذ فبراير (شباط) 1966 تم اختيار ضابطين (سنيين) من منطقة حلب بالقيادة القطرية الجديدة، وهما اللواء حكمت الشهابي الذي حل محل اللواء يوسف شكور كرئيس للاركان في أغسطس (آب) 1974 واللواء ناصر الدين ناصر الذي عُين وزيراً للداخلية بوزارة الدكتور عبد الرؤوف الكسم التي تشكلت في 14 يناير (كانون الثاني) 1980 • أما الوزارات من رقم 96 الى 103 (1976 –1996) التابعة لرؤساء الوزراء (السنيين الدمشقيين) عبد الرحمن الخليفاوي (1976 –1978) ومحمد على الحلبي (1978 –1980) والدكتور عبد الرؤوف الكسم (1980 –1987) ورئيس الوزراء محمود الزعبي (1987 –1996) (سني من درعا) فلم يتم ادراجها بالجدول 2 • فمن وجهة النظر الطائفية نجد أن تشكيلها يكاد يطابق الوزارات الأخرى في حقبة الاسد، أما من وجهة النظر الإقليمية فقد ارتفع بشدة عدد الدمشقيين (إلى حوالي 35٪) داخل وزارتي محمود الزعبي• قارن
Office Arabe de Presse et de Documentation, Le 1er Cabinet de M. El–Halabi, Structure et Biographies (Damascus, 1978); Le 1er Cabinet de M. Abdel Raouf Al–Kassem, Structure et Biographies (Damascus, 1980); Le Deuxième Cabinet de M. Mahmoud al–Zou'bi du 29 Juin 1992 (Damascus, 1992).

الجذرية التي هدفت لمساعدة النظام والبلاد على تحسين الموقف الحرج الذي وجدوا انفسهم فيه[293]٠ بيد أن النظام واجه في المراحل الأولى لمحاولته تنفيذ برنامجه الاصلاحي معارضة وشغباً بطول البلاد وعرضها على نطاق اوسع مما كان عليه منذ 1963 ٠

وأكد فشل النظام في تنفيذ الاصلاحات الضرورية لإعادة الاستقرار السياسي والاجتماعي الاقتصادي بجانب عجزه عن محو سمة الطائفية مرة أخرى الوضع المتناقض الذي وجد نفسه فيه مراراً وتكراراً منذ استيلائه على السلطة في 1963[294] ٠ لقد اصبح النظام البعثي الذي كان يسيطر عليه العلويون اسير حلقة مفرغة لا مفر منها على ما يبدو٠

الفشل البِنْيوي في كبح الطائفية

يبدو أن الاعتماد على الروابط الاقليمية والعشائرية في دول مثل سوريا شرط أساسي للاحتفاظ بالسلطة٠ ونظرياً، ليس بالضرورة أن تؤدى الاقليمية والعشائرية الى ظهور الطائفية، حتى وإن كان هناك تداخل قوى بين الفئات الثلاث، كما هو الوضع مع الأقليات الدينية المتماسكة كالعلويين والإسماعيليين والدروز[295]٠

وفى ظل ظروف مواتية يمكن كبح الطائفية والعمل على تلاشيها تدريجياً على الرغم من الجهود

---

[293] اذاعة دمشق، 6 يناير (كانون الثاني) 1980 ٠ تم تقديم برنامج تفصيلي في البيان الحكومي لرئيس الوزراء الدكتور عبد الرؤوف الكسم في 18 فبراير (شباط) 1980 ٠ (اذاعة دمشق، 18 فبراير (شباط) 1980)٠

[294] انظر الفصل الخامس٠

[295] لمناقشة العلاقة (المتشابهة في العديد من الجوانب) بين الفئات الطائفية والاقليمية والاجتماعية الاقتصادية في العراق، انظر

Hanna Batatu, The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq. A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes and of its Communists, Ba'thists and Free Officers (Princeton, 1978), and Peter Sluglett and Marion Farouk−Sluglett, 'Some Reflections on the Sunni/Shi'i Question in Iraq', British Society for Middle Eastern Studies Bulletin, Vol. 5, No. 2, 1978, pp. 7987.

المبذولة من قِبل المجموعات المُبعدة عن السلطة لتشجيع الطائفية لصالح أهدافها السياسية الشخصية٠ وقد كان من الممكن في حالة النظام البعثى السوري الوصول الى كبح الطائفية لو أن الانضباط الحزبي كان مستمراً ولو لم يكن هناك فساد ولو أن دائرة النخبة الحاكمة بالحزب اتسعت تدريجياً، كل ذلك بجانب الاصلاحات الاجتماعية الاقتصادية والديمقراطية والتطور التعليمي[296]٠

ورغم أن التمثيل العلوي القوى في النخبة الحاكمة في البداية كاد ألا يكون مرتبطاً بالطائفية وإنما كان مرتبطاً بالاقليمية والعشائرية، كما بدا الأمر في المراحل الأولى من ثورة 8 مارس (آذار) 1963، إلا أن ذلك لم يمنع السنيين وغيرهم من المعارضة غير العلوية من اعتباره علوياً أو نظاماً طائفياً تهيمن عليه الأقلية العلوية٠ وبالمثل لم يكن من الممكن منع السنيين وغير العلويين المعارضين للنظام البعثى ذي النزعة العلمانية من استغلال موضوع الطائفية لأهدافهم السياسية الشخصية من أجل تقويض مركز النظام٠ وفى الحالة الأخيرة، خلقت الأفكار السياسية حقائق خاصة بها وعاشت الطائفية حياتها، بغض النظر عما اذا كانت الفئة السياسية المسيطرة قد استمدت قواها بالفعل من التضامن الطائفي أم لا٠

ولو أن نخبة البعثيين كانت مكوّنة نظرياً من سنيين تربطهم أواصر اقليمية وعشائرية على سبيل المثال حمويين أو حورانيين سنيين مرتبطين عشائرياً وبذلك يكون النظام قد حصل على بُعد آخر وهو "حكم الأقلية" (ولكن في هذه الحالة يعتبر حكماً سنياً عشائرياً إقليمياً)، لكانت قضية الطائفية أصعب استغلالا، لأن السنيين يعتبرون "اكثرية" بشكل عام٠ ولكن الطائفية عند العلويين كانت أسهل استغلالا لدى أقوى أعضاء النخبة البعثية على أساس أنهم كانوا ينتمون بدرجة كبيرة إلى طائفة دينية عانت تقليدياً من تفرقة في المعاملة، أي العلويين، الذين رفض معظم المسلمين السنيين الاعتراف بأنهم طائفة اسلامية[297]٠

---

[296] قارن

Nikolaos van Dam, 'Middle Eastern Political Clichés: "Takriti" and "Sunni rule" in Iraq; "Alawi rule" in Syria. A Critical Appraisal', Orient, Vol. 21, No. 1, January 1980, pp. 42–57.

[297] قارن

R. Stephen Humphreys, 'Islam and Political Values in Saudi Arabia, Egypt and Syria', The Middle East Journal, Vol. 33, No. 1, Winter 1979, p. 17,
الذي يعلق أن "في سوريا حكومة مشكوكاً في شرعيتها، مهما اتبعت من سياسات ناجحة أو فاشلة٠ وتستمر الأغلبية السنية من الشعب في الشعور بالإزدراء العميق تجاه حكومة البعثيين ذات الميول العلمانية والتي يسيطر عليها رجال ذوو خلفية نصيرية٠ و(كما رأينا) يسهل تعبئة مثل هذا الإزدراء بسهولة"٠

ومن جهة أخرى كان من الصعب أن نتوقع من العلويين الذين عانوا من ازدراء السنيين طويلا أن يبقوا موضوعيين تماماً ويمتنعوا عن الممارسات الطائفية التي كانوا هم ضحاياها بعد أن حصلوا على السلطة أو بعد أن أصبح لهم مدافعون أقوياء في داخل النظام. وكان من الطبيعي في هذه الحالة أن يلعب الشعور الانتقامي عند العلويين دوراً تم تعزيزه في الفترة بعد 1976، نتيجة التحريض الطائفي واغتيالات العلويين من قِبل المتطرفين المسلمين السنيين الذين اعتبروا انفسهم بدورهم مدفعوين للشروع في الاغتيالات بسبب النظام القمعي وغير الديمقراطي الفاسد، والذي بدا لهم متسماً بالطابع الطائفي العلوي "الكافر". وقد عبر عن ذلك أحد الذين قدموا للمحاكمة في دمشق في سبتمبر (أيلول) 1979 بالآتي: "إن الاغتيالات هي اللغة الوحيدة الممكنة للتفاهم مع الدولة"[298]. وكل هذا أدى إلى سلسلة من الأفعال وردود الأفعال الطائفية التي أصبح من الصعب التمييز بينها[299].

ان الظروف المواتية التي يمكن في ظلها كبح الطائفية، ومن ثم القضاء عليها، لم تتحقق خلال وجود حزب البعث في السلطة في سوريا، فبالرغم من أكثر من ثلاثين عاماً من الحكم البعثى العلماني الذي يسيطر عليه أعضاء أقلية طائفية، إلا أن سوريا لا تزال في منتصف التسعينات تبدو بشكل متناقض ومأساوي أبعد ما تكون منذ استقلالها عن التصور البعثى المثالي لمجتمع علماني يتساوى فيه العرب

---

[298] النذير، العدد 10، 1 فبراير (شباط) 1980، ص 12 . قارن النذير، العدد 9، 8 يناير (كانون الثاني) 1980، ص 14-17 .

[299] انظر الإحياء العربي، العدد 16، 19 مايو (ايار) 1980، حول الأعمال الانتقامية من قِبل أعضاء القوات الخاصة بقيادة على حيدر ضد سكان حلب وحماة. فعقب القلاقل الدامية في مارس (آذار) وابريل (نيسان) 1980 تم حصار المدينتين وتمشيطهما بالتعاون بين وحدات القوات الخاصة وسرايا الدفاع التابعة لرفعت الاسد، بحثاً عن المتطرفين المسلمين السنيين المسئولين عن الاغتيالات السابقة وكل من تعاطف معهم. وقد سقط العديد من القتلى والجرحى خلال هذه العمليات. كما أن مصادر الإخوان المسلمين المعارضة تذكر بالتفصيل العديد من المواجهات الدامية خلال النصف الأول من 1980، بما في ذلك ما وُصف بـــ "مجزرة جسر الشغور (10 مارس (آذار) 1980)، أول مجازر حماة (125 ابريل (نيسان) 1980)، وثاني مجازر حماة (21 مايو (آيار) 1980)". تدمر، المجزرة المستمرة (دار النذير، الطبعة الثالثة، 1984)، ص 16-27؛ حماة، مأساة العصر (منشورات التحالف الوطني لتحرير سوريا، 1984)، ص 19 - 21). انظر أيضاً:
Middle East Watch, Syria Unmasked: The suppression of human rights by the Asad regime (London, 1991), chapter 2 "The Great Repression, 1976 to 1982", pp. 8–21.

أجمعين، بغض النظر عن دينهم[300].

[300] قارن حبيب عيسى، السقوط الأخير للاقليميين في الوطن العربي (بيروت، 1979)؛ رائق النقري، الصوت الحيوي، الحوار الأول (باريس، 23 يناير (كانون الثاني) 1980).

الفصل الثامن

المواجهة الطائفية: القضاء على الإخوان المسلمين

لم يهتز النظام السوري سوى مرة واحدة منذ أوائل السبعينات من قِبل أعدائه داخل البلاد: ذلك عندما بلغت المواجهة الدامية مع مجاهدي الإخوان المسلمين السوريين ذروتها بالعصيان الواسع الذي وقع في حماة في فبراير (شباط) 1982 واستطاعت القوات المسلحة السورية أن تقمعه دموياً.

تسليح البعثيين المدنيين

من أجل مواجهة الأنشطة المخربة وهجمات مجاهدي الإخوان المسلمين السوريين بصورة أفضل بدأت القيادة القطرية عقب المؤتمر القطري السابع (يناير (كانون الثاني) 1980) في تسليح وتدريب الآلاف من أعضاء حزب البعث وأنصاره في مختلف فروع الحزب بطول البلاد وعرضها، وقد لعب التنظيم العسكري لحزب البعث دوراً حاسماً أثناء عملية التدريب. ومنذ ذلك الحين فصاعداً لم تشترك القوات المسلحة وحدها في سحق أية معارضة مسلحة، بل أيضاً جهاز الحزب المدني بعد تزويده بالسلاح. ونتيجة لذلك، أصبح العنف وما يقابله من عنف أكثر انتشاراً من ذي قبل. وقد كان المؤتمر القطري السابع شاهداً على اعتلاء رفعت الأسد مكانة تضاهى مكانة الرئيس الأسد في الدولة. وقد ذكر باتريك سيل ان أساليب القبضة الحديدية التي مارسها ربما تكون قد انقذت النظام، إلا أنها غيرت من سماته. فتصميم السلطات على مواجهة بطش العدو بالمثل، أو حتى بأكثر من ذلك، جعلها تلجأ بشكل أكبر للوحدات العسكرية المزودة بالأسلحة الثقيلة من أجل اقتلاع حرب العصابات بالمدن. أما التحديث الحقيقي

فكان في تسليح أعضاء الحزب وأنصاره[301].

مذبحة تدمر (1980)

لقد أدت التحريضات الطائفية لمجاهدي الإخوان المسلمين الواردة بالفصل السابع إلى تطور الأمور بشكل خطير، عندما قاموا في 26 يونيو (حزيران) 1980 بمحاولة فاشلة لاغتيال الرئيس حافظ الأسد بدمشق والتي نجا منها بأعجوبة. وقد اجتاحت الطائفة العلوية موجة من الغضب واقسم رفعت، شقيق حافظ الأسد، أن ينتقم. وفى اليوم التالي صدرت الأوامر لوحدتين من سرايا الدفاع التابعة لرفعت الأسد من قِبل الرائد معين ناصيف، نائب رفعت الأسد وصهره (العلوي)، بالتوجه بالهليكوبتر إلى تدمر وقتل جميع أعضاء الإخوان المسلمين المسجونين هناك. وقبل الإقلاع قام الرائد معين ناصيف بإطلاع رجاله على العملية، قائلاً إنه لا بد من الإنتقام مما حدث:

> إن الإخوان المسلمين قد قتلوا ضباطاً ومشايخ وأطباء (علويين) وأخيراً حاولوا قتل الرئيس حافظ الأسد. لذلك نود الآن أن نعهد إليكم بأول مهمة قتالية[302].

وفى هذا اليوم تم اغتيال حوالي 550 سجيناً من الإخوان المسلمين في زنزاناتهم بصورة وحشية رمياً بالرصاص، وقد تعالت صرخاتهم بين نداء "الله أكبر" وبين استغاثة. ورغم أن النظام حاول أن يحيط العملية بجو من السرية، إلا أن التفاصيل ظهرت فيما بعد، وخاصة بعد إلقاء القبض على متورطين في

301

التقرير التنظيمي1985, ص 21-22 .

Patrick Seale, Asad: The Struggle for the Middle East, p. 327.

302 الرأي، عمان، 26 فبراير (شباط) 1981 . في غضون اسبوعين من محاولة اغتيال الرئيس حافظ الأسد أصدر المجلس الشعب السوري في 7 يوليو (تموز) 1980 قانونه رقم (49)، الذي يقضي باعتبار عضوية الإخوان المسلمين جريمة عظمى.

Middle East Watch, Syria Unmasked: The Suppression of Human Rights by the Asad Regime, London, 1991, pp. 16, 35, 61.

هذه العملية بالأردن وقد أدليا باعترافات مُفصلة تم إذاعتها بالتلفزيون الأردني• وكان قد تم ارسال الأسيرين السوريين للاردن كعضوين في فريق انتقامي ومعهما تعليمات بقتل رئيس الوزراء الأردني مضر بدران المتهم من قِبل السوريين بمساندة الإخوان المسلمين في التسليح والتدريب[303]•

وكرد فعل اندفعت وسائل الإعلام الرسمية الأردنية بعنف ضد سوريا، مركزة هجومها على السمة العلوية للنظام في هجومها الدعائي:

عندما اكتشف الشعب العربي في سوريا حقيقة النظام الفئوي الطائفي المتسلط عليه وزيف الشرعية التي تستر بها باستغلاله المبادئ والشعارات القومية وعندما بدأ النظام السوري القائم على تحكم فئة من الطائفة العلوية بمواجهة المعارضة الشعبية المتفاقمة ضده داخل سوريا، لجأ في سعيه من أجل البقاء إلى سياسة البطش والقمع والإرهاب في الداخل والخارج وقد عمل على تصفية كل من ارتفع صوته بالاشارة إلى حقيقة هذا النظام، فاغتال صلاح الدين البيطار في باريس ومن قبله كمال جنبلاط وسليم اللوزي وكثيرين غيرهم في لبنان وخارجها•

ومارس داخل سوريا أبشع الأساليب لاستئصال معارضيه وتصفيتهم بالقتل الجماعي تارة والإغتيالات الفردية تارة أخرى لا فرق عنده بين رجل وامرأة و شاب ومسن ولم تسلم من حقده الأسود الطائفة العلوية نفسها إذ عمل على تصفية بعض قادتها ممن خالفوه الرأي وفى مقدمتهم اللواء محمد عمران الذي اغتالوه في لبنان[304]•

---

[303] لسرد مفصل عن مذبحة تدمر انظر: تدمر، المجزرة المستمرة، دار النذير، الطبعة الثالثة، 1984 • وتشير هذه النشرة إلى أن جميع المشتركين في المذبحة كانوا من العلويين، وهذا لا يدعو للدهشة، حيث أن سرايا الدفاع التابعة لرفعت الأسد كادت أن تكون من العلويين فقط• وقد تم نشر اعترافات عيسى ابراهيم فياض واكرم بيشانى، المقبوض عليهما، في جريدة الرأي (عمان)، 26 فبراير (شباط) 1981 • والنص الوارد بجريدة الرأي يختلف بعض الشيء عما نُشر بتدمر، المجزرة المستمرة•

[304]

Jordan Times, 26 ,27 February 1981,

الرأي، 26 فبراير (شباط) 1981 • لقد اُغتيل صلاح الدين البيطار أحد مؤسسي حزب البعث في باريس في 21 يوليو (تموز) 1980 عقب نشر عدة مقالات انتقادية بجريدته المعارضة، الإحياء العربي (وهو الاسم الأصلى لحزب البعث قبل تأسيسه رسمياً عام 1947)• انظر على سبيل المثال مقالات البيطار "سوريا مريضة مريضة وتعيش محنة ومأساة" وأيضاً "سؤال الساعة: ما هو البديل ؟"، وقد تم نشرهما في الإحياء العربي في مايو (ايار) 1980، العدد 15 و 16 •

الجبهة الإسلامية في سوريا

لم تمنع التدابير القمعية التي اتخذها النظام السوري ضد مجاهدي الإخوان المسلمين من استمرارهم في معارضتهم. فعلى النقيض، ومع نهاية عام 1980، تكون تحالف بين العديد من الجماعات السنية الدينية المعارضة، سيطر عليه أساساً الإخوان المسلمون وأُطلق عليه "الجبهة الإسلامية في سوريا". وفى نوفمبر (تشرين الثاني) 1980 أصدرت الجبهة بياناً سياسياً تحت عنوان "بيان الثورة الإسلامية في سوريا ومنهاجها"، موقعاً عليه من قِبل قادتها سعيد الحوى وعلي البيانوني وعدنان سعد الدين التابعين للاخوان المسلمين[305].

---

[305] بيان الثورة الإسلامية في سوريا ومنهاجها، دمشق، 9 نوفمبر (تشرين الثاني) 1980 . من أجل وصف متحيز وتاريخ الحركة الإسلامية المتطرفة المعارضة في سوريا، وترجمة للبيان الرسمي المذكور آنفاً، انظر

Umar F. Abd Allah, The Islamic Struggle in Syria, Berkeley, 1983.

وانظر أيضاً استعراضي لهذا الكتاب في

Middle East Studies Association Bulletin, Vol. 18, No. 1, 1984, pp. 57-60.

ولمزيد من التفاصيل عن المعارضة الإسلامية انظر أيضاً

Raymond A. Hinnebusch, Authoritarian Power and State Formation in Ba'thist Syria: Army, Party and Peasant (Oxford, 1990), Chapter 9: "Political Islam: Sectarian Conflict and Urban Opposition under the Ba'th", pp. 276–300; Thomas Mayer, "The Islamic Opposition in Syria, 1961-1982", Orient, Vol. 24, No. 4, December 1983, pp. 589-609; Hans Günther Lobmeyer, Islamismus und sozialer Konflikt in Syrien, Berlin, 1990 (Ethnizität und Gesellschaft, Occasional Papers, no. 26); Olivier Carré and Gérard Michaud, Les Frères musulmans: Égypte et Syrie (1928-1982), Paris, 1983; Itzchak Weismann, "Sa'id Hawwa: The Making of a Radical Muslim Thinker", Middle Eastern Studies, Vol. 29, No. 4, October 1993, pp. 601-623.

وحول العلاقة بين المعارضة الإسلامية السورية والنظام البعثي المنافس في بغداد انظر

Eberhard Kienle, Ba'th v Ba'th: The Conflict between Syria and Iraq 1968–1989, London 1990, pp. 155-163.

ويلاحظ Hans Günther Lobmeyer أن "الدور الحالي والسابق للمعارضة العلمانية غالباً ما كان يتم التغاضي عنه، رغم مساهمتها بشكل كبير في وشاكة الإحاطة بنظام الأسد في نهاية السبعينات وبداية الثمانينات ... لقد نشطت المعارضة العلمانية قبل الإسلاميين بزمانٍ وعانت من الاضطهاد في وقت كان النظام فيه غافلاً تماماً عن الإخوان المسلمين." انظر H.G. Lobmeyer، 'الديمقراطية هي الحل؟

The Syrian Opposition at the End of the Asad Era', in: Eberhard Kienle (ed.), Contemporary Syria, London, 1994, p. 84.

قارن تمام البرازي، ملفات المعارضة السورية، القاهرة، 1994 .

واحتوى البيان السياسي العام على نداء خاص للعلويين "من أجل مراجعة حساباتهم" والعودة إلى "التعقل قبل فوات الأوان"، كما تم الإفصاح في نفس الوقت عن أن الأمور قد وصلت إلى مرحلة اللاعودة فيما يتعلق بنظام البعث السوري ذاته، وانه لن تكون هناك هدنة إلا بانهياره وذهابه إلى غير رجعة:

إهابة بأبناء الطائفة العلوية

إننا نأمل من أبناء الطائفة العلوية التي ينتمي إليها هذا البلاء المسلط، حافظ أسد وشقيقه الماجن السفاح أن تسهم بصورة إيجابية في منع المأساة أن تبلغ نهايتها.

كما نهيب بالعناصر الواعية في الطائفة أن تراجع حساباتها، معلنين بغير مواربة ولا خداع أنه يسرنا أن تنفُضَ عن نفسها وصاية العناصر الفاسدة التي قادتها إلى هذا المأزق الدقيق، فما زال في الوقت متسع، وصدور شعبنا تتسع لأوبة الآيبين.

إننا مؤمنون إيماناً راسخاً أنه ليس من المحتم أن تحل المشاكل بالعنف، بل الوضع الطبيعي أن يجرى حل هذه المشاكل بالحوار البناء، ولكن ما العمل اذا كان الطرف الآخر يصر على تجاهل الآخرين، ويرفض الحوار معهم إلا بلغة القوة؟!

بناءً على هذا، وإيماناً منا بأن النظام القائم بلغ مرحلة اللاعودة، وأصبحت المراجعة الجذرية بالنسبة إليه مستحيلة، فإننا لن نهادن، ولن نلقى السلاح، وسنمضى في طريقنا غير عابئين بالعقبات والأخطار، حتى ينهار هذا النظام الغشوم، ويذهب الى غير رجعة[306].

وطبقاً للبيان السياسي العام كانت "الحقوق المدنية والقانونية لجميع الأقليات العرقية والدينية مصونة، وحرياتهم الشخصية مكفولة" (ص 18، الفقرة 11)، إلا أن الإخوان المسلمين اعتبروا العلويين "كفاراً" و"مشركين"، أي أنه ليس هناك مساواة لمثل هذه الأقليات في دولتهم الإسلامية التي يتطلعون إليها. أما بالنسبة للقوات المسلحة فطبقاً للبيان السياسي العام كان لا بد من تخليصها مما أطلقوا عليه "تركيبها

[306] بيان الثورة الإسلامية في سوريا ومنهاجها، ص 11 -12.

الطائفي" (ص 43 –44)، أي أن العلويين وغيرهم من أعضاء الأقليات كان عليهم أن يتخلوا عن مراكزهم القيادية ليحل محلهم السنيون. وبالطبع قوبلت مثل هذه الاقتراحات بالإزدراء من قِبل العلويين وأعضاء الأقليات الدينية الأخرى، بعثيين كانوا أم لا، وأيضاً العلويين المعارضين للنظام. ومن واقع استمرار عملية قتل العلويين دون تمييز من قِبل مجاهدي الإخوان المسلمين يمكن استنتاج أن "الحوار البناء" المُقترح لم يكن أمراً جاداً[307]. ومن ناحية أخرى بدت الإقتراحات الواردة بالبيان السياسي العام جذابة للغاية بالنسبة لبعض المعارضين السنيين نظراً لشعورهم بالكبت تحت وطأة النظام البعثي الذي يسوده العلويون ونظراً لتطلعهم لتحسين مراكزهم عن طريق الجبهة الإسلامية في سوريا، سواء كان ذلك إيماناً منهم بمبادئها، أو لاستخدامها فقط كأداة للاطاحة بالنظام.

وفى الفترة التي تلت تكوين التحالف الإسلامي تزايدت أعمال العنف ونجحت الجبهة الإسلامية في نقل معركتها الإرهابية إلى دمشق عن طريق قذف المؤسسات الحكومية بالمتفجرات، مثل مكتب رئيس الوزراء (أغسطس (آب) 1981) ومقر القوات الجوية (سبتمبر (أيلول) 1981) ومركز خبراء روسي (أكتوبر (تشرين الأول) 1981) ومجمع للتجنيد العسكري بحي الأزبكية (29 نوفمبر (تشرين الثاني) 1981)، مما أدى إلى إصابة مئات المارة. وفى 6 أكتوبر (تشرين الأول) 1981 عندما اغتال إرهابيون مسلمون الرئيس المصري السادات في القاهرة تم توزيع منشورات في دمشق تهدد الرئيس حافظ الأسد بنفس المصير[308].

الدعاية الدينية السنية ضد العلويين

كما ورد بالفصول السابقة فإن مروجين سنيين ادعوا أن سياسات نظام البعث السوري الذي

---

[307] في 16 ديسمبر (كانون الأول) 1980 اغتال مجاهدو الإخوان المسلمين الدكتور يوسف صائغ بعيادته في دمشق، لأنه على زعمهم الطبيب الشخصي للرئيس حافظ الأسد. انظر مصطفى طلاس، مرآة حياتي، ص 627، الحاشية 1 .

[308] Seale, Asad, p.331.

يسيطر عليه العلويون تخضع للخلفية الطائفية لرؤسائها. وفي حين أنه من منتصف الستينات وحتى نهاية السبعينات كثيراً ما كان يتم التركيز على التداخل المزعوم بين السلوك السياسي والخلفية الطائفية العلوية في كتابات السنيين الجدلية، إلا أن هذه الفكرة أصبحت بديهية بالنسبة للكُتاَّب شيئاً فشيئاً، حتى أن بعضهم بدء يركز مع بداية الثمانينات على صياغة الحجج الدينية البحتة، بحيث أصبح النقاش يدور أساساً حول ما إذا كان العلويون مسلمين أم لا. وفي سياق المناظرات الدينية عند الإشارة إلى "العلويين" و"النصيريين" كان يُفضل استخدام تعبير "النصيريين" (وهو مشتق من اسم محمد بن نصير الذي وُصف بأنه مؤسس طائفة من غلاة الشيعة في القرن التاسع في العراق امتدت فيما بعد لسوريا) من قِبل هؤلاء الذين يودون التلميح بأن العلويين غير مسلمين، واستخدام تعبير "العلويين" (وهو مشتق من اسم علي بن أبي طالب، صهر النبي محمد) من قِبل هؤلاء الذين يعتبرون العلويين مسلمين (في هذه الحالة الشيعة الجعفريون). وكان يقصد بمثل هذه الكتابات المعادية للعلويين الإعداد لحركة دينية واسعة النطاق يقوم بها السنيون المسلمون، أكثر منها الحث على مناقشات دينية بحتة، وذلك بغرض الإطاحة بنظام الحكم البعثي الذي يسيطر عليه العلويون عن طريق القوة، بحيث يصبح استخدام القوة "مشروعاً" استناداً على الأطروحة السنية المتطرفة المعادية للعلويين والمأخوذة عن الفقيه الحنبلي ابن تيمية في القرن الرابع عشر، والتي تسمح بتصفية وقتل العلويين[309].

وقلما استخدم نظام البعث السوري الحجج الدينية في الرد على الدعاية المعادية للعلويين والكتابات الجدلية، ويرجع هذا لسببين رئيسيين: أولهما أنه نظراً لأن البعث كان يعتبر نفسه تنظيماً قومياً عربياً

---

[309] انظر على سبيل المثال حقائق عن الطائفة النصيرية في سوريا، غير معلوم المكان والتاريخ؛ تقي شرف الدين، النصيرية: دراسة تحليلية، بيروت 1983؛ أعداد كثيرة من النذير، دمشق؛ قحطان عبد الرحمن الدوري وآخرون، النصيرية حركة هدمية، بغداد، 1986، تحتوى على أوراق مُقدمة في ندوة تحت هذا الاسم في بغداد في 1985 تحت رعاية وزير التعليم العالي والبحث العلمي العراقي بغرض تقويض نظام البعث المعادى في دمشق، رغم أن بغداد لم تكن تلجأ في العادة للدعاية الطائفية كسلاح؛ الحسيني عبدالله، الجذور التاريخية للنصيرية العلوية، القاهرة، 1980؛

Gregor Voss, "Alawiya oder Nusairiya?" Schiitische Machtelite und Sunnitische Opposition in der Syrischen Arabischen Republik, Dissertation, Hamburg 1987; H. Halm, "Nusayriyya", in: The Encyclopaedia of Islam (New Edition), Vol. VIII, Leiden, 1993, pp. 145−148; and Antoine Audo, Zaki al−Arsouzi: Un Arabe Face A La Modernité, Bayrut, 1988, pp. 138−142.

علمانياً فكان يرفض بوجه عام الدخول في أي جدل ديني؛ وثانيهما أن ردود الفعل الرسمية للجدل الطائفي والدعاية المعادية للعلويين بنفس الصيغة "الدينية" كانت ستتسبب في خلق انطباع يؤكد الإدعاء بأن النظام واقع تحت سيطرة العلويين، كما أنه قد يوقظ الجدل والعداء الطائفي• ورغم كل هذا فقد اعيد طبع العديد من المنشورات التي كانت تُعتبر في صالح التاريخ العلوي وتداولتها المكتبات السورية[310]•

وبوجه عام لم تتناول هذه الكتب باستفاضة نوع الدعاية المعادية للعلويين والتي انعكست في الكتابات الجدلية المنشورة في اواخر السبعينات واوائل الثمانينات، بيد أن أول استثناء لهذه القاعدة هو الدراسة التي نشرها المحامى العلوي السوري من اللاذقية هاشم عثمان في بيروت عام 1980 تحت عنوان "العلويون بين الأسطورة والحقيقة•" وقد وُصف هذا الكتاب بأنه "رد فعل غير رسمي" للهجمات الطائفية من قِبل المعارضة السنية المتطرفة[311]• ورغم أن هاشم عثمان لا يشير مباشرة للعديد من المنشورات المعادية للعلويين والتي ظهرت في هذه الفترة، إلا أنه يتطرق إلى المناظرات التي تطرحها المعارضة الأصولية الإسلامية السورية، كما أنه يسعى لتفنيدها ودحضها• وقد بدا كتاب هاشم عثمان في

---

[310] من بينها منير الشريف، المسلمون العلويون، من هم وأين هم؟ دمشق، 1961، الطبعة الثالثة؛ محمد أمين غالب الطويل، تاريخ العلويين، بيروت، 1966 و 1979، وقد قام بكتابة المقدمة الشيخ العلوي الشهير عبد الرحمن الخير• انظر أيضاً مصطفى الشكعه، إسلام بلا مذاهب، القاهرة (الطبعة الثامنة) 1991، ص 321-373 ؛ جورج جبور، صافيتا ومحيطها في القرن التاسع عشر، دمشق، 1993، ص 30 -33، والذي يجادل أن العرب بمن فيهم المؤرخون السوريون بوسعهم عمل الكثير من أجل تحسين "صورة سوريا كدولة الوحدة الوطنية"، وأيضاً بالنسبة للقرن التاسع عشر، كما أن هذه الروح "كانت أوثق مما نظن، أو بالاحرى مما رسمته كتابات الأجانب"؛ وللاطلاع على مسح موسع وسرد لـلآراء المتداولة حول العلويين السوريين وسلوكهم وبواعثهم السياسية المُدركة انظر

Daniel Pipes, Greater Syria: The History of an Ambition, Oxford 1990, pp. 158-188; Martin Kramer, "Syria's Alawis and Shi'ism", in: Martin Kramer (ed.), Shi'ism, Resistance and Revolution, Boulder Colorado, 1987, pp. 237-254,

وذلك حول موضوع ما إذا كان يمكن اعتبار العلويين شيعيين أم لا•

[311]

Voss, "Alawiya oder Nusairiya?", p. 62.

انظر أيضاً استعراضي لدراسة فوس في

Die Welt des Islams, XXIX (1989), pp. 207-209.

تلك الأونة فريداً من نوعه، حيث لم تكن قد نُشرت كتابات مماثلة تؤيد العلويين وتحمل طابع تبريري•

ولم تُنشر دراسة رسمية حول عقيدة وواقع العلويين إلا فيما بعد، حيث تم تداول الموضوع على نطاق واسع من قِبل أحد المشايخ العلويين من ذوى النفوذ، ألا وهو الشيخ عبد الرحمن الخير الذي ناقش علانية هؤلاء الذين ادعوا ان العلويين غير مسلمين في كتابه "عقيدتنا وواقعنا نحن المسلمين "العلويين"" :

كنت ولا أزال طيلة هذه المدة المديدة، وأثناء لقاءاتي مع الكثيرين من رجالات المسلمين وغير المسلمين، كنت ولا أزال أصطدم مع الأسف الشديد بالفكرة الخاطئة المتكونة لديهم من مطالعة الكتب الصفراء الظالمة، التي ألفت في عصور التناحر المذهبي والتعصب الأعمى لأقوال الرجال المتخاصمين، ومن تناقل محتوياتها من الاتهامات الظالمة بالتسليم دون مناقشة، حتى وكأنها تنزيل من رب العالمين، ومن التندُّر بتضخيم تلك المفتريات وتوشيتها بألوان من خيال القصاصين والمستغلين، ومن الاختلاط بالجهلة من أميين وأنصاف متعلمين من المسلمين (العلويين)، وأخذ أقوالهم وأعمالهم حججاً مزعومة على صدق الاتهامات التي تتضمنها تلك الكتب الصفراء الظالمة، ومن التحدُّث مع بعض ناشئتهم من طلبة المدارس الأغرار، ومع بعض الوصوليين منهم ••• الذين احتلت لديهم المبادئ الحزبية المستوردة مكان العقيدة الدينية التي ورثوها بتقليد الجهلة لا بالتعلم من علماء أجلاَّء•

طيلة هذه المدة المديدة كنت ولا أزال أصطدم بهذه الفكرة الخاطئة المتكونة مما سبق بيانه مجتمعاً كله أو بعضه والجازمة بأن (العلويين) هم غير مسلمين، وأنهم لا يعرفون الإسلام ولا يدينون بوجوب العمل بأحكامه الشرعية، وأنهم ••• وأنهم ••• إلى آخر المعزوفة الظالمة التي يتصيد بتلحينها أعداء الأمة الداخليون من مفرقيها ومستغليها وجلاديها تعاوناً مع العدو الخارجي (الاستعمار) الطامع بالاستيلاء على موارد وطننا الوافرة، باعتماده على الأعداء الداخليين المتآمرين معه لتمزيق وحدتنا الحياتية التي يحتمها الوطن واللغة والتاريخ والدين•••

وفى جميع هذه المناسبات الآنفة الذكر كنت ولا أزال اضطر إلى القيام بمجادلات، ومناظرات، ومراسلات، لأدفع بالتي هي أحسن اتهامات ظالمة، ولأثبت بالحجة والبرهان أن (العلويين)، هم مسلمون جعفريو المذهب، وأن فيهم أعلاماً يعلمونهم معارفهم وعباداتهم ومعاملاتهم الإسلامية معتمدين في ذلك أمهات الكتب الفقهية الجعفرية التي يعتمدها المسلمون الإماميون (الاثناعشريون) سواء بسواء•••

لهذا رأيت من واجبي (الديني الوطني الاجتماعي) نحو إخواني في الإيمان والإسلام والعروبة الشاملة، والإنسانية الأكثر شمولاً واتساعاً، أن أنشر هذه الرسالة الموجزة آملاً أن يتخذ منها المخلصون رداًّ قاطعاً على الشائعات المغرضة التي يستأنف ترويجها ضدَّنا في هذه السنوات الأخيرة الصهاينة والمستعمرون والملحدون

والمستغلون[312].

معركة حماة (1982)

ظلت المواجهات الطائفية بين مجاهدي الإخوان المسلمين ونظام البعث المسيطَر عليه من قِبل العلويين مشتعلة لتصل إلى ذروتها في حماة في فبراير (شباط) 1982 في أدمى مكاشفة شهدها تاريخ سوريا الحديث. لقد كانت مدينة حماة بمثابة حصن تقليدي للقوات الأصولية الإسلامية، حيث قام مجاهدو الإخوان المسلمين بتحصين أنفسهم داخل شبكة واسعة من المخابئ المزودة بالسلاح. ووفقاً لتقرير تفصيلي في 400 صفحة بعنوان "حماة، مأساة العصر" نشره الإخوان المسلمون فيما بعد، فإن النظام السوري كان يخطط لتمشيط مدينة حماة، ضاحية ضاحية، باتباع أسلوب كان قد سبق تطبيقه في العديد من المدن السورية مثل حلب وحمص وحماة نفسها، قامت فيه السلطات بمحاصرة مناطق بأكملها والقيام باعتقالات جماعية مع قتل العديد من الأفراد في هذه الأثناء. والفرق في حماة في فبراير (شباط) 1982

---

[312] الشيخ عبد الرحمن الخير، عقيدتنا وواقعنا نحن المسلمين الجعفريين "العلويين"، دمشق، الطبعة الثالثة، 1992، ص 15–18 . (تم الانتهاء من نص الكتاب عام 1972 وظل على شكل مخطوط لمدة حوالي عشرين عاماً حتى قام ابن المؤلف، هاني الخير، بنشر الطبعة الأولى في دمشق عام 1991 بعد وفاة والده . انظر: من تراث الشيخ عبد الرحمن الخير: نقد وتقريظ كتاب العلويين، دمشق، 1992، ص 7). وفى مراجع كتاب عقيدتنا وواقعنا نحن المسلمين الجعفريين "العلويين" تحتل دراسة هاشم عثمان، العلويون بين الأسطورة والحقيقة، الصدارة في المنشورات المذكورة بعد الدراسات الأولى للشيخ الخير نفسه. ومن هنا يمكن استنتاج أن الدوائر العلوية الدينية الرسمية اعتبرت دراسة هاشم عثمان عملاً جاداً.

انظر أيضاً: من تراث الشيخ عبد الرحمن الخير: رسالة تبحث في مسائل مهمة حول المذهب الجعفري: (العلوي)، دمشق، الطبعة الثالثة، 1994 .

لقد كان نشر كتاب رسمي حول العقيدة العلوية على غرار كتاب الشيخ الخير امراً غير عادى منذ ثلاثين عاماً مضى. ففي أثناء مناقشة دارت عام 1963 بين سامي الجندي، وزير الإعلام آنذاك، ورئيس الأركان العلوي القوى اللواء صلاح جديد، اقترح الأول أن يقوم العلويون بنشر كتب عقيدتهم السرية كحل للعمل على الحد من الأفكار الخاطئة المتداولة حول العلويين في سوريا، وبالتالي حل مشكلة الطائفية. ورد عليه جديد بالقول: "لو فعلنا لسحقنا المشايخ" (العلويون). انظر سامي الجندي، البعث، ص 144– 145 .

هو أن المواجهة بين النظام وقوات المعارضة الأصولية الإسلامية انقلبت إلى مواجهة مسلحة وثورة شملت مدينة بأسرها وكل سكانها، واستمرت المعارك مشتعلة في حماة على مدى شهر تقريباً (من 2 إلى 28 فبراير (شباط) 1982)، حيث اتسمت بأقصى وسائل العنف وسفك الدماء والتخريب، وهو ما لم تشهده سوريا من قبل، وتراوحت تقديرات عدد القتلى بين 5000 و25000، معظمهم ضحايا من سكان حماة نفسها. وبالنظر إلى التقديرات العليا نجد أن حوالي 10٪ من مجموع السكان البالغ حوالي 200،000 نسمة قد قُتل، فقد تم قذف ودك أحياء بالكامل كانت تكتظ بالسكان، بما فيها الجوامع والأسواق وشبكات الطرق[313].

---

[313] المكتب الإعلامي للإخوان المسلمين، "حماة، مأساة العصر"، قام بنشره التحالف الوطني لتحرير سوريا، غير مذكور المكان والتاريخ. والسرد الآتي يستند أساساً على هذا التقرير، بجانب "مجزرة حماة" (القاهرة، غير معلوم التاريخ)،

Patrick Seale, Asad, pp. 332– 334,

وبيانات رسمية صادرة عن السلطات السورية. انظر أيضاً

Thomas Friedman, From Beirut to Jerusalem, London, 1989, chapter 4: "Hama Rules", pp. 76 105; David Roberts, The Ba'th and the Creation of Modern Syria, London, 1987, p. 128; Raymond Hinnebusch, Authoritarian Power and State Formation in Ba'thist Syria, pp. 291–300;

محمود صادق، حوار حول سوريا، ص 37- 39؛

Fred H. Lawson, "Social Bases for the Hamah Revolt", Merip Reports, November/December 1982, pp. 24–28; & Hanna Batatu, "Syria's Muslim Brethern", Merip Reports, November/December 1982, pp. 12–23.

وفقاً لما جاء في "مجزرة حماة"، ص 20 - 23، فإن سكان حماة قد عانوا من شتى أشكال القمع في سنوات ما قبل 1982؛ وفى "نيسان (ابريل)، ربيع الدم (1981)" كما اطلقت عليه الدراسة، فإن فرق الموت التابعة لسرايا الدفاع قامت بإعدام أكثر من 200 شخص، بما في ذلك عائلات بأسرها في ضواحٍ مختلفة من حماة. ويبدو حسب تقرير "مجزرة حماة" أن كشوفات القتلى ضمت بعض الأعضاء العاملين بحزب البعث الذين كما روى أهالي هؤلاء "... فقد اظهروا جميعهم البطاقات الحزبية للجنود الذين كانوا يرتكبون المذبحة ... لكنها لم تشفع لهم ... وكانوا في عداد الضحايا المرمية في الشوارع". وخلال نقاش حاد جرى بناء على طلب فرع الحزب الحموي مع وفد حزبي رفيع المستوى تم إيفاده من دمشق، طلب أعضاء الحزب الحمويون تفسيراً لقيام سرايا الدفاع التي يسيطر عليها العلويون بقتل الحمويين المعارضين للنظام بجانب أعضاء الحزب المدنيين: هل كانوا يعتزمون قتل الحمويين علناً؟ إلا أنه يبدو أن الوفد القادم من دمشق قد رفض إعطاء تفسير مُرضٍ، وقد تم التبليغ عن إعتقال كل الأعضاء الحمويين الذين أبدوا الإعتراضات خلال الإجتماع وأعربوا عن شكوكهم في نوايا النظام. انظر أيضاً:

Middle East Watch, Syria Unmasked, pp. 17–18.

ووفقاً لتقرير الإخوان المسلمين، فإن النظام السوري كان قد تأهب للمعركة عن طريق تركيز صفوة العسكريين العلويين حول المدينة، وذلك من أجل شن هجوم مسلح واسع المدى فيما بعد ضد قوات المعارضة (السنية). وقد شملت قوات النظام وحدات من سرايا دفاع رفعت الأسد بقيادة المقدم العلوي علي ديب في حماة، بجانب وحدات من كلٍ من القوات الخاصة التابعة للواء العلوي علي حيدر، واللواء (47) المدرع بقيادة العقيد العلوي نديم عباس (والتي كانت تشكل جزءاً من الفرقة المدرعة الثالثة بقيادة اللواء العلوي شفيق فياض)، واللواء (21) الميكانيكي المدرع بقيادة العقيد العلوي فؤاد اسماعيل، ووحدات المخابرات العسكرية بقيادة العقيد العلوي يحيى زيدان، وأيضاً الكتائب الحزبية المسلحة التابعة للبعث. وتراوحت تقديرات القوات المشتركة على جانب النظام السوري بين 12000 و 25000[314]. لقد اندلعت معركة حماة في 2 فبراير (شباط) 1982 عندما قامت قوات النظام أثناء عملياتها لتمشيط المدينة بمحاصرة جماعة من مجاهدي الإخوان المسلمين، وبالتالي قررت الجماعة شن هجوم مضاد شامل[315].

وفى حين أن الإخوان المسلمين قد ادعوا فيما بعد أنه قد تم تحريضهم للقيام بهذه المواجهة الشاملة وأنهم كانوا في حالة دفاع عن النفس، إلا أنهم في مناسبات سابقة بما في ذلك "بيان الثورة الإسلامية" الذي نشروه قبل ذلك بأكثر من عام أعلنوا انه "لن نهادن ولن نلقى السلاح، وسنمضى في طريقنا ... حتى ينهار هذا النظام". وعندما شن مجاهدو الإخوان المسلمين هجومهم المضاد أعلنوا عن ثورة إسلامية واسعة النطاق ضد نظام البعث وذلك من خلال الدعوة للجهاد عن طريق مكبرات الصوت في مساجد حماة. لقد اقتحموا المنازل وقتلوا 70 من المسؤولين والقادة الحزبيين على وجه التقريب، كما هاجموا أقسام الشرطة ونهبوا السلاح في محاولة للاستيلاء على السلطة في المدينة التي أعلنوا في اليوم التالي انها قد "تحررت". وخلال اليوم الأول قام مجاهدو الإخوان المسلمين بمحاصرة منزل محمد حربا، محافظ حماة، ومنازل قادة في الأمن والجيش والحزب أمثال أحمد الأسعد، امين فرع حزب البعث في حماة

---

[314] حماة، مأساة العصر، ص 149، فيها يُقدر العدد بحوالي 25000، أما روبرت فِسك، أول المراسلين الأجانب الذين زاروا حماة أثناء المعارك، فيقدر العدد بحوالي 12000 .

The Times, 19 February 1982.

[315] حماة، مأساة العصر، ص 25 ، 32، 51 ، 57، 65، 143 ، 160 .

والذين استطاعوا أن يصمدوا حتى نجحت قوات الأمن في اختراق المدينة والوصول إليهم. ورغم أن نظام البعث قد جابه العديد من التمردات السابقة في مدن كدمشق وحلب وحمص وحماة نفسها، إلا أن عصياناً مدنياً كاملاً بهذه الأبعاد أبداً لم يحدث طوال الحكم البعثي في سوريا[316]. وقد وصف باتريك سيل هذا الوضع الحرج بالآتي:

لقد مرت دمشق بلحظة من الذعر عندما ثارت حماة، فقد تزعزع النظام ذاته. وبعد قتال دام خمس سنوات طويلة فشل النظام في إخماد شبكة سرية قامت باغتيال صفوة الطبقة العلوية المحترفة ووصمت رئاسة الأسد بعدم الشرعية. لقد محا الخوف والكراهية ونهر الدماء المسفوكة أي فكرة لهدنة، فقد كانت حماة بمثابة المعركة الفاصلة التي لا بد لأحد أطرافها أن يفوز ويحدد بشكلٍ أو بآخر مصير هذه الدولة. لقد أدرك كل عامل حزبي ومظلي مبعوث إلى حماة أنه لا بد في هذه المرة من اقتلاع النضالية الإسلامية من المدينة، مهما كان الثمن. وقد يسهل تفسير الوحشية التي تم بها معاقبة هذه المدينة في ضوء اعتبار أن هذا هو الفصل الأخير في معركة طويلة ومستمرة، وقد رقدت خلف هذا الصراع طبقات وطبقات من العداء بين الإسلام والبعث، بين السنيين والعلويين، بين المدينة والريف[317].

لقد تم اختبار الولاءات في حزب البعث والقوات المسلحة ومؤسسات الأمن الأخرى المتورطة في المواجهة المسلحة إلى أقصى الحدود. وكما حدث في مناسبات سابقة، حاول مجاهدو الإخوان المسلمين إثارة استقطاب طائفي بين العلويين والسنيين داخل القوات المسلحة بغية جذب السنيين لجانبهم، نظراً لكونهم الأغلبية في الجيش النظامي، إلا أن صفوة العسكريين المتورطين في المواجهة كانوا أساساً من العلويين. وباستثناء بعض الأحداث الفردية استطاعت قوات النظام أن تصمد وتحافظ على الإنضباط بشكل عام داخل القوات المسلحة النظامية. ووفقاً للإخوان المسلمين فإن جميع العسكريين من أصل حموي قد تم طردهم من الوحدات الهامة مثل اللواء (21) الميكانيكي المدرع واللواء (47) المدرع، وذلك قُبيل هجومهم على مدينة حماة في فبراير (شباط) 1982 [318]. وقد وصف التقرير التنظيمي لحزب البعث

---

316 Seale, Asad, p. 332.

317 Seale, Asad, pp. 332 – 333.

318 حماة، مأساة العصر، ص 56 -57، 65 -66، 143 -160 .

لعام 1985 عملية الحفاظ على التضامن والتماسك داخل صفوف القوات المسلحة وكأنه لم تحدث أية أحداث خطيرة تمس الإنضباط على الإطلاق:

وهذا كله ظهر جلياً في الدور البطولي لهؤلاء الرفاق عند التصدي لعصابة الاخوان المسلمين المجرمة العميلة واقتلاع جذورها وتخليص الوطن من جرائمها وآثامها دون أن تظهر أية مخالفة أو أي مظاهر تردد في تنفيذ التعليمات أو أية شاذة داخل صفوفه رغم وجود نسبة لا بأس بها من مرتبات هذه القوات غير منتسبة للحزب، فشكل ذلك صفحة ناصعة في تاريخ قواتنا المسلحة أظهرت تماسكها ووحدتها الداخلية[319].

بيد أن البيان السابق لا يعنى أن قوات النظام لم ترتكب أعمالاً وحشية واسعة النطاق خلال استيلائها على المدينة، حيث تم استخدام الدبابات والمدفعية الثقيلة وقاذفات الصواريخ والهليكوبتر. وفى الواقع، كان هناك تقاعس عن الأوامر العسكرية في أحيان مختلفة.

ورغم أن تقرير الإخوان المسلمين حول أحداث حماة لا يذكر أي انشقاق طائفي حاد بين صفوف العسكريين البعثيين في ذلك الوقت، إلا أنه يسرد عدة أحداث قامت فيها قوات النظام على زعمهم بقتل بعثيين سنيين من مدينة حماة فقط لإنتمائهم لها، بغض النظر عن كونهم من مؤيدي النظام أو من مُخبريه[320].

وطبقاً لتحليل الإخوان المسلمين للعمليات العسكرية ضد حماة، فإن القيادة العسكرية السورية قد اتخذت تدابير وقائية دقيقة لمنع وقوع عصيان جماعي داخل الجيش ضد النظام، وذلك عن طريق الحفاظ على توازن طائفي معين في الوحدات الهامة المحيطة بالمدينة. وفى جميع الحالات بقيت سرايا الدفاع العلوية أساساً والتابعة لرفعت الأسد عل مقربة حتى تتمكن من التدخل السريع إذا لزم الأمر. وطبقاً أيضاً

---

[319] التقرير التنظيمي 1985، ص 371–372.

[320] حماة، مأساة العصر، ص 73-74، 92، 94، 151، 279-284؛ قارن مجزرة حماة، ص 20 – 23.

لتحليل الإخوان المسلمين، فإن النسبة بين العلويين والسنيين داخل الوحدات المسلحة المتنقلة المحيطة بحماة كانت تحكمها عوامل سياسية استراتيجية. وهكذا، نجد أن جنود اللواء (47) المدرع تصل نسبتهم افتراضاً إلى 70٪ من غير العلويين و30٪ من العلويين المخلصين للنظام، أما النسبة بين ضباطه فهي على عكس ذلك: 70٪ من العلويين و30٪ من غير العلويين. كما نجد أن اللواء (21) الميكانيكي المدرع الذي يضم افتراضاً نسبة من الضباط العلويين تفوق 80٪، فإن النسبة بين جنوده كانت تقدر بحوالي نفس نسبة اللواء (47): أي، 70٪ من غير العلويين و30٪ من العلويين. لقد قدر الإخوان المسلمون العنصر العلوي في القوات الخاصة التابعة للواء علي حيدر بنسبة 45٪ بين الجنود و95٪ بين الضباط. أما نسبة العلويين بين سرايا الدفاع التابعة لرفعت الأسد فكان من المفترض أنها الأعلى: حيث تم تقدير الجنود والضباط فيها بحوالي 90٪ من مجموع القوات. وطبقاً لتحليل الإخوان المسلمين، فإن المقصود بالتمثيل العلوي القوى هو تحاشى احتمالات أي عصيان عسكري واسع النطاق:

إن هذا التوزيع بهذه النسب، يشير إلى خوف السلطة من حصول أعمال تمرد تقوم بها بعض التشكيلات والقطعات والوحدات، حيث تصبح إمكانية التمرد الجماعي استناداً إلى النسب المذكورة أمراً متعذراً. فالتمرد الجماعي يقوده مجموعة من الضباط المتفاهمين والمنسجمين في أسلوب التفكير، والمتجانسين في الأرضية الإجتماعية، وهذا ما تم ضربه تماماً. ولما كانت السلطة تخاف، حتى من عناصر الطائفة غير الموالين لعائلة أسد، اختلف التوزيع العشائري في الوحدات الخاصة وسرايا الدفاع، وقد اختير عناصر سرايا الدفاع من عائلة أسد وأقربائها والموالين لها حصراً، بحيث باتوا يشكلون أكثر من ثمانين بالمائة من حجم السرايا كلها.
هذه السلسلة من النسب، والتي يدخل ضمنها ضباط أمن، وصف ضباط أمن، وأفراد أمن سريون قد جعلت من المتعذر القيام بتمرد جماعي، وإن حصل فإن سرايا الدفاع جاهزة لإحباط هذا التمرد في الوقت المناسب، بحكم كونها مشاركة في عملية الحصار، وبحكم قربها من مسرح العمليات في المدينة ... [321].

---

[321] حماة، مأساة العصر، ص 150-151 . انظر ايضاً

Batatu, 'Some Observations on the Social Roots of Syria's Ruling, Military Group and the Causes for its Dominance', The Middle East Journal, Vol. 35, Summer 1981, p. 332,

الذي يقترح أنه من المحتمل جداً أن تكون أعداد هائلة من ضباط الصف وجنود سرايا الدفاع وسرايا الصراع منتمية لعشيرة الرئيس حافظ الأسد ذاتها، أي الكلبية. "لقد تم اختيار أعضاء هذه الوحدات بحرص بالغ، ومن المستبعد أن يكون الاختيار قد تم بعيداً عن أقارب حافظ الأسد، ويُقال إن العديد منهم من قرية القرداحة وهى مسقط رأسه ... إلا أن الأسد بالطبع لا يعتمد كلية على عشيرته."

ويبدو أن الوضع داخل صفوف المدنيين في حزب البعث قد اختلف تماماً: فقد كان التماسك والتضامن أقل بكثير مما هو عليه في الجيش، وهذا ما يمكن استنتاجه من أن أكثر من نصف (52٪) الأعضاء الأنصار الذين تم فصلهم عام 1982 من جهاز الحزب السوري كانوا من فرع حماة[322].

وبعد المواجهة التي وقعت في حماة وسحق معاقل الإخوان المسلمين هناك، أصبح واضحاً أن معارضة النظام قد نالت ضربة قوية. وبعد قمع ثورة حماة بوقت قليل تم تأسيس "التحالف الوطني لتحرير سوريا"، والذي تكوَّن من عدد من الجماعات المعارضة، بما في ذلك الإخوان المسلمون وبعثيون سوريون موالون لنظام البعث ببغداد[323]. وقد ظل هذا التحالف الذي تغير اسمه عام 1990 ليصبح "الجبهة الوطنية لإنقاذ سوريا" ضعيفاً عاجزاً[324].

وفى مارس (آذار) 1982، خلال الذكرى الأولى لثورة الثامن من آذار وبعد مواجهة حماة، قام الرئيس حافظ الأسد في خطاب له بقذف الإخوان المسلمين الذين تم سحقهم:

أيها الإخوة المواطنون : الإخوان المسلمون مصيرهم كما قال الله تعالى :
(إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون) وقال: (يوم هم على النار يفتنون) (ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون) صدق الله العظيم...

إنهم مجرمون بحق الدين والدنيا، بحق الشعب، بحق الله، أين هم من الإسلام؟ أين هم من القرآن؟ أين هم

---

[322] التقرير التنظيمي 1985، ص 37، جدول 3 .

[323] أذاعت إذاعة بغداد في 22 مارس (آذار) 1982 ميثاق التحالف الوطني لتحرير سوريا. وقد انضم حمود الشوفي، أمين عام القيادة القطرية السورية الأسبق (1963) إلى التحالف الوطني في مارس (آذار) 1982 .

[324] إذاعة بغداد، 22 مارس (آذار) 1982؛

Raymond Hinnebusch, Authoritarian Power and State Formation in Ba'thist Syria, pp. 297–299; Eberhard Kienle, Ba'th vs Ba'th, pp. 160–161; Thomas Mayer, "The Islamic Opposition in Syria, 1961–1982", Orient, Vol. 24, No. 4, December 1983, pp. 604–609.

من قول الله؟ إن الله تعالى قال في كتابه الكريم: (من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض، فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) فهل قتلوا نفساً بنفس؟ أو من أجل فساد في الأرض؟ •••

لن نسمح لهم على الإطلاق بتدمير إسلامنا، لن نسمح لهم إطلاقاً بتشويه قيمنا، لن نسمح لهم أبداً بتشويه تراثنا، الإسلام هو إسلام النضال العنيد ضد كل أشكال الامبريالية، الإسلام هو كفاح لا يعرف التردد ضد الرجعية، ضد الاستعمار، هو وقوف ثابت ومستقر ونضال دائب وعنيد إلى جانب كل المظلومين وكل الكادحين في أمتنا، وفي كل مكان على وجه الأرض•••

ليمت أعداؤنا، ليمت أعداء الله، ليمت أعداء الشعب، ليمت الاخوان المفسدون، الذين باعوا أنفسهم بالدولار والدينار، ولتعيشوا أنتم وليعش هذا الشعب•••

الإسلام دين يدعو إلى المحبة والتسامح وتقدم الشعوب وعدالتها، وكل الذين ينادون بالإسلام أو يفهمون الإسلام على حقيقته سيلتقون معنا وسنلتقي معهم، وسيجدون منا كل الدعم•

نحن فقط ضد بعض الجماعات التي ترفع شعار الإسلام وتحاول تفسيره بما ليس فيه، بل بما يتناقض معه تناقضاً جذرياً، والتي تصور الإسلام على أنه عائق ضد تقدم الحياة وضد العدالة وضد تيار الحياة البشرية الصاعد، وهكذا نفهم الأمر، لذلك لا نجد مشكلة بالنسبة إلينا، ونحن نلتقي وندعم المسلمين الحقيقيين، ونقف ضد من يحاول تشويه الإسلام[325]•

إن سحق معاقل الإخوان المسلمين لم يكن يعني بالضرورة أن العلاقات بين الطوائف قد هدأت، فبرغم تسديد ضربة قوية للمعارضة الإسلامية الأصولية، إلا أن التوترات الطائفية بين السنيين والعلويين كانت على أشدها• ومن المحتمل أن يكون القمع الجماعي الذي وقع في حماة قد زرع بذور الصراع والانتقام المستقبلي[326]•

---

[325] إذاعة دمشق، 7 مارس (آذار) 1982؛ مصطفى طلاس (المحرر)، كذلك قال الأسد (الطبعة السادسة المزيدة)، دمشق 1993، ص 311 -312•

[326]

Raymond Hinnebusch, Authoritarian Power and State Formation in Ba'thist Syria, p. 297.

انظر أيضاً:

Thomas Friedman, From Beirut to Jerusalem, pp. 100-101,

الفصل التاسع

نخبة السلطة في عهد الرئيس حافظ الأسد

على مدى الخمسة والعشرين عاماً، منذ أن تولى حافظ الأسد السلطة واقعياً عام 1969/1968 ورسمياً عام 1970 لم يحدث سوى تغير طفيف في بنية السلطة داخل النظام السوري• فمعظم الضباط العلويين البارزين الذين ذُكروا آنفاً كقادة في مراكز رئيسية بالقوات المسلحة والأمن والمخابرات في أوائل السبعينات ومنتصفها ظلوا يتقلدون نفس مراكزهم، او مراكز مشابهة، بعد مرور عشرين أو خمسة وعشرين عاماً• وهذا يعني أن النظام يتسم بدرجة عالية من الاستمرارية، كما يعني أن أهم أنصار الأسد ظلوا مخلصين له، بحيث لم يشعر الرئيس على مدى أكثر من عشرين عاماً بالحاجة إلى إجراء تغيرات جذرية داخل جهاز السلطة• إن تسلط فكرة الولاء على الأسد أتت بنتائجها على المدى القصير والطويل، حيث لم يكن هناك حاجة لإجراء تصفيات جوهرية في القوات المسلحة السورية منذ عام 1970، باستثناء إبعاد شقيقه رفعت، والذي سنتناوله فيما بعد• إن رغبة الرئيس حافظ الأسد في الاستمرارية، ونفوره الشديد من تغيير الوجوه المحيطة به، إنطويا أيضاً على الوضع الشاذ الذي نجد فيه معظم قادة الجيش، حالهم حال الرئيس، قد وصلوا في منتصف التسعينات إلى السن حوالي سن الستين التي كان لا بد لهم فيها أن يكونوا قد تقاعدوا منذ زمن لو أن الظروف كانت عادية[327]•

الذي يطرح بشيء من الإدراك المؤخر الحُجج بأن مجزرة حماة يمكن اعتبارها ضمن أمور أخرى "رد فعل طبيعياً لسياسي (أي، الرئيس حافظ الأسد) في دولة وطنية حديثة نسبياً، يسعى للتطوير والتحديث، ويحاول ضرب عناصر متراجعة في هذه الحالة الأصوليون الإسلاميون تبغي تقويض كل ما حققه نحو بناء سوريا لتصبح جمهورية علمانية مواكبة للقرن العشرين• لذلك، لو أن أحداً حاول إجراء اقتراع موضوعي في سوريا بعد مجزرة حماة، فإن أسلوب الأسد في معالجة العصيان كان محتملاً أن يحظى بتأييد قوى، حتى بين العديد من المسلمين السنيين• وربما قالوا "إن شهراً واحداً من حماة أفضل من أربعة عشر سنة من الحرب الأهلية، كما هو الحال في لبنان""•

[327] حول تسلط فكرة الولاء على الأسد انظر

الأخوة الأسد

والمرة الوحيدة منذ أوائل السبعينات التي تخلخل فيها النظام داخلياً كانت في نوفمبر (تشرين الثاني) 1983، عندما اشتد المرض بالرئيس حافظ الأسد وبدت مسألة الخلافة أمراً خطيراً[328]٠ وقد اعتمدت تماماً بنية السلطة التي شيدها الرئيس الأسد عليه شخصياً والآن بدت وكأنها تنهار بدونه٠ لقد أصدر الأسد وهو على فراش المرض أوامره بتشكيل لجنة سداسية منوط بها إدارة الأمور اليومية ومكونة من: وزير الخارجية عبد الحليم خدام، الأمين العام المساعد للقيادة القومية لحزب البعث عبد الله الأحمر، وزير الدفاع مصطفى طلاس، رئيس الأركان حكمت الشهابي، رئيس الوزراء عبد الرؤوف الكسم، وزهير مشارقة الأمين العام المساعد للقيادة القطرية لحزب البعث (جميعهم سنيون)٠ وقد بدا اختيار هؤلاء الرجال في حد ذاته أمراً طبيعياً، فبعد الرئيس كان ترتيبهم رسمياً ضمن أعلى الأعضاء بالقيادة القطرية لحزب البعث، كما كانوا يحتلون أعلى المناصب، سواء داخل جهاز حزب البعث أو الحكومة أو القوات المسلحة[329]٠ بيد أن الأمر غير الطبيعي هو عدم تعيين رفعت الأسد والذي كان أيضاً ترتيبه

Patrick Seale, Asad, p.149.

ويمكن ملاحظة أن الحكام المستبدين في العالم العربي الذين صمموا على الولاء التام ظلوا في السلطة فترات أطول عن غيرهم ممن لم يفعلوا هذا٠

ولد الرئيس حافظ الأسد في 6 أكتوبر (تشرين الأول) 1930 ٠ ويكاد ألا يكون هناك تفاصيل حول الضباط التابعين "للحرس القديم" الذي كان يضم أعلى الرتب، بيد أنه لا بد من الإشارة إلى أن بعضاً من هؤلاء الضباط من ذوى الرتب العليا كانوا قد تقاعدوا ليقوم الرئيس الأسد باستدعائهم للخدمة في مراحل لاحقة، وذلك على ما يبدو لثقته الكبيرة فيهم، حيث كان يفضلهم في ذلك الوقت عن خلفائهم الأصغر سناً٠

[328] السرد التالي حول الاسد واخوته يعتمد إلى حد بعيد على

Patrick Seale, Asad, Chapter 24, "The Brothers' War", pp. 421– 440.

وتقدم دراسة سيل أكثر التحليلات إبداعاً وتفصيلا، وتستند إلى مقابلات موسعة مع الأشخاص المعنيين، بمن فيهم الرئيس حافظ الأسد ذاته٠ انظر أيضاً:

Alasdair Drysdale, "The Succession Question in Syria", The Middle East Journal, vol. 39, no. 2 (1985), pp. 246–262;

ومحمود صادق، حوار حول سوريا، ص 216 – 222 ٠

[329] جاء القرار الرسمي للرئيس في ذلك الحين مطابقاً للصورة التي رسمها لشخصه فيما بعد أثناء إحدى المقابلات مع

ضمن أعلى عشرة مراكز بالحزب في اللجنة السداسية التوجيهية، رغم أن رفعت الأسد كان أقوى أعضاء القيادة القطرية بدون منازع بعد الرئيس نفسه، وكان يتمتع بقاعدة رائعة داخل القوات المسلحة المكونة من سرايا دفاعه ذات الأسلحة الثقيلة والبالغ عددها 55،000 وربما كانت هذه السرايا نظرياً تتبع رئيس الأركان أو وزير الدفاع. أما عملياً فالأمر لم يكن هكذا، فقد كانت هذه السرايا تتصرف كتشكيلات مستقلة. وقد يكون لهذا السبب، بجانب تصرفات رفعت التي تتسم بالتهور وعدم الحنكة والفساد، أن تقاعس الرئيس عن اختياره عضواً في اللجنة السداسية.

ومن المحتمل أن الرئيس الأسد، بالنظر إلى أخلاق رفعت، لم يكن يرغب في أن يخلفه شقيقه في الحكم. لذلك، بدا من الأفضل عدم إدراجه ضمن اللجنة السداسية. وعلاوة على ذلك، لم يتم أيضاً إدراج اللواءات العلويين البارزين الآخرين، بغض النظر عن أن استمرار النظام بدون حافظ الأسد كان يعتمد بالضرورة عليهم وعلى رفعت.

وخوفاً من احتضار الرئيس، شعر أقوى اللواءات العلويين بالقلق تجاه التغيرات التي قد تجلبها وفاته، فاتجهوا حسب دراسة سيل لرفعت كي يقودهم باعتباره البديل الأفضل في ظل هذه الظروف الطارئة[330]. ويبدو أن اللواءات العلويين كانوا غير راضيين عن اللجنة السداسية التي عينها الرئيس الأسد، واعتبروا أعضاءها صوريين فقط لا غير. وبتحريض من اللواءات العلويين، وفى غياب الرئيس حافظ الأسد، انعقد اجتماع كامل للقيادة القطرية السورية وتقرر خلاله أن تحل القيادة محل لجنة الأسد السداسية. وهكذا، عاد رفعت الأسد رسمياً إلى قلب الأحداث. وفى هذه الأثناء بدأ الرئيس في استرداد صحته بشكل غير متوقع، واستاء كثيراً من تصرف اللواءات العلويين الذين حادوا عن الطاعة الواجبة. وقد أخطأ رفعت في تفسير إلتفاف اللواءات العلويين حوله على أنه إلتزام تام بقيادته. وعلى هذا الأساس

باتريك سيل، عندما علق قائلا: "لقد كنت دائماً رجل مؤسسات". انظر

Patrick Seale, "Asad: Between Institutions and Autocracy", in: Richard T. Antoun and Donald Quataert (eds.), Syria: Society, Culture and Policy, New York, 1991, p. 98.

[330] طبقاً لرواية أخرى، فإن اللواءات العلويين، بمن فيهم علي دوبا وعلي حيدر وابراهيم صافي وشفيق فياض، أيدوا رفعت ظاهرياً ولكنهم في الواقع كانوا يستعدون لمنعه من تقلد زمام الحكم وخلافة شقيقه كرئيس. انظر: محمود صادق، حوار حول سوريا،

ص 218 – 219 .

أخذ يستعد لتقلد زمام الحكم بعد شقيقه في حالة وفاته. بيد أنه مع استرداد الرئيس لصحته لم يقم اللواءات العلويون بإسقاط تأييدهم لرفعت فحسب، بل بدءوا يعتبرونه مصدر تهديد لهم. وكان من بين اللواءات العلويين الذين إلتفوا في البداية حول رفعت قائدا الفرق العسكرية شفيق فياض وابراهيم صافي، ونائب رئيس الأركان العماد علي أصلان، وقائد قوات الدفاع الجوى العميد علي الصالح. والآن بدأ كل هؤلاء التحرك ضد رفعت، ومع بداية عام 1984 شرعوا في التخطيط لكبحه. وبعد اكتمال شفاء الرئيس حافظ الأسد أدلى بتعليماته للعماد علي دوبا رئيس شعبة المخابرات العسكرية بوضع رفعت وأهم أنصاره تحت المراقبة، بينما أمر علي حيدر قائد القوات الخاصة وأيضاً شفيق فياض بإحضار وحداتهم العسكرية إلى دمشق لتكون بمثابة الثقل الموازن لسرايا الدفاع التابعة لرفعت. وعقد الرئيس العزم على الحد من سلطة رفعت، الذي بدوره حاول وسط انزعاجه الشديد أن يحمى ما تبقى له من سلطة.

وفى نهاية فبراير (شباط) 1984، جابهت وحدات مدججة بالسلاح من سرايا الدفاع التابعة لرفعت الأسد القوات الخاصة التابعة لعلي حيدر والحرس الجمهوري تحت قيادة عدنان مخلوف، من جانب آخر، في مواقع استراتيجية بقلب العاصمة. وبدت سوريا وكأنها على حافة حمام دم. واجتمعت القيادة القطرية في جلسة طارئة للبحث عن مخرج من تلك الأزمة الداخلية، ووافقت أخيراً على أن يكون الحل هو ما نص عليه القرار الجمهوري الصادر في 11 مارس (آذار) 1984 بتعيين ثلاثة نواب للرئيس: أولا عبد الحليم خدام، ثانياً رفعت الأسد، ثالثاً زهير مشارقة. إلا أن ترقية رفعت الأسد نائباً للرئيس كانت في الواقع إنزالا لدرجته، حيث أصبحت مهامه غير محددة وتم نزع قيادة سرايا الدفاع منه بمقتضى قرار جمهوري آخر. ورفض رفعت الإذعان للوضع الجديد وقرر في 30 مارس (آذار) 1984 أن يصدر تعليماته لسرايا الدفاع التي كانت لا تزال بالفعل تحت سيطرته بالتوجه بالقوة إلى دمشق والإستيلاء على السلطة. وقد تم نشر سريع لدبابات اللواء المدرع التابع لشفيق فياض وجنود الصدام بالقوات الخاصة التابعة لعلي حيدر لمنع انقلاب رفعت. ولم يكن من الممكن تجنب مواجهة دامية وإرغام رفعت على التخلي عن موقفه إلا بالتدخل الشخصي للرئيس الأسد[331]. وأخيراً في 28 مايو (ايار) 1984 تم نفى سبعين ضابطاً كبيراً بالطائرة بعيداً عن سوريا حتى تهدأ الأمور، وكان من بينهم رفعت الاسد وعلي حيدر وشفيق فياض. ولم يكن يعلم أي منهم متى سيعود، فالأمر كان يتوقف تماماً على الرئيس. وفى الواقع، تم

[331] نزل الرئيس الأسد بشخصه إلى الشوارع دون حرس أو موكب وتوجه بالسيارة لمواقع شقيقه الحصينة وأمر الضباط المسئولين بالعودة إلى ثكناتهم. ولم يكن معه سوى نجله الأكبر باسل.

(Seale, Asad, p. 433).

استدعاؤهم جميعاً، باستثناء رفعت، على وجه السرعة لمباشرة مهامهم٠ وفى هذه الأثناء تم تقليص حجم سرايا الدفاع التابعة لرفعت وإعادة توزيع أفرادها المتبقيين على العديد من الوحدات، بما في ذلك الحرس الجمهوري والقوات الخاصة، وتم إلقاء القبض على بعض أعضائها٠

وخلال فترة تواجده القوى داخل القوات المسلحة قام رفعت ببناء شبكة من المنظمات البديلة التي ترسخت داخل حزب البعث، إلا أنها ظلت مستقلة عنه في نفس الوقت، مثل رابطة خريجي الدراسات العليا٠ وضمت هذه الرابطة آلاف الأشخاص من حاملي الدرجات العلمية في جميع أنحاء سوريا، وشكلت نوعاً من المنابر المناظرة المناهضة للمؤسسات خارج حزب البعث[332]٠ وفى أعقاب الأزمة تم اتخاذ التدابير لتفكيك شبكات القوة البديلة التابعة لرفعت الأسد، وصدرت الأوامر لأعضاء حزب البعث بترك الرابطة التي تم حلها فيما بعد٠

وانتهى الصراع الطويل بين حافظ ورفعت في المؤتمر القطري الثامن لحزب البعث الذي انعقد في دمشق من الخامس وحتى العشرين من يناير (كانون الثاني) 1985 • فقد تم إعادة انتخاب رفعت رسمياً في القيادة القطرية السورية، إلا أنه في واقع الأمر ظل معزولا وسرعان ما غادر البلاد عائداً لأوروبا، ليبقى في المنفى حتى عاد إلى سوريا عام 1992 لتشييع جنازة والدته ناعسة البالغة من العمر 82 عاماً٠ ولدى عودته إلى سوريا كان رفعت لا يزال يحتفظ رسمياً بمنصبه كنائب للرئيس، إلا أنه لم يكن يقوم بأكثر من استقبال سفراء أجانب جُدد بين الحين والآخر في زيارات بروتوكولية٠ وكان يتم استبعاده من المناسبات والاحتفالات الرسمية الهامة التي كان يحضرها نائبا الرئيس الآخران، خدام ومشارقة، كما لم يظهر في الصحف التي كانت تغطى اجتماعات القيادة القطرية السورية التي هو عضو فيها بصفة رسمية[333]٠

---

[332] تم نشر نظام عمل رابطة خريجي الدراسات العليا في مجلتها الدورية "الفرسان"، دمشق، مايو (ايار) 1983، ص 37 –39 • وكان لقب رفعت الرسمي حينذاك: "الرفيق الدكتور رفعت الأسد، عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي، وقائد سرايا الدفاع، ورئيس رابطة خريجي الدراسات العليا"٠

[333] انظر مثلا الثورة وتشرين، 7 مايو (ايار) 1994؛

Robert Fisk, "Assad keeps brother in the cold", The Independent, 22 October 1992.

طبقاً لتحليل محمود صادق، حوار حول سوريا، ص 220 – 221، فإن بنية السلطة الداخلية للنظام السوري تغيرت جوهرياً لدى تفكيك سرايا الدفاع ونفى رفعت الأسد٠ فقد أصبح بالتالي من الصعب على الرئيس الأسد أن يحرض سرايا الدفاع

وفى عام 1995 كشف العماد مصطفى طلاس، وزير الدفاع السوري، عن تفاصيل في مذكراته لم تكن لتُنشر لولا وقوع رفعت الأسد في المحظور مع أخيه الرئيس حافظ الأسد. فيروى مصطفى طلاس كيف أنه وجد لدى تعيينه رئيساً للجنة الفاحصة لمدرسة المدرعات في ابريل (نيسان) 1965 أن قيادة المدرسة (ومديرها المقدم عزت جديد، العلوي) قد أعطت رفعت الأسد، شقيق اللواء حافظ الأسد، الذي كان وقتذاك قائد القوى الجوية والدفاع الجوى، "الأول على الدورة" وأعطت ابن أخ طلاس "الثاني على الدورة". وعندما شك طلاس في صحة هذه النتائج قرر أن يصحح الأوضاع ويكون "دقيقاً كحد السيف في وضع العلامات". وهكذا تراجع رفعت الأسد إلى المرتبة الحادية والثلاثين من أصل تعداد الدورة وهو سبعة وثلاثون، بينما تراجع ابن أخ طلاس إلى المرتبة الخامسة عشرة. ولم ينتقد حافظ الأسد حينذاك إنزال درجة أخيه الأصغر، بل وافق لإعتباره ذلك على وجه حق[334].

وفى أعقاب الصراع بين رفعت وحافظ سُلب أيضاً جميل الأسد، شقيق الرئيس الأصغر الآخر، من سلطته. فبناء على أوامر الرئيس تم حل "جمعية علي مرتضى" العلوية في ديسمبر (كانون الأول) 1983 التي كان قد أسسها جميل الأسد في 1981، حيث كان أيضاً عضواً بمجلس الشعب السوري. وكانت جمعية المرتضى بمثابة تجمع سياسي وراء واجهة دينية، قامت بتعبئة جزء من المجتمع العلوي عن طريق قنوات طائفية بحتة تختلف عن حزب البعث، بل وتناقضه أحياناً[335].

وغيرها من الوحدات المختارة الواحدة ضد الأخرى. بيد أنه عملياً لم تظهر فروقات حادة داخل صفوف الضباط السوريين في السنوات التي تلت استبعاد رفعت عام 1984 . بيد أن هذا لم يكن يعنى عدم امكانية ضرب صفوة الوحدات المتبقية أيضاً الواحدة ضد الأخرى.

[334] انظر مصطفى طلاس، مرآة حياتي، العقد الثاني 1958– 1968، دمشق، 1995، ص 583 –586، 893، 894 .

[335] طبقاً لمحمود صادق، حوار حول سوريا، ص 79، حاولت جمعية المرتضى تغيير عقيدة أو ما أسماه "علونة" البدو والمزارعين من الجزيرة والمناطق الصحراوية وشبه الجدباء من حمص وحماة بحجة أن سكان هذه المناطق كانوا في الأصل علويين واضطروا تحت ضغط السلطات العثمانية أن يصبحوا سنيين. وأحياناً ما كان يتم تسليح أعضاء جمعية المرتضى عن طريق سرايا الدفاع التابعة لرفعت الأسد، مما أدى لظهور عصابات مسلحة في العديد من المدن السورية، وما تبع ذلك من قلقلة للامن والاستقرار الداخلي. وقد تحمل النظام لبعض الوقت أنواعاً مختلفة من الأنشطة غير المشروعة المتسمة بالعنف التي كان يقوم بها جميل الأسد وباقي الأفراد الأصغر سناً من أسرة الأسد الموسعة، بمن فيهم فواز نجل جميل، خاصة في منطقتي اللاذقية وطرطوس. وقد تم كبح هذه الأنشطة فيما بعد ولو جزئياً والتي كانت تقوّض من سلطة

نخبة السلطة العسكرية البعثية

وبقيت الخلفيات الطائفية والإقليمية لأعضاء القيادة القطرية السورية واللجنة المركزية لحزب البعث الذين نُصبوا خلال المؤتمر القطري الثامن المنعقد في دمشق في يناير (كانون الثاني) 1985 والذين لا يزالون في الحكم في منتصف التسعينات على ما هي عليه، بمعنى وجود تمثيل قوى للغاية للضباط العلويين والشخصيات البارزة من منطقة اللاذقية على وجه الخصوص. وقام الرئيس حافظ الأسد شخصياً بتعيين اللجنة المركزية الجديدة والتي ارتفع عدد أعضائها من 75 إلى 90، ونصف هذا العدد (معظمهم مدنيون) لم يكن عضواً في اللجنة المركزية السابقة. وكما هو متوقع احتفظ معظم الأعضاء العسكريين بمقاعدهم.

لقد مثل أعضاء اللجنة المركزية العسكريون النخبة العسكرية بحزب البعث، وكانوا أبرز مؤيدي الرئيس الأسد، حيث تقلدوا أعلى المناصب العسكرية والوحدات ومؤسسات السلطة. ومن بين أشهر الأعضاء العسكريين الستة عشر باللجنة المركزية كان هناك على الأقل عشرة علوياً[336] . وكان العديد

حزب البعث وتسيء لسمعة النظام.

[336] لقد ورد أسماء الأعضاء العسكريين باللجنة المركزية الذين تم اختيارهم عام 1985 على حدة كمجموعة بالقائمة المنشورة في المناضل، العدد 180–181، فبراير (شباط) 1985، والتي ضمت بجانب الرئيس الفريق حافظ الأسد، القائد الأعلى للجيش والقوات المسلحة: 1 العماد اول مصطفى طلاس (وزير الدفاع ونائب القائد العام، سني)، 2 العماد حكمت الشهابي (رئيس هيئة الأركان، سني)، 3 اللواء إبراهيم صافي (قائد الفرقة الأولى ، علوي؛ ومنذ 1994 قائد القوات المسلحة السورية في لبنان)، 4 اللواء شفيق فياض (قائد الفرقة الثالثة ، علوي)، 5 اللواء صبحي حداد (قائد القوى الجوية، سني؛ تقاعد فيما بعد)، 6 اللواء عدنان سليمان حسن (والذي يسمى أيضاً عدنان بدر الحسن ، علوي)(قائد الفرقة التاسعة أصلا ومدير الأمن السياسي فيما بعد)، 7 العماد علي أصلان (نائب رئيس هيئة الأركان، علوي)، 8 اللواء علي الصالح (قائد قوات الدفاع الجوي، علوي)، 9 العماد علي (عيسى) دوبا (نائب رئيس هيئة الأركان ورئيس شعبة المخابرات العسكرية، علوي)، 10 اللواء علي حيدر (قائد القوات الخاصة، علوي؛ أُقيل في أغسطس (آب) 1994، وعُين اللواء العلوي علي حبيب بدلا منه)، 11 اللواء فؤاد عيسى (رئيس المخابرات المدنية، سني؛ توفى فيما بعد)، 12 اللواء مصطفى طيارة (قائد القوى البحرية، سني)، 13 العماد حسن تركماني (نائب رئيس هيئة الأركان، سني)، 14 اللواء علي ملاحفجي (قائد القوى الجوية والدفاع الجوى، سني؛ تقاعد في 1994)، 15 اللواء محمد الخولي (نائب قائد القوى الجوية ورئيس مخابرات القوى الجوية، علوي؛ عُين قائداً للقوى الجوية في 1994)، 16 اللواء محمد ابراهيم العلي (قائد الجيش الشعبي، علوي).

من الضباط العلويين المذكورين والمنتمين للدائرة الداخلية للنظام ينتمون لنفس العشيرة، أو كانت تربطهم صلة قرابة او صلة صداقة طويلة۰

وقد اسس الرئيس الأسد مبدأ أن يكون كل من وزير الدفاع ورئيس الأركان عضواً بالقيادة القطرية، بينما يكون كبار القادة العسكريين أعضاء باللجنة المركزية، بجانب كونهم أعضاء بلجنة الحزب العسكرية وتقلدهم وظائف حزبية رئيسية أخرى بالقوات المسلحة كأمناء فروع وقطاعات الحزب العسكرية[337]۰ ونتيجة لهذا التدبير أصبحت بنية السلطة الحقيقية داخل القوات المسلحة وتنظيم الحزب العسكري منعكسة بوضوح في تكوين مؤسسات حزب البعث العليا الرسمية أكثر مما كان الوضع عليه أثناء وجود اللجنة العسكرية البعثية السرية على سبيل المثال۰

وقد كان رفعت الأسد شقيق الرئيس عضواً باللجنة المركزية أيضاً، مثله مثل جميع أعضاء القيادة القطرية الجديدة الآخرين، إلا أنه لم يعد يتقلد منصباً عسكرياً، عدا كونه رسمياً نائب الرئيس لشئون الأمن الوطني۰ وقد مُنح رفعت هذا اللقب بمقتضى قرار جمهوري في العاشر من نوفمبر (تشرين الثاني) 1984، ولكن هذا لم يعن أي سلطة حقيقية۰ (المناضل، العدد 180–181، يناير (كانون الثاني) فبراير (شباط) 1985، ص 122 – 124؛ المناضل، العدد 129، يناير (كانون الثاني) 1980، ص 127– 133)۰ ومن أهم أنصار حافظ الأسد العسكريين الآخرين: اللواء محمد ناصيف خير بك ، نائب رئيس المخابرات المدنية والمسئول عن أمن دمشق، علوي؛ واللواء عدنان مخلوف ، قائد الحرس الجمهوري القوي وعدده 10،000؛ واللواء عدنان ابراهيم الأسد، قريب الرئيس المسئول عن سرايا الصراع، علوي؛ واللواء حكمت ابراهيم، مدير إدارة شؤون الضباط، علوي۰

ولتفاصيل حول شخصيات بعض أنصار الأسد المقربين انظر محمد ابراهيم العلي، الغجرية (المرابي "5")، دمشق، 1995، ص 275–294 ؛

Batatu, Hanna, The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq. A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes and of its Communists, Ba'thists and Free Officers, Princeton, 1978, pp. 191-243. Nikolaos van Dam, The Struggle for Power in Syria: Politics and Society under Asad and the Ba’th Party, London, 1996, p. 194, n.1.
Alasdair Drysdale & Raymond A. Hinnebusch, Syria and the Middle East Peace Process, p. 28; Patrick Seale, Asad, pp. 428−432; and Hanna Batatu, "Syria's Muslim Brethren", Merip Reports, November/December 1982, p. 20.

ولتفاصيل حول التركيب الطائفي للقيادة القطرية السورية التي تم انتخابها في يناير (كانون الثاني) 1985، انظر

David Roberts, The Ba'th and the Creation of Modern Syria, pp. 165−166.

فايز الناصر، مسيحي من حوران، وصفه روبرتس بالخطأ بأنه سني۰

[337] هاني خليل، حافظ الأسد، الدولة الديمقراطية الشعبية، دمشق، 1992، ص 440 ۰

جهاز حزب البعث المدني: تحليل إحصائي

يؤكد تحليل الإحصائيات الواردة بالتقرير التنظيمي (1985) النتائج الخاصة بالفترات السابقة والتي تشير إلى أن عضوية حزب البعث كانت أقل انتشاراً في المدن الكبرى كدمشق وحلب وأكثر انتشاراً في المناطق الريفية. وتؤكد جلياً مقارنة التوزيع الجغرافي لأعضاء الحزب العاملين لجميع السكان المحليين بكل منطقة التمثيل القوى لحزب البعث أثناء الثمانينات كما كان من قبل في منطقة اللاذقية (العلوية أساساً) والمناطق الريفية الجنوبية.

وكما ذُكر من قبل، ولأسباب عملية، قد تم معاملة منطقتي اللاذقية وطرطوس في هذه الدراسة كمنطقة واحدة، بيد أنه إذا ما تناولناهما على حدة كما هو الحال اليوم نستنتج الآتى من تحليل التقرير التنظيمي (انظر الجدول 8):

لدى إجراء مقارنة بين سكان مناطق معينة وعدد الأعضاء العاملين المحليين نستنتج أن حزب البعث في طرطوس كان إحصائياً "ممثلا أكثر من المتوسط" بدرجة 201٪ (أي، هناك ضعف عدد أعضاء الحزب المتوقع وجودهم على أساس التعداد المحلي لو أن حزب البعث كان موزعاً بالتساوي على جميع سكان سوريا)، وفى اللاذقية بنسبة 146٪ . ويمكن تفسير النسبة المنخفضة في اللاذقية بالنظر إلى ارتفاع عدد سكانها المدنيين (ومعظمهم سنيون) (41،8٪ مدنيون في اللاذقية مقابل فقط 20،2٪ في طرطوس). ولدى اعتبار اللاذقية وطرطوس سوياً يكون التمثيل أكثر من المتوسط بنسبة 170،5٪ .

وفى مدينتي دمشق وحلب نجد أن أعضاء حزب البعث العاملين كانوا "ممثلين أقل من المتوسط" نسبياً بحوالي 71٪ و41٪ على التوالي، مع الأخذ في الاعتبار أن هذه النسبة مُحسنة، حيث أن العديد من البعثيين الريفيين الذين هاجروا لمثل هذه المدن الكبيرة نُقلت عضويتهم لفروعهم الحزبية الجديدة (المدنية أساساً). ومن بين المناطق الريفية الأخرى نجد أن المناطق الجنوبية فقط هي التي كانت أيضاً ممثلة جلياً أكثر من المتوسط: فرع الحزب بالسويداء (الدرزي أساساً) كان ممثلا أكثر من المتوسط بنسبة مرتفعة بشكل خاص 202٪، بينما درعا (حوران) (السني أساساً) كان ممثلا أكثر من المتوسط بنسبة 131٪، وفرع القنيطرة (الجولان) الريفي أساساً كان ممثلا أكثر من المتوسط بنسبة 186٪ . ومن الممكن أن يكون السبب وراء هذا التمثيل العالي هو الاحتلال الاسرائيلي للجولان والذي ربما يكون قد حرض السكان الذين أصبح الكثير منهم لاجئين بعد حرب 1967 على أن يكونوا أنشط سياسياً. وعلاوة على

ذلك، كان يتم التعامل مع فرع القنيطرة كوحدة مستقلة، بغض النظر عن أن معظم أعضائه كانوا مضطرين للإقامة بعيداً عن بلدتهم، ولم يتم تحويل عضويتهم لفروع المناطق التي ارتحلوا إليها[338].

ولا بد من ملاحظة أن التمثيل القوى للدروز والمناطق الريفية الجنوبية بوجه عام لم يكن معكوساً بأي حال من الأحوال في الرتب الأعلى للتنظيم العسكري الجبار لحزب البعث المُسيطر عليه من قِبل العلويين.

وعند مقارنة أعداد العضوية كنسبة سكان كل منطقة المؤهلين لأن يصبحوا أعضاء (أي، 14 عاماً فأكثر) (انظر الجدول 9) تظهر لنا صورة مشابهة. فبينما متوسط العضوية في جميع أنحاء الدولة يصل

---

[338] انظر الجدولين 8 و 9 المقتبسين عن التقرير التنظيمي 1985 . ويعطي العمود الرابع والسادس والأخير من الجدول 9 نسبة العضوية الكلية والسكان، وقد تم إضافة ذلك للأصل من أجل المزيد من التوضيح. حزب البعث الاشتراكي العربي، القطر العربي السوري، القيادة القطرية، تقرير المؤتمر القطري الثامن ومقرراته، المنعقد في دمشق في الفترة الواقعة بين 1985/1/5 و1985/1/20:التقرير التنظيمي (دمشق 1985)، والمشار إليه فيما بعد بالتقرير التنظيمي 1985، ص 56 ،57 ؛ الجمهورية العربية السورية، مكتب رئاسة مجلس الوزراء، المكتب المركزي للاحصاء، المجموعة الإحصائية 1992، ص 52 ، 61 .

عند حساب نسبة أعضاء الحزب العاملين في كل فرع من فروع الحزب نجد أن الأعضاء بفروع الحزب من قوى الأمن وجامعات دمشق وحلب واللاذقية ("جامعة تشرين") الواردين بالجدول 8 قد تم استبعادهم، حيث أنهم لا يشكلون مؤشراً واضحاً عن الخلفية الإقليمية للأعضاء. وقد تم إسقاط الأرقام الخاصة بالجنس، حيث أنها تقع خارج نطاق هذه الدراسة. وفى الجدول 9 المقتبس عن التقرير التنظيمي 1985 نجد أن أعضاء الحزب من جامعات دمشق وحلب واللاذقية قد تم إضافتهم لفروع الحزب المحلية، وبذلك حصلت كل من دمشق وحلب على نسبة أعلى بشكل جوهري من العضوية الكلية، تفوق ما كان يجب أن تكون عليه لو أن الأساس كان عدد الأعضاء الأصليين. انظر أيضاً

Raymond Hinnebusch, Authoritarian Power and State Formation in Ba'thist Syria, pp. 177-189,

من أجل تحليل للتركيب الإجتماعي لعضوية حزب البعث استناداً للتقرير التنظيمي 1985 .

وبعد تقلد حافظ الأسد زمام الحكم في 1970، أصبحت عضوية جهاز الحزب طبقاً لمصطفى طلاس مفتوحة لجميع السوريين، بمن فيهم غير العرب كالأكراد (المُعَرَّبين) والشراكسة والأرمن. (مصطفى طلاس، مرآة حياتي، ص 324، الحاشية رقم 1). بيد أن عدد الأعضاء من غير العرب داخل حزب عربي قومي كحزب البعث كان محتوماً أن يبقى صغيراً.

وحول التكوين الطائفي لسكان الجولان قبل الاحتلال الاسرائيلي انظر: أديب سليمان باغ، الجولان: دراسة في الجغرافية الإقليمية، دمشق 1984، ص 257–292، الذي يعطى تقديرات تقريبية: السنيون 80٪، الدروز 10٪، العلويون 4٪، والمسيحيون 5٪ .

إلى 8،36٪ من مجموع السكان، إلا أن فروع اللاذقية (14،91٪) وطرطوس (14،85٪) والسويداء (16،53٪) والقنيطرة (14،12٪) تُظهر تمثيلا أكثر من المتوسط بشكل لافت للنظر٠ وإذا أخذنا معاً فرعى اللاذقية وطرطوس العلويين أساساً من حيث الأعداد المطلقة (19،15٪) نجدهما يشكلان الجزء الأكبر من تنظيم الحزب الكلى (انظر الجدول 9)٠

ويذكر التقرير التنظيمي لعام 1985 انه في الفترة السابقة للمؤتمر القطري السابع (المنعقد في يناير (كانون الثاني) 1980) كان جهاز الحزب مغموراً بالآف الأعضاء الجدد الذين تمتعوا بلقب "نصير" دون مراعاة قواعد ومعايير القبول الموضوعية٠ ونتيجة لذلك، تضخم الحزب إلى حد أنه لم يعد قادراً على استيعاب الأعضاء الجدد مما جعلهم عبئاً على قيادة الحزب٠

وبعد ذلك، في الفترة ما بين 1980 و 1984، تقرر فصل حوالي 133،580 عضواً "نصيراً" من الحزب، أي أنه تم تصفية حوالي ثُلث جهاز الحزب بالكامل فيما يتعلق بالأنصار٠ وخلال الفترة ذاتها تم تصفية 3242 من الأعضاء العاملين، وهى نسبة تصفية أقل كثيراً وتتعدى بالكاد 4٪[339]٠

وتم وصف الوضع في التقرير التنظيمي (1985) كالآتي:

برزت ظاهرة التسيب في صفوف الانصار قبل المؤتمر القطري السابع، من خلال اتباع سياسة التوسع في التنسيب بتغليب الكم على حساب النوع، مما نتج عنه تنسيب الآلاف من المواطنين دون مراعاة معايير التنسيب المقررة في النظام الداخلي، وهذا بالتالي أدى الى تضخم جهاز الانصار بشكل فاق قدرات المؤسسات الحزبية على الاستيعاب والقيادة وحسن الاشراف، بسبب قلة وضيق المقرات الحزبية، وقلة الاطر القيادية المؤهلة مسبقا لهذه الغاية، والافتقار لمستلزمات العمل الحزبي الذي يتطلبه هذا التضخم، مما أدى الى الاهمال والانقطاعات وبروز ظاهرة التسيب تدريجيا، وهذا الامر رتب عبئا ثقيلا على القيادات الحزبية اللاحقة وأربكها، مما اضطرها لاتخاذ قرارات الفصل الجماعية، وفصلت بالآلاف وهكذا "المقدمات الخاطئة أدت بالضرورة الحتمية الى هذه النتائج" حيث بلغ عدد الرفاق الانصار المفصولين خلال هذه الدورة 133،580 (مئة وثلاثة

---

[339] التقرير التنظيمي 1985، ص 36، 37، 57 ٠

وثلاثون الفا وخمسمئة وثمانون) نصيرا٠

وقد قيل في هذا الموضوع ان التنسيب الحاصل في بعض الفروع كان وهميا، وحقيقة الامر، بعد التدقيق والتحقيق فيه تبين أن التنسيب لم يكن وهميا بل كيفيا عشوائيا، بهدف بلوغ الارقام المقررة في الخطط والتباري فيمن ينسب أكثر٠ وان المنتسبين موجودون على أرض الواقع أحياء يرزقون، لكن وجودهم في الحزب ليس أكثر من حبر على ورق٠

وبالرغم من دراسة هذه الظاهرة، اقتصرت المعالجة على الفصل بأعداد كبيرة، وبقيت الظاهرة بحاجة الى الكثير من الاهتمام لمعالجتها بأساليب متعددة آخرها الفصل[340]٠

وطبقاً للاحصائيات المنشورة في التقرير التنظيمي (1985) فان حوالي 39،5٪ من 133،580 عضواً نصيراً جديداً كان قد تم فصلهم خلال العامين الأولين (1980–1981) عقب المؤتمر القطري السابع٠ وبينما تم تنفيذ تدابير الفصل خلال هذه الفترة بالتساوي تقريباً على معظم المناطق السورية، إلا أن الفصل في منطقة اللاذقية كان فوق المتوسط بشكل واضح٠ ودل هذا على أن تطبيق الاجراءات هناك كان أكثر تسيباً منه في مناطق أخرى٠ ومن بين جميع الأعضاء "الأنصار" المفصولين في 1982 (14،584) نجد أن أكثر من نصف هذا العدد (52٪) من فرع الحزب بحماة٠ وهذا لا يدعو للدهشة، حيث أنه في عام 1982 وُضعت العلاقات الاجتماعية في حماة تحت أدق الاختبارات لدى اندلاع المواجهات الدامية في فبراير (شباط) من هذا العام بالعاصمة الإقليمية بين الإخوان المسلمين والقوات المسلحة السورية التي حاصرت المدينة حينذاك٠ فعندما حاول الإخوان المسلمون تحقيق استقطاب طائفي داخل القوات المسلحة السورية ونظام البعث، ظهر عدم ولاء وعدم ثقة العديد من الأعضاء المدنيين الأنصار الذين كان قد تم تعيينهم فيما سبق على أساس عشوائي٠ لذلك، كان لا بد من فصل أعداد كبيرة[341]٠

---

[340] التقرير التنظيمي 1985، ص 332– 333 •

[341] التقرير التنظيمي 1985، ص 37 • في هذا التقرير، ص 371 – 372 هناك زعم بأن القوات المسلحة تأثرت بالكاد من المواجهات مع الإخوان المسلمين٠ انظر الفصل الثامن٠

وسبب آخر لضرورة فصل العديد من الأعضاء "الأنصار" وغيرهم كان ظاهرة الانتهازية التي تفشت داخل الحزب خلال منتصف الثمانينات بسبب نجاح الكثير في أن يصبحوا جزءاً من النظام، وذلك بغرض تحقيق مكاسب مادية وغيرها من الامتيازات الموجودة. ويبدو أن الحملات السابقة ضد الفساد باءت بالفشل. وقد وصف التقرير التنظيمي (1985) الوضع كالآتي:

ظاهرة الانتهازية

عندما تغلب الكم على النوع – كما أسلفنا – تسرب الى صفوف الحزب انتهازيون وشكلوا ظاهرة خطيرة، فهؤلاء لا ينقطعون عن الاجتماعات، ولا يتخلفون في دفع الاشتراكات، ويظهرون الطاعة والولاء والتزام، وهم كالزئبق الرجراج، لا رأى لهم في أمر، صوابا كان ام خطأ، شغلهم الشاغل الوصول الى مواقع القيادة والمسؤولية، لتحقيق المكاسب المادية والمعنوية، وجنى الثمار على حساب المناضلين وسمعة الحزب في آن واحد، معتقدين ان وجود الحزب وجود مؤقت، وانه زائل بعد حين، ولهذا يغتنمون الفرص للاثراء غير المشروع، بامتلاك المساكن، واقتناء النفائس وحيازة المزارع والاتجار بالعقارات وممارسة السمسرة والتهريب وتسخير آليات الحزب والدولة لأغراضهم الشخصية الخاصة، ضاربين عرض الحائط بقيم الحزب النضالية الثورية. ومعالجة هذه الظاهرة المدمرة مسؤولية مؤتمركم هذا والقيادات المختلفة مستقبلا، اذ يتوجب حجب الامتيازات بأنواعها عن هؤلاء ومحاسبتهم، واعطاء المهام في القيادة والمسؤولية للرفاق المناضلين وفق معايير النضال الثابتة[342].

وقد وصلت عضوية الحزب في اكتوبر (تشرين الأول) 1985 إلى 537،864 عضواً، من بينهم 102،392 عضواً عاملا و435،472 "نصيراً". وهذا يعنى أنه في الفترة ما بين 1978 و1985 ارتفع عدد أعضاء الحزب المدنيين إلى أكثر من الضعف، على الرغم من التصفيات العديدة المذكورة بعاليه[343]. وكان امتياز حضور مؤتمرات حزب البعث القطرية يُمنح فقط للاعضاء العاملين الذين امتدت عضويتهم

---

[342] التقرير التنظيمي 1985، ص 333 .

[343] قارن المناضل، العدد 129، يناير (كانون الثاني) 1980، ص 11، 94 .
انظر الحاشية رقم 37 من الفصل السابع.

لعشر سنوات على الأقل، بجانب أعضاء القيادة القطرية واللجنة المركزية وممثلي شُعب الحزب وبعض القطاعات الأخرى[344]. بيد أن صرامة هذه القواعد لم تستبعد الإمكانيات الأخرى البديلة للاطلاع بدور فعال داخل حزب البعث والنظام.

ويمكن استنتاج أن جهاز الحزب المدني كان يعكس بنية السلطة داخل جهاز الحزب العسكري وليس العكس. وكما كان الحال داخل صفوف الجيش، فإن تمثيل الريفيين كان قوياً بين البعثيين المدنيين، وخاصة من اللاذقية. بيد أنه على عكس ذلك، لم ينعكس التمثيل القوى بين المدنيين في المناطق الريفية الجنوبية بما في ذلك منطقة السويداء التي يسودها الدروز داخل جهاز حزب البعث العسكري. لقد قام البعثيون المدنيون بدور مؤيد ومكمل للحكام العسكريين الذين تمتعوا بسلطة مطلقة، ولولا تأييدهم لأصبح المدنيون مسلوبي السلطة. إن تصفية 30٪ من الأعضاء المدنيين من الحزب في غضون فترة وجيزة نسبياً دون حدوث ردود فعل خطيرة على الاستقرار الداخلي للنظام إنما هو مؤشر واضح لوضع البعثيين المدنيين الثانوي بالنسبة للبعثيين العسكريين: فلم يكن البعثيون المدنيون يتمتعون بأي سلطة بديلة. وقد جادل ريموند هينيبوش بأنه "مهما ضعف المركز إلا أنه مرتبط بالمجتمع عن طريق شبكة كثيفة من التركيبات التي أقامت أسساً متينة في القرى". ومع ذلك، فإن الجهاز العسكري يقوم بدور محوري في قيادة الدولة السورية، وبدونه تفقد شبكات حزب البعث الجماهيرية/الريفية قواعد سلطتها[345].

مسألة الخلافة

أبناء الأسد

في أوائل التسعينات كان الكثير من السوريين يعتقدون أن باسل الأسد، النجل الأكبر للرئيس الأسد، كان يجهز لخلافة والده، رغم أن الأمر لم يكن قد ذكر أو حتى تأكد بصورة رسمية أبداً. وفى

---

[344] التقرير التنظيمي 1985، ص 351 .

345

Raymond A. Hinnebusch, Authoritarian Power and State Formation in Ba'thist Syria: Army, Party and Peasant, pp. 155, 162, 301−324.

1990 تمت الاشارة للرئيس الأسد للمرة الأولى علناً بأبي باسل، البالغ من العمر آنذاك 28 عاماً. وقد كان يشار إلى حافظ الأسد من قبل بأبي سليمان، رغم أنه لم يكن له ولد بهذا الاسم. فقد أصبح باسل هو الساعد الأيمن للرئيس، وكان موضع ثقة، كما عُرف عنه أنه من الشخصيات البارزة القليلة التي لم يلطخها الفساد. فقد كان يُعهد إلى باسل بمهام خاصة، على سبيل المثال في مجال مكافحة الفساد والتهريب والتدخل في تسوية الضغائن التي كانت تمتد لتشمل بعض أفراد عائلة الأسد ذاتها. وكان باسل الأسد عضواً بالحرس الجمهوري ورئيس أمن الرئاسة وعُهد إليه بقيادة لواء مدرع (واعتبر لواؤه جزءاً من النخبة في القوات المسلحة) وهو برتبة رائد فقط. ونظراً للصفات الرائعة التي اتسم بها من أمانة وولاء وجد ونشاط، واستعداده الدائم لمساعدة الآخرين، أصبح باسل بمثابة رمز الوطنية والمثل الأعلى للجيل الجديد في سوريا، حتى أن الكثيرين من شباب سوريا بدأوا يتمثلون أسلوبه وحتى مظهره ولحيته القصيرة. ولكن في 21 يناير (كانون الثاني) 1994 لقي باسل حتفه اثر حادث سيارة عن عمر يناهز 32 عاماً، حيث تلاشت بشكل مفاجيء جميع التطلعات نحو إمكانية أن يخلف باسل والده[346].

ورغم أن أحداً من أنجال الأسد الآخرين لم يُظهر ما تمتع به باسل من صفات، إلا أن النجل الثاني، الدكتور بشار، قد ورد ذكره على لسان العديد من المسئولين السوريين البارزين أثناء تأبين باسل، باعتباره الشخص الطبيعي لوراثة دور باسل[347]. وقد غطى الإعلام السوري بشكل واسع عملية تقلد بشار المهام التي كان يقوم بها شقيقه الأكبر من قبل. وفى 16 نوفمبر (تشرين الثاني) 1994 خلال الاحتفال بالذكرى الرابعة والعشرين "للحركة التصحيحية" للرئيس حافظ الأسد عام 1970 تخرَّج بشار الأسد (في سن الثامنة والعشرين) رسمياً من الكلية العسكرية في حمص "كضابط قيادي" برتبة نقيب بعد نجاحه في دورة قائد كتيبة دبابات وحصوله على المركز الأول بين دفعته. وقد حصل على المركز الثاني ابن عدنان

---

[346] بعد وفاة باسل صدرت عدة كتب في تأبينه. انظر: رياض سليمان عواد، الشهيد الحي باسل الأسد، دمشق، 1994؛ وغازي الموسى، منارة الأجيال باسل حافظ الأسد، دمشق، 1994؛ البعث، عدد خاص في ذكرى أربعين فقيد الوطن، الفارس باسل الأسد، مارس 1994؛ بهجت سليمان، المنظومة الفكرية للبطل باسل الأسد، دمشق، 1994؛ شهادات في معالم الشهيد باسل الأسد، دمشق، 1994 .

[347] انظر مقدمة الدكتور محمد سلمان، وزير الإعلام السوري، لكتاب شهادات في معالم الشهيد باسل الأسد، دمشق، 1994، ص 10، الذي قال: "ولنا في أشقاء باسل، وفى المقدمة منهم الدكتور النقيب بشار والنقيب المهندس ماهر، ما قد يخفف وقع الفجيعة ويجعل السير على ذات الخط ميسوراً حتى تستكمل السيرة مسيرتها، ونحفظ العهد والنهج اللذين أرساهما القائد الكبير الرئيس حافظ الأسد".

مخلوف قائد الحرس الجمهوري. وقد بدا وكأن جيلاً من الشباب (العلوي) الذي يتكون جزئياً من أبناء وأقارب اللواءات العلويين كان في طريقه إلى التكوين ليخلف في النهاية الجيل السابق. وقد دلت بعض التزكيات والتنقلات والتسريحات داخل القوات المسلحة والمخابرات وفروع الأمن عامي 1994 و 1995 على أن هذا هو الاتجاه المتبع، كما أنها تضمنت في الوقت ذاته بعض العناصر المحتملة لنشوب نزاعات بين الأجيال داخل المجتمع العلوي .

وخلال احتفال 16 نوفمبر (تشرين الثاني) 1994 رحب العماد مصطفى طلاس وزير الدفاع رسمياً بانضمام النقيب الدكتور بشار الأسد إلى سلاح المدرعات في الجيش السوري، وذلك "باسم القوات المسلحة السورية". بيد أنه لا بد من ملاحظة أن أسلوب بشار كشخصية قيادية كان موضع انتقاد وتساؤل من قِبل البعض، ومن بينهم اللواء العلوي علي حيدر الذي اعتُقِل هو وآخرون لفترة ما في صيف 1994 لهذا السبب وبشكل مؤقت. ويُقال إن أحد الأسباب الأخرى لاعتقاله هو على ما يبدو انتهاكه الواضح لمحظور الطائفية: ففي أثناء أحد اجتماعات كبار الضباط مع العماد حكمت الشهابي، رئيس الأركان الذي كان يهم بمناقشة إمكانية تحقيق سيناريو للامن الإقليمي عقب اتفاقية سلام مع اسرائيل، اعترض حيدر قائلا "نحن مؤسسي النظام (أي العلويين) لا نبغى فقط مناقشة خطط طوارىء بل نريد أن يكون لنا رأى في عملية السلام ذاتها". ورغم أن جميع الضباط الحاضرين (والكثير منهم علويون) كانوا يدركون تماماً الدور الخطير الذي يلعبه العلويون داخل النظام، إلا أنه كان من المحظور التحدث في الأمر علانية أو حتى بطريقة غير مباشرة. علاوة على ذلك فمن الممكن تفسير ملاحظات حيدر على أنها انتقاد غير مباشر للخط الذي كان يسلكه الرئيس حافظ الأسد في مفاوضات السلام مع اسرائيل[348].

ويبدو أن بشار قد عُهد إليه بمسئوليات عسكرية تفوق رتبته الصغيرة، حاله حال أخيه باسل من قبله. وفى يناير (كانون الثاني) 1995 تمت ترقية بشار إلى رتبة رائد بالحرس الجمهوري[349]. وأخذت

---

[348] قارن الحياة، 27 سبتمبر (أيلول) 1994؛

The Middle East, October 1994, p.19; Jane's Intelligence Review, Vol. 7, No. 3, March 1995, pp. 126–127.

[349] قارن الحياة، 22 فبراير (شباط) 1994، 25 أغسطس (آب)، 6 و27 سبتمبر (أيلول)، 1 و19 نوفمبر (تشرين الثاني) 1994، 21 يناير (كانون الثاني) 1995؛ البعث، 18 نوفمبر (تشرين الثاني) 1994؛ الأهرام، 3 و4 مارس (آذار) 1994؛ فنون، دمشق، 2 مايو (آيار) 1994؛

نشاطات بشار العسكرية والسياسية تكتسب تدريجياً المزيد من الدعاية من خلال الإعلام السوري، ففي تقرير صحفي من دمشق، اعلن مثلا ان بشار الاسد "بدأ عملياً بإعلان الحرب على الفساد وملاحقة القيمين عليه ومحاسبتهم" و "شن حملة ضد التهريب" وانه "شكل فريق عمل متكاملا يتلقى شكاوى المواطنين من كل انحاء البلاد للوقوف عليها وحلها"٠ كما اعلن ان "مستقبله العسكري لن يقل أهمية عن مستقبله السياسي" وأنه "ليس مفاجئاً أن يكون الرائد بشار على رأس عمل ميداني يقام في مكان ما، أو يكون مراقباً أو متابعاً لنتائجه التي يحرص على أن تكون ناجحة ومتميزة، وهو ما جعله مصدراً للمشورة لكثير من الضباط"[350]٠ واعلن أيضاً إن بشار الأسد يستقبل السياسيين اللبنانيين، ومن بينهم وزراء وأعضاء المعارضة، كما قام بزيارة الرئيس اللبناني في قصره ببعبدا، لمناقشة الوضع السياسي في لبنان٠ ولا يمكن تفسير مثل هذه النشاطات إلا كعملية تحضير نحو تقلد مسئوليات سياسية رفيعة٠ وقد علق أحد كبار المسئولين السوريين على ذلك قائلا:

> ان بشار يتمتع بحيوية وديناميكية كبيرتين وانه ينتمي الى شجرة الاسد العريقة ٠٠٠ ان الرائد بشار ضمان للاستقرار وضمان نهج الرئيس الاسد وانه شديد الشبه بوالده الرئيس السوري[351]٠

Le Monde, 16 August 1994; Ben Wedeman, "Basil's Sudden Death Threatens Syria's Future", The Middle East Times, 31 January − 6 February 1994; The Middle East, October 1994, p. 19; Alasdair Drysdale & Raymond A. Hinnebusch, Syria and the Middle East Peace Process, p. 29.
قارن عزت السعدني، باسل في عيون المصريين، القاهرة، 1995، ص 178، 261− 285؛ الباسل لن يغيب أبداً (عدد خاص لمجلة اقتصاديات حلب، يناير (كانون الثاني) 1995)، ص 89 ٠

[350] ابراهيم حميدي، "ملفان بارزان: لبنان ومحاربة الفساد٠ الرائد بشار الاسد يقتحم العمل السياسي"، الوسط، العدد 170، 1 مايو (ايار) 1995، الذي أنهى مقاله بأن "غياب الرائد باسل الأسد دفع شقيقه بشار الى واجهة العمل السياسي بكل تفاصيله، فتركزت الأنظار عليه وصارت تتابع صعوده اللافت٠ مجلة "تايم"، الامريكية، ذكرت في أحد اعدادها الصادرة قبل نهاية العام 1994 ان الدكتور بشار]ربما[سيكون واحداً من صانعي التاريخ في القرن المقبل، وأوردت اسمه بين اسماء مئة شخصية اعتبرت انها]ربماد[ستقود العالم في القرن الحادي والعشرين"٠ قارن Time، 5 ديسمبر (كانون الأول) 1994، ص 38 ٠

[351] الحياة، 10 فبراير (شباط) 1995 ٠ وحول زيارة بشار الأسد للرئيس اللبناني في 21 مايو (ايار) 1995، انظر الحياة، 22، 23 و26 مايو (ايار) 1995 ٠

وبعد وفاة باسل في 1994 ظهر العديد من الملصقات والصور الجدارية في جميع أنحاء سوريا تحمل صورة الرئيس حافظ الأسد وابنه المتوفى۰ وفى عام 1995 بدأت تظهر صور الرئيس حافظ الأسد مع الأبن الراحل باسل وبشار معاً۰

بعض سيناريوهات الخلافة

في مقابلة مع مجلة "تايم" في 13 نوفمبر (تشرين الثاني) 1992، رد الرئيس الأسد حول التساؤل عن من سيكون خليفته قائلا:

> ليس لدى خليفة۰ إن من يحدد الخليفة هم المؤسسات والمنظمات الحكومية والدستورية والمؤسسات الحزبية، وأنا اؤمن أنها جميعها تتمتع بجذور عميقة نظراً لخبرتها الطويلة الممتدة عبر عشرين أو اثنين وعشرين عاماً، وهى قادرة على احتواء هذا الموقف[352]۰

وقد يتضح أن مسألة الخلافة غير أكيدة على النحو الوارد بعاليه۰ فمع رحيل حافظ الأسد سينشأ وضع جديد قد يتغير فيه الكثير من الأمور، حيث أن البنية الحالية تعتمد لحد كبير على شخص الرئيس ذاته۰ وفى حالة وفاة الرئيس بشكل طبيعي، سيبدو منطقياً أن تنتقل السلطة أولا بأسلوب دستوري لأعلى الرتب في الدولة والحكومة والجهاز الحزبي، وقد يظل أنصار حافظ الأسد العسكريون البارزون من العلويين وأتباعهم لفترة ما مخلصين لبعضهم البعض، فيحكمون الدولة كمجموعة، بالاشتراك مع بعض البعثيين المدنيين وكبار العسكريين الصوريين من السنيين الذين تقلدوا مناصب هامة داخل الحزب والحكومة لزمن طويل۰ وقد يتقبل اللواءات العلويون بشار نجل الرئيس الأسد مؤقتاً كقائد صوري يوحد صفوفهم ويجسد رمزياً رغبتهم في استمرارية تراث الرئيس لبعض الوقت، وأيضاً من أجل تفادى الانشقاق بين صفوف العلويين۰

وفى سوريا لم يحدث أن نجح تطبيق مبدأ القيادة العسكرية الجماعية لفترة طويلة، فإذا جاء من يحتذي بالماضي فسيجد أن هذا لن يفيد إلا مؤقتاً، وسرعان ما سيظهر صراع جديد على السلطة بين

---

[352] انظر: العدد الخاص من Syria Times، 13 نوفمبر (تشرين الثاني) 1992 ۰

صفوف العلويين. وكما ذُكر بعاليه، فإن أنصار حافظ الأسد العسكريين البارزين من العلويين، حالهم حال الرئيس، قد تقدمت بهم السن، ولذلك فهو ليس من المتوقع أن يستمروا طويلا بعد الرئيس. وقد يؤدى الصراع على السلطة بين صفوف العلويين إلى العديد من التصفيات الداخلية فينتهي الأمر بظهور ضابط علوي آخر – ربما من جيل أصغر– يتقلد زمام الحكم. وقد يكون هذا السيناريو دموياً، أو قد يكون سلمياً نسبياً، لو أن العسكرية العلوية قررت لأغراض عملية أن تبقى متماسكة من أجل الحفاظ على سلامتها وبقائها، ومن أجل عدم المخاطرة بالتحسينات الهائلة التي تمتع بها العلويون كمجموعة في ظل الحكم البعثى في جميع المجالات كالتعليم والوضع الإجتماعي والأوضاع الإقتصادية والإمتيازات والسلطة العسكرية والمدنية. وقد ترغب مجموعات أخرى من الأقليات الريفية لأسباب مشابهة في الإمتناع عن التدخل في الصراع على السلطة. ويبدو أن الكثير من المسيحيين يفضلون نظام الأسد أو خليفة علوياً عن أي بديل أصولي سني.

والسيناريو البديل لذلك قد يكون قيام بعض الضباط العلويين بالبحث عن حلفاء عسكريين وسياسيين خارج مجموعتهم من أجل تعضيد مراكزهم ضد منافسيهم. وعلى العكس، قد يسعى السنيون وآخرون غير العلويين، ضباطاً وسياسيين، للتحالف مع ضباط علويين، بغية اختراق التضامن العلوي وتحقيق أغراض سياسية بديلة. وهنا قد تتمزق بنية النظام الحالي وتتم الإطاحة بالسيادة العسكرية العلوية بشكل دموي. لذلك، فالسيناريو الذي تتم فيه الإطاحة بالنخبة العلوية الحاكمة سيكون حتماً عنيفاً للغاية. إن إمكانية انتقام مجموعات من السكان من مظاهر القمع التي عانوا منها في ظل الحكم البعثى تحت سيطرة علويين أمر وارد بوضوح.

وقد علق ديفيد روبرتس بأن :

العلويين أصبح لديهم الآن كم هائل من الأعداء والكثير من الضغائن الدموية، مما يجعل من المستبعد أن يغامروا بالسماح بخروج السلطة من بين صفوفهم، خشية وقوع تصفية مروعة للحسابات[353].

353

David Roberts, The Ba'th and the Creation of Modern Syria, London, 1987, p. 145.

بيد أن الطموحات الشخصية داخل الدوائر العلوية وغيرها من العوامل قد تؤدى إلى انقسام صفوف العلويين وإضعاف تضامنهم. وبالأخذ في الاعتبار بالتحسينات الهائلة لمركزهم في ظل الحكم البعثى، نجد أن العلويين يجازفون بشكل عام بالكثير. لذلك، فالسيناريو الذي تتم فيه الإطاحة بالنخبة العلوية الحاكمة سيكون حتماً عنيفاً للغاية. وطالما ظلت السيطرة العلوية فإن المعارضة السنية ستظل تشكل خطراً محتملا على النظام، ولو بالأمد الطويل.

وهناك سيناريو ثالث ينبثق عن الأول، وهو إمكانية قيام تحالف بين العسكريين العلويين والمدنيين البرجوازيين السنيين، بحيث تتطور الأمور نحو المزيد من التعددية والديمقراطية، إلا أن الاستمرار في الفساد والاستياء من الأوضاع الإقتصادية بين قطاعات كبرى من المجتمع قد يشكل عقبات جسيمة. هذا بالإضافة إلى أن مثل هذا التحالف بين العسكريين العلويين والبرجوازيين السنيين سيبدو وكأنه قائم أساساً بسبب التطابق المؤقت بين المصالح المشتركة التي لا تضمن نجاح مثل هذا السيناريو على الأمد البعيد. بالإضافة إلى ذلك فإنه جدير بالملاحظة أن التحرر الاقتصادي لا يؤدى بالضرورة إلى الديمقراطية[354]. فخلال المؤتمر الذي عُقد في لندن عام 1993 حول التغيير الاقتصادي والسياسي في سوريا، نزع

---

[354] انظر

Raymond A. Hinnebusch, 'State and Civil Society in Syria,, The Middle East Journal, Vol. 47, No. 2, Spring 1993, pp. 256−257.

في دراسته حول الطوائف والعرقية والأقليات في العالم العربي يخلص سعد الدين ابراهيم إلى أن "مباديء الفيدرالية والديمقراطية والمجتمع المدني معاً تمثل مفاتيح السلم الاجتماعي والتطور السياسي والنمو الاقتصادي والتقدم الحضاري، وهى لا تلغى التنافس أو الصراع في أي مجتمع، ولكنها تحول المجتمع إلى حلبة مفتوحة يسعى فيها الجميع إلى خدمة مصالحهم، والحفاظ على هوياتهم الفرعية، دون تدمير الحلبة، ودون أن يكون ذلك على حساب المصلحة العامة أو على حساب الهوية الوطنية القومية الأكبر، بتعبير آخر، إن ثالوث الفيدرالية والديمقراطية والمجتمع المدني من شأنه أن يدار معه التنافس والصراع في المجتمع، بشكل سلمى منضبط، وأن تكون جدلياتها من الطبيعة التراكمية، التي لا تنتقص من أحد وتضيف للجميع في نهاية المطاف، واذا كان ذلك سيساعد على مواجهة خلاقة لمسألة الأقليات في أقطارنا العربية، فإنه بالقدر نفسه يسهم في تحرير الأغلبية في الوطن العربي كله، وهو الذي يسهل للعرب جميعاً الخروج من زقاق التاريخ إلى الطريق السريع العام للانسانية ... مع مطلع القرن الحادي والعشرين". سعد الدين ابراهيم، الملل والنحل والأعراق: هموم الأقليات في الوطن العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1994، ص 16 و763 • وفى دراسة ابراهيم، يشير مفهوم الفيدرالية على وجه الخصوص إلى دول ذات أقليات عرقية كبيرة، مثل العراق والسودان. أما في سوريا، فإن توحيد المجتمع المدني والديمقراطية قد يوفران حلا.

الحاضرون إلى أن

التحرر الاقتصادي في سوريا غالباً ما سوف يُفضى إلى تغيير سياسي محدود؛ وأنه في غياب ضغوط إضافية لن يتحقق التحرر السياسي الكامل أو حتى الديمقراطية، حتى رغم احتمال 'عودة الحياة السياسية'[355].

وفى هذا الشأن يلاحظ فولكر برتس، أحد المشتركين في المؤتمر، أن

الحالة السورية تتعارض مع الحجج المناسبة التي كثيراً ما تتردد في نقاشات غربية حول سياسة التنمية والتي تفيد بأنه لا يمكن الفصل بين التحرر الاقتصادي والتحرر السياسي، وأن التحرر الاقتصادي يؤدى إلى مزيد من التحرر السياسي والديمقراطي وينتهي بالاعتماد عليهما ••• ومن الممكن اعتبار التعددية المحدودة والانتقائية التي يمنحها النظام بمثابة أسلوب 'للحفاظ على النظام' أكثر منه أسلوباً للديمقراطية أو التحرر السياسي الملموس ••• فالحالة السورية تقول لنا إن التحرر الاقتصادي أمر ممكن وناجح دون الحاجة لأن يصحبه تغيير سياسي حقيقي[356].

وبأخذ نتائج هذه الدراسة في الاعتبار يبدو أنه من العسير للغاية أن نتخيل سيناريو يتحول فيه النظام الحالي الاستبدادي بقاعدته الضيقة والذي يسيطر عليه أعضاء من الأقلية العلوية التي عانت في الأصل من التمييز في المعاملة من قِبل الأغلبية السنية وقامت بدورها بقمع جانب من السكان السنيين بقسوة في العديد من المناسبات إلى قاعدة ديمقراطية أوسع بأسلوب سلمى تشمل نسبة أكبر من الأغلبية السنية•

إن التحول من ديكتاتورية يسيطر عليها علويون إلى ديمقراطية في سوريا إنما يعنى أن

355

Eberhard Kienle (ed.), Contemporary Syria, p. 10.

356

Volker Perthes, ibid., pp. 70-71.

المؤسسات القمعية الحالية لا بد وأن تُحل، وأن النظام عليه أن يتخلى عن مراكزه المتميزة· وبما أنه يبدو أن الأغلبية السنية بوجه عام لم تتخل عن تحيزها وموقفها السلبي المعتاد تجاه الديانة العلوية والعلويين بشكل عام بل ومن الممكن الجدل بأن الضغائن السنية ضد العلويين قد ازدادت نتيجة الديكتاتورية التي يسيطر عليها علويون فمن المنطقي أن نتوقع أن القادة العلويين في مراكزهم المرموقة ليس بوسعهم أن يعولوا على كثير من التفهم من قبِل نظام أكثر ديمقراطية (أو ربما أقل ديكتاتورية) تتحكم فيه أغلبية سنية·

إن سيناريوهات مُتخيلة كهذه تزيد من صعوبة إحتمال أن يقوم النظام البعثى الذي يسيطر عليه علويون بالتخلي دون مقاومة عنيفة عن مراكزه الحالية لصالح نظام أكثر ديمقراطية قد ينتهي به المطاف نظراً لغياب تقليد ديمقراطي طويل الأمد في سوريا إلى ديكتاتورية سنية (قد تكون إقليمية/أقلية) يسعى أعضاؤها للانتقام من القادة والطغاة العلويين السابقين·

الفصل العاشر

استنتاجات

بالإضافة إلى بعض الإستنتاجات التي تم التوصل إليها في غضون هذه الدراسة، فيمكن طرح النقاط التالية لأكثر من ثلاثين عاماً من حكم البعث في سوريا المُسيطر عليه من قِبل العلويين۰

1- الطائفية والعوامل الإجتماعية الإقتصادية والإيديولوجية

إن قيام الطائفية والإقليمية والعشائرية بدور جوهري في الصراع على السلطة لا يقلل من شأن العناصر الأخرى كالعوامل الإجتماعية الإقتصادية والإيديولوجية، أو يتغاضى عنها، بل بالعكس، فقد تم إبراز أهمية الخلفيات الإجتماعية الإقتصادية وإمكانية تطابقها إلى حد كبير مع العوامل الطائفية والإقليمية والعشائرية في حالة الأقليات الطائفية المتماسكة كالعلويين والدروز والإسماعيليين۰ إن تداخل الاختلافات الطائفية والإقليمية والإجتماعية الإقتصادية قد يقوى ويبرز التباينات القائمة بطريقة متبادلة۰ ومن الممكن توجيه أو حتى إثارة السخط الشعبي والتوترات الإجتماعية الإقتصادية من خلال قنوات طائفية۰

لقد كانت الإختلافات الإيديولوجية جوهرية أيضاً، حتى لو أصبحت الأواصر الطائفية والإقليمية والعشائرية خلال العديد من المواقف المتأزمة هي الوسيلة السائدة للحفاظ على الذات والبقاء في السلطة۰ فما أن احتكرت جماعة سياسية السلطة وفازت بقاعدة قوية حتى حظيت الأفكار السياسية والإيديولوجية بالأولوية على سياسات السلطة البحتة۰ إن الذين تم إبعادهم عن السلطة بسبب قيامهم برفض تطبيق تكتيكات طائفية أو اقليمية أو عشائرية، استناداً منهم إلى أسس مثالية، قد حُرموا بالتالي من امكانية تطبيق مثالياتهم۰ أما الذين استغلوا الطائفية والإقليمية والعشائرية كوسيلة للاستيلاء على السلطة أو الإحتفاظ بها،

أو الذين اضطروا لإستغلالها من قِبل معارضيهم، من أجل حماية أنفسهم، فقد أمكنهم فيما بعد التركيز على برامجهم السياسية ومثالياتهم٠

2- التجانس الطائفي والاستقرار والسياسات

لقد تأثرت الفترة ما بين 1963 و1970 إلى درجة كبيرة بالمنافسات بين الجماعات البعثية المختلفة والمنافسات الطائفية والإقليمية المتعلقة٠ وما أن تولى حافظ الأسد الحكم في 1970 حتى حظيت النخبة السياسية السورية الحاكمة بدرجة من التجانس الطائفي والإقليمي، أكثر من ذي قبل عندما كانت القوى المتعارضة تتنافس على السلطة، وذلك بغض النظر عن أن هذا التجانس الأكبر انطوى على قاعدة أضيق٠ ونتيجة لوقوع سوريا تحت سيطرة جماعة سياسية جبارة واحدة ذات جهاز أمنى موثوق وفعاّل بدرجة عالية (وأيضاً فعاّل من حيث القمع)، تمتعت الدولة باستقرار سيأسى داخلي واستمرارية أكثر مما كانت عليه في أية فترة سابقة منذ الإستقلال[357]٠ إلا أن ارتباط هذه الاستمرارية بعدم وجود أي تغيرات جوهرية في تركيب النخبة السياسية والعسكرية الحاكمة على مدى 25 عاماً تقريباً كان يعنى أيضاً الاحتمال المستقبلي الخطير لعدم استمرارية النظام، بل وتفككه، في حالة زوال قيادته السياسية والعسكرية الطويلة الخدمة٠ ويبدو أنه لم يتم الإعداد لجيل سيأسى وعسكري جديد يتولى زمام الحكم بطريقة سلسة وتدريجية من البعثيين القدامى التابعين لعهد الأسد، والأكثر من ذلك الإعداد لعملية تحويل ديمقراطي طويلة المدى للنظام٠

وفى الفترة ما بعد 1970 أصبحت السياسات السورية الخارجية أكثر تماسكاً واستمرارية بوجه عام، إلا أنها لم يكن لها أي شأن بالتركيب الطائفي للنخبة الحاكمة٠

---

[357] تلاحظ اليزابث بيكارد انه "بتأمل امتداد فترات بعض الأنظمة العسكرية العربية لا بد للمرء أن يأخذ في الاعتبار التقدم التكنولوجي العظيم لجيوشها وأن يفكر في احتمال أن يكون "الاستقرار" الذي شهدناه منذ 1970 يُعزى إلى حد كبير لآلية الدولة الآخذة في الانتشار، وخاصة جهاز شرطة الدولة"٠ انظر

Elizabeth Picard, "Arab Military in Politics: from Revolutionary Plot to Authoritarian State", in: Albert Hourani, Philip Khoury and Mary C. Wilson (eds.), The Modern Middle East: A Reader, London, 1993, pp. 562−563.

وفى عهد الأسد نجحت سوريا في أن تصبح قوة إقليمية عظمى غير خاضعة للمنافسات التقليدية حول السلطة الإقليمية بين البلدان العربية الأخرى بالمنطقة كالعراق ومصر، كما كان الحال في الماضي[358]. وبالتالي، كان لا بد لسوريا أن تلعب دوراً أساسياً في أية تسوية عربية إسرائيلية سلمية شاملة.

3- الطائفية بين الواقعية والمثالية

بغض النظر عن أهمية الخط السياسي الذي تبنته القيادة السورية، لا بد من ملاحظة أن الأواصر الطائفية والإقليمية والعشائرية كانت هامة بمكان، حيث شكلت على مدى ثلاثين عاماً وأكثر جزءاً لا يتجزأ من بنية السلطة داخل النظام السوري. فبدون الشبكات المنظمة والقائمة على أسس طائفية وإقليمية وعشائرية داخل القوات المسلحة السورية وأجهزة الأمن ومؤسسات السلطة الأخرى، ما كان للبعثيين الذين حكموا سوريا منذ 1963 أن يصمدوا ويستمروا هذه المدة الطويلة. إن استغلال الأواصر الطائفية والإقليمية والعشائرية لم يكن سوى سياسات سلطة بحتة وأولية. ومع ذلك، فيمكن اعتبار صلاح جديد وحافظ الأسد بعثيين مثاليين، سعيا منذ الصبا لدى انضمامهما لحزب البعث إلى تحقيق مثاليات القومية العربية العلمانية والمثاليات الإجتماعية الإقتصادية. ولكن بعد استيلائهما على السلطة تطورت لديهما سياسات وأفكار متعارضة، حيث بات الأسد أكثر واقعية وجديد أكثر تطرفاً. والنتيجة النهائية لذلك هي أن رفيقي الحزب السابقين أصبحا منافسين وعدوين دائمين لدى تحملهما عبء المسؤوليات السياسية، ولدى وضعهما موضع التنفيذ تحت أصعب الظروف الأفكار السياسية التي كانت سابقاً بمثابة مثاليات نظرية وإيديولوجية.

ولا يعنى الدور المحوري للأواصر الطائفية والإقليمية والعشائرية في بنية السلطة داخل النظام البعثى أن الحكام العلويين الجبارين المسيطرين وغيرهم كانوا حريصين على استغلال هذه الأواصر على سبيل التعمد، أو لم يكن لديهم الرغبة في التغاضي عن تلك الأواصر. ففي الواقع، كان القادة البعثيون

---

358 Patrick Seale, Asad, p. 439.

البارزون وغيرهم من البعثيين الأقل شهرة لا يستسيغون على الإطلاق فكرة استغلال الطائفية والولاءات الإجتماعية التقليدية الأخرى، والتي كانت تبدو لهم متخلفة ومتعارضة مع مثالية القومية العربية المساواتية العلمانية. لقد سعى الكثير من البعثيين العلويين وغيرهم من الأقليات للتخلص من وضعهم كأقليات، كارهين تذكيرهم بصفة مستمرة بخلفياتهم الطائفية، إلا أنهم في الواقع لم ينجحوا في ذلك وباءت أمانيهم بالفشل[359]. ويُعزى ذلك جزئياً إلى واقعية سياسات السلطة في سوريا التي تورطوا فيها منذ بداية تقلدهم زمام الحكم في 1963[360]، ففي أثناء عملية تعزيز مراكزهم في المراحل الأولى من الثورة اعتمد القادة البعثيون كثيراً لأغراض عملية على أفراد من مجتمعاتهم تعوزهم المثاليات الإيديولوجية كالتخلص من الطائفية والإقليمية والعشائرية أفراد اعتبروا مثل هذه الأمور سبيلا لمطامعهم الشخصية. ورغم أن التمثيل العلوي القوي داخل النخبة البعثية الحاكمة خلال المراحل الأولى من توليهم الحكم في 1963 ربما لم يكن له شأن بالطائفية وإنما كان يعنى بالإقليمية والعشائرية، فهذا لم يكن ليمنع السنيين وغيرهم من المعارضين غير العلويين من اعتبار النظام واقعاً تحت سيطرة العلويين أو طائفة الأقلية. وقد كان من الطبيعي أن يقوم السنيون وآخرون من غير العلويين من معارضي نظام البعث العلماني الواقع تحت سيطرة العلويين أن يستغلوا موضوع الطائفية كسلاح لتقويض النظام. وكما سبق واوضحنا، فإن مثل هذه الهجمات الموجهة ضد العلويين عادة ما كانت تحقق عكس المراد: أي، ازدياد سيطرة العلويين. ففي أثناء عملية استغلال الولاءات الطائفية استطاعت الأفكار السياسية أن تخلق وقائعها الخاصة واستطاعت الطائفية أن تحصل على قوتها التداؤبية الخاصة التي كان يصعب التحكم فيها تماماً فيما بعد من قِبل النخبة السياسية المسيطرة.

---

359 لقد ذكر سيل أن أكثر التفسيرات إثارة للاتعاض لدى حافظ الأسد هو النموذج السياسي الذي يصور تاريخ سوريا الحديث كـــ "انتصار أقلية طائفية، وهم العلويون المكبوتون طويلا، على منافسيهم داخل مجتمع شرقي منقسم بشدة طبقاً لخطوط عرقية ودينية ... وبالفعل، فإنه (أي، الأسد) قد امضى معظم حياته الراشدة في محاولة للهروب من دمج ذاته في خلفية من الأقليات، إلا أن أخذ نظامه في الإعتبار من هذا المنطلق على نطاق واسع حتى وقتنا هذا يوحى بفشله".

Patrick Seale, "Asad: Between Institutions and Autocracy", in: Richard T. Antoun and Donald Quataert (eds.), Syria: Society, Culture, and Polity, p.97.

360 يخلص حنا بطاطو إلى أنه "عندما يميل سكان ريف سوريا أو العراق أو من منهم متحضر نسبياً، والذين كانوا محرومين من قبل، للتمسك بأعضاء عشيرتهم أو طائفتهم أو ديانتهم أو التعاون معهم، فهذا ليس دليلا على التكتلية، رغم أن هذا هو ما يبدو، بل انهم في الواقع يتصرفون بشكل تلقائي ويتبعون المنطق الناجم عن وضعهم التركيبي."

'Some Observations on the Social Roots of Syria's Ruling, Military Group and the Causes for its Dominance', p. 344.

4-القسمة الثنائية بين السنيين والأقليات، بين المدن والريف، وبين الطبقات العليا والدنيا منذ 1963

عندما تولت مجموعة من البعثيين ذات أصل ريفي وتابعة للطبقة المتوسطة الدنيا أو الفقيرة ومنتمية إلى أقليات دينية الحكم في 1963، أدى ذلك إلى ثورة إجتماعية: لقد مرت الأقليات الريفية التي كانت تعانى من التفرقة من قبل، والتي كانت تنتمي إلى أكثر القطاعات تخلفاً في المجتمع السوري، بعملية مفاجئة من التحرر الوطني، فانقلبت العلاقات التقليدية رأساً على عقب تقريباً: فبدأ أهل الريف وأعضاء الأقليات الدينية يسيطرون على السنيين المنتشرين في أرجاء المدن الكبيرة ويتسلقون بطريقة سريعة نسبياً درجات المجتمع الإجتماعية والسياسية. وما أن وصلوا للسلطة حتى بدأ العلويون والدروز وغيرهم من الأقليات الريفية الذين كانوا يعانون من التفرقة محاباة أفراد طوائفهم والتمييز ضد هؤلاء الذين ظلموهم فيما قبل. وقد أدى ذلك إلى حد ما إلى تسوية بين طبقات المجتمع الفقيرة والأغنى نسبياً، وبين المواطنين الريفيين والمدنيين، وبين الأقليات الدينية والسنيين. وقد امتعض السنيون الحضريون بالذات من سيطرة أشخاص من أصل ريفي فلاحى عليهم، بغض النظر عن انتماء هؤلاء الحكام إلى أقليات دينية أو كونهم سنيين مثلهم. إن تطابق التسلط الريفي وسيطرة الأقليات إنما ازادا من امتعاض السنيين المدينيين.

ومن جهة أخرى، فإن التسلط الريفي لم يؤثر بطريقة سلبية جوهرية على المدن من حيث تقدمها الإجتماعي والإقتصادي، فقد حظي أهل المدن في 1963 بمراكز طيبة نسبياً، كما أخذت المدن منذ عام 1963 في التطور بشكل ملحوظ. واستقر العديد من أهل الريف في المدن الكبرى ليصبحوا من أهل الحضر شيئاً فشيئاً. وأخذت أجيال جديدة من عائلات الريف والأقليات تُولد بالمدن وتصبح من أهل الحضر. ولم يكن هذا يعني بالضرورة أن هذه الأجيال الحضرية الجديدة كانت مقبولة إجتماعياً من قِبل أهل المدن الأصليين، أو أنهم إندمجوا تماماً معهم، بل يصح الجدال أن بعض القطاعات بالمدن الكبرى أصبحت في باديء الأمر ريفية إلى حد ما بسبب التدفق الكبير من أهل الريف[361]. إن الإنقسامات الطائفية القائمة أساساً بين أهل المدينة وأهل الريف استمرت إلى حد ما بعد "مدْنَنَة" أهل الريف في المدينة

[361] قارن سمير عبده، ترييف المدينة العربية ومَدْنَنَةُ الريف، دمشق، 1989 .

Hanna Batatu, 'Some Observations on the Social Roots of Syria's Ruling, Military Group and the Causes for its Dominance', p. 337,

يلاحظ الكاتب أن الصراعات التي وقعت داخل المدن بين أهم ممثلي السلطة الحضرية من جهة والفلاحين أو سكان الريف السابقين من جهة أخرى كانت تأتى بشكل عام بعواقب تركيبية أعمق من تلك التي كانت تأتى بها صراعات الريف بين

القائمة أساساً بين أهل المدينة وأهل الريف استمرت إلى حد ما بعد "مدْنَنَة" أهل الريف في المدينة ٠

وخلال أكثر من ثلاثين عاماً من الحكم البعثي – وهى فترة امتدت عبر أكثر من جيل بأكمله – تطورت قطاعات من طوائف الأقليات الريفية الأقل نمواً بالتدريج لتصبح أكثر تعلماً وتقدماً وأقل فقراً وأيسر حالا٠ لقد اغتنم العلويون بوجه عام وبحماس الفرص الجديدة التي وفرها نظام البعث في كل من مجالات التعليم والتوظيف والإقتصاد وتحرير المرأة ٠٠٠ الخ[362]٠ وقد أدى ذلك إلى تحسين نوعي ملموس وواسع المدى داخل المجتمع العلوي٠ إن التقدم الإجتماعي والسياسي داخل قطاعات عريضة من الطائفة العلوية لم يكن يعنى تمييزاً ضد الطوائف الريفية الأخرى من الأقليات، فيما يتعلق بالفرص الإجتماعية الإقتصادية، بل بالعكس، فقد جنت الأقليات الأخرى وأهل الريف بشكل عام ثمار حكم البعث الذي يسيطر عليه العلويون، وإن كان أحياناً بدرجة أقل من العلويين أنفسهم[363]٠

الفلاحين الذين كانوا يسعون لتحرير أنفسهم من نفوذ المدن٠ "وهناك ظاهرة مرتبطة بهذه الصراعات وكثيراً ما تتكرر: سكان الريف الذين يدفعهم العوز والحاجة للامان إلى المدن الرئيسية يستقرون بضواحيها ويدخلون سريعاً في علاقات قد تكون مزيفة مع فقراء الحضر وهم بدورهم من مهاجري الريف ومعاً يتحدون الطبقات القديمة الراسخة٠"

[362] ذكر سيل انه "عقب ثورة عام 1963 مباشرة بدأ العلويون يتجهون بشغف نحو التعليم٠ فتزايد عدد الحاصلين على منح دراسية والمبعوثين للخارج للحصول على درجات علمية ليصبحوا أطباء ومهندسين ومحامين وأساتذة جامعيين، حتى أنه بعد 25 عاماً أصبحوا يتمتعون بتمثيل قوى في الوظائف الحرة وكوادر الدولة الكبرى، حيث نافسوا بل أحياناً أزاحوا الصفوة المثقفة من السنيين والمسيحيين"٠

Patrick Seale, Asad, p. 454.

كما يقتبس عن الانثروبولوجي الإجتماعي الفرنسي فرنسوا مترال ما اكتشفه عن أن في الغاب الغربي الذي يقطنه العلويون هناك نسبة تتراوح بين 34٪ و41٪ من الفتيات اللواتي يواظبن على الدراسة بالمدارس، في حين أنه في الغاب الشرقي الذي يقطنه السنيون فنسبة الفتيات تنخفض إلى ما بين 0٪ و7٪ ٠ انظر أيضاً محمود صادق، حوار حول سوريا، ص 95، الذي يذكر أن السلطات السورية كانت أحياناً تحابى العلويين أثناء تخصيص المنح الدراسية للطلبة أو لدى اختيار أعضاء جدد للسلك الدبلوماسي السوري٠ كما يذكر أيضاً صادق تفضيل تعيين العلويين كمدرسين بالمدارس الهامة في مراكز التجمعات السكانية الكبرى٠

ويبدو أن الحال كان هكذا أيضاً لدى تعيين مدرسين للمواد التي تتسم بأهمية سياسية، مثل "التاريخ والتربية القومية والإشتراكية وعلم الإجتماع والفلسفة"٠

[363] قارن

Alasdair Drysdale, "The Regional Equalization of Health Care and Education in Syria since the

ونتيجة للتطورات الواردة بعاليه، أصبح الإنقسام بين أهل الريف وأهل المدن وبين الأقليات والسنيين، والذي كان جلياً في السنوات الأولى منذ عام 1963، أقل وضوحاً شيئاً فشيئاً، كما اصبحت العلاقات بين الطوائف والطبقات أكثر تعقيداً[364].

5- الفشل في اقتلاع الفساد من داخل النخبة العلوية

خلال عهد الأسد أخذت السياسات الإجتماعية الإقتصادية في التدرج نحو الواقعية والتحرر، تاركة وراءها الصرامة التي اتصفت بها خلال الفترة الأولى من حكم البعث والتي كان يسيطر عليها صلاح

Ba'thi Revolution", International Journal of Middle East Studies, Vol. 13 (1981), pp. 93−111.
رغم أن الأقليات العرقية غير العربية في سوريا مثل الأكراد والأرمن والشراكسة كان بإمكان أعضائها الإنضمام رسمياً لحزب البعث على أساس شخصي إذا ما تقبلوا مبدأ العروبة، إلا أنهم كانوا محرومين من التحرر السياسي الذي تمتعت به الأقليات الدينية العربية. وقد كان هناك قمع حاد لأى تطلعات قومية إذا ما حادت عن العروبة. ورغم أن الأقليات العرقية غير العربية التي تسكن العالم العربي كان يُعترف بها رسمياً في ايديولوجية حزب البعث، إلا أن نظام البعث السياسي لا يساوى بين العرب وغير العرب من حيث القومية، وبالتالي، يتم التمييز ضدهم سياسياً وإن لم يكن بالضرورة ثقافياً. ومع ذلك، لا بد من ملاحظة أن العديد من الجماعات العرقية والعشائرية والإجتماعية مُمثلة في مجلس الشعب السوري، وبذلك يكون لديهم مخرج سيأسى رسمي، مهما قلت أهمية وسلطة مجلس الشعب السياسية في الواقع. قارن
Volker Perthes, "Syria's Parliamentary Elections: Remodeling Asad's Political Base", Middle East Report, January−February 1992, pp. 15−18, 35; and Volker Perthes, Staat und Gesellschaft in Syrien, 1970−1989, pp. 262−263, 272−278.

[364] انظر
Raymond A. Hinnebusch, "Class and State in Ba'thist Syria", pp. 4647,
الذي يجادل أن "الطبقات هي التي توفر المفتاح الحاسم الذي يولد التغيير ويربط بين المراحل الهامة في تطور الدولة السورية المعاصرة. ولا يمكن تفهم ظهور البعثيين إلا كدالة في الصراع الطبقي العريض المنغرس في الإزاحات الإجتماعية الهامة ... ولم تتبلور حتى الآن أي طبقة حاكمة جديدة، كما لم تنجح في جعل الدولة كأداة بين يديها، ولكن ربما يكون ذلك الفصل القادم في التاريخ ... ولا يوجد من بين هذه التطورات ما يدحض أهمية السياسات الطائفية في المدى القريب ... ومع تقهقر الصراع الطبقي، تميل التكافلات الأولية إلى توكيد ذاتها كوسائل حاسمة وكروابط للعمل السياسي". لتحليل التغييرات في القاعدة الاجتماعيةالاقتصادية لنظام البعث منذ أوائل السبعينات، انظر:
Volker Perthes, Staat und Gesellschaft in Syrien, 19701989, pp. 36, 81, 220−222.

جديد اليساري الصارم. وبعد عام 1970، وخاصة في الفترة التي بدأت بالتدخل السوري في لبنان (1976)، استغلت النخبة السياسية والعسكرية سلطتها لتزداد ثراء، وأخذ الفساد يتفشى داخل الجهاز الحزبي والنظام. ولم يُكتب للعديد من الحملات التي كانت ترمى لإقتلاع الفساد إلا نجاح محدود جداً، حيث كان من الصعب النيل من العناصر الفاسدة من النخبة العسكرية العلوية (وأيضاً غير العلوية) التي كانت تتمتع بمراكز مرموقة والتي كانت تنتمي لحاشية الرئيس وما يتبعها. فاتخاذ أي إجراء تأديبي ضد أهم مؤيدي الرئيس كان من شأنه تقويض وضع السلطة ككل داخل النظام ذاته بشكل مباشر. ولذلك، لم تُتخذ مثل هذه الإجراءات. وقد كانت النخبة العلوية تشكل في الأصل إحدى القوى العظمى داخل النظام التي كانت تميل إلى التغيير الجذري. وبعد أن ازدادت ثراء وحصلت على شتى أشكال المزايا الحصينة، أصبحت هذه النخبة بعينها حجر عثرة كبيرة أمام عملية إصلاح التعسفات التي شملت الدولة[365]. لقد كوَّن الضباط العلويون الأثرياء وعائلاتهم نوعاً من الائتلاف مع البرجوازية الثرية من أهل المدينة، وبالذات مع الدمشقيين السنيين، وأيضاً مع آخرين، بما فيهم مسيحيون. وتولد لدى الأخيرة رغبة مباشرة في الحفاظ على نظام البعث الواقع تحت سيطرة العلويين، طالما كان بإمكانهم الاستمرار في أعمالهم الناجحة[366].

إن الفساد والشعور بالسخط تجاه السياسات الاقتصادية كان يتسبب في أن تُحجب الضغائن الطائفية ضد النظام بفعل الامتعاض الاقتصادي.

---

[365] قارن

Raymond A. Hinnebusch, "Class and State in Ba'thist Syria", p. 43.

يذكر هينيبوش ان "كمجموعة تتمتع بمزايا، فإن أجزاء كبيرة من الطائفة العلوية قد انتقلت بالفعل من الحضيض الأسفل إلى أرمق المراكز الإجتماعية". وحول قضية الفساد انظر أيضاً

Yahya M. Sadowski, "Patronage and the Ba'th: Corruption and Control in Contemporary Syria", Arab Studies Quarterly, Vol. 9, No. 4, Fall 1987, pp. 442–461; and Volker Perthes, Staat und Gesellschaft in Syrien, 1970–1989, pp. 232–237, 303–304.

[366] قارن

Volker Perthes, "The Bourgeois and the Ba'th", Middle East Report, May–June 1991, pp. 31–37; and Volker Perthes, Staat und Gesellschaft in Syrien, 1970–1989, p. 283,

الذي يلاحظ أن تغير النظام في 1970 "كان يعنى أيضاً تغيراً في استراتيجية التنمية والاستراتيجية الاجتماعيةالاقتصادية ... وأن القيادة الجديدة لم تعد تحاول أن تحارب البرجوازية، بل حاولت بالأحرى أن تدمجها داخل مفهومها الاجتماعي السياسي".

6- الدين والطائفية

الدين في حد ذاته لم يلعب دوراً يضاهى في أهميته الدور الذي لعبته الطائفية. فالجهود التي بذلها المعارضون السنيون لحشد المعارضة ضد نظام البعث الواقع تحت سيطرة العلويين من خلال قنوات دينية ومناظرات لاهوتية تسببت في إثارة التضامن الجماعي العلوي أكثر من إثارة الجدل والخلاف الديني البحت، بل وجعلت العلويين يدافعون علناً ورسمياً عن موقفهم من وجهة نظر لاهوتية، سواء كان ذلك في مرحلة متأخرة نسبياً في الثمانينات أو التسعينات. وعلى مر القرون، كان المشايخ العلويون يفضلون التزام الصمت وعدم مناقشة أمور دينهم مع الغرباء. وفى ظل الظروف السياسية الجديدة بدأوا يتركون الصمت جانباً، مؤكدين أحياناً بشكل تبريري على الأبعاد التقليدية للدين العلوي (الجعفري).

كما حاول الرئيس حافظ الأسد في العديد من المناسبات بناء صورة دينية تقليدية لنظام البعث العلماني، بالصلاة الجهرية مثلا في المساجد السنية في معظم الأحيان (بما في ذلك الجامع الأموي الشهير بدمشق)، أو الظهور علانية في صحبة كبار رجال الدين السنيين، أو الاقتباس من آيات القرآن في خطاباته. وقد قام الأسد بتشييد مساجد، بما في ذلك في بلدته القرداحة. إلا أنه من المشكوك فيه أن تكون مثل هذه الأعمال قد بدت مقنعة لمعظم السكان السنيين، بغض النظر عن صدق نوايا الرئيس السوري.

وحتى إذا كانت المحسوبية والتضامن الطائفي تحفزهما الدوافع الإجتماعية والسياسية البحتة وليس الدافع الديني، فهذا لم يمنع السكان السنيين التقليديين وآخرين غير علويين من اعتبار حكم البعث الواقع تحت سيطرة العلويين كنوع من القمع شبه الديني، رغم أن الأمر لم يكن يبدو هكذا بالنسبة للبعثيين المسيطرين. وجدير بالملاحظة أن جزءاً من طائفة السنيين التقليديين كان يعتبر علمانية البعث بحد ذاته بمثابة موقف معادٍ للدين.

7- امكانيات توسيع قاعدة السلطة الطائفية الضيقة

إن احتمالات وامكانيات توسيع القاعدة الحقيقية للسلطة داخل نظام البعث في سوريا الواقع تحت

سيطرة العلويين محدودة نسبياً في الوقت الحاضر. فالحلقة المفرغة التي وجد النظام السوري نفسه بداخلها مراراً وتكراراً لا تزال قائمة: كان لا بد للانظمة البعثية المتعاقبة في سوريا أن يكون لها اداة سلطة قوية لتحقيق التغييرات الإجتماعية الجذرية، بما في ذلك قمع الولاءات الطائفية والإقليمية والعشائرية. ومن جهة أخرى، أدى الاحتفاظ بالسلطة إلى الإعتماد على تلك الولاءات، مما أدى بدوره إلى الحد من قمعها. وبذلك يمكن استخلاص أن التغييرات الإجتماعية والإقتصادية الجذرية قد تحققت بنجاح تحت حكم حزب البعث، إلا أنه كان من الصعب اقتلاع التقاليد القديمة، وقد باءت محاولات قمع الولاءات الطائفية والإقليمية والعشائرية بالفشل. وتبقى المراكز الحساسة استراتيجياً وسياسياً داخل القوات المسلحة وأجهزة الأمن وغيرها من مؤسسات السلطة مقصورة على أبناء الطائفة العلوية، ما عدا القليل من الإستثناءات.

إن العديد من السيناريوهات الخاصة بتغيير الصبغة العلوية القوية التي يتسم بها النظام أمر يمكن تصوره، وقد سبق وصفها بعاليه. ورغم أنه لا يصح استبعاد هذا الاحتمال كلياً، إلا أنه لا يبدو محتملا أن تنقشع السيطرة العلوية تدريجياً وسلمياً ليحل محلها نظام يتسم بقاعدة أوسع، دون اللجوء للعنف. إن مشاعر الإنتقام بين هؤلاء الذين عانوا من قمع حكم البعث الواقع تحت سيطرة العلويين مازالت قائمة، وستبقى معارضة السنيين بمثابة خطر محتمل يهدد النظام في المدى الطويل، طالما استمرت السيطرة العلوية.

8- التوعية البعثية والواقع السياسي: الرفض والقبول بالطائفية

في ظل الاستقلال السوري، امتدت فترة الحكم البعثى منذ 1963 تقريباً لضعف الفترة غير البعثية السابقة له (1945-1963). ونظراً لأن الغالبية العظمى من الشعب السوري لا يتعدى عمره الثلاثين عاماً، فإن معظمهم لم يختبر أو يتعرف إلا على الحكم البعثى، ولم يتعرض من خلال الدراسة ووسائل الإعلام إلا لـلإيديولوجية والآراء البعثية. والأفكار التي كانت تُعْتَبَر منذ أكثر من ثلاثين عاماً أفكارٌ بعثية بحتة، أصبحت الآن بالنسبة للعديد من السوريين جزءاً من الحياة اليومية. وهذا لا يعنى بالضرورة أن الإيديولوجية البعثية مقبولة بوجه عام، أو أنها متأصلة في المجتمع، فيما عدا ما قد يمت

بصلة لبعض الأفكار البعثية حول القومية العربية[367]. ويمكن استخلاص أن أهمية حزب البعث وايديولوجيته أخذت تتناقص تدريجياً خلال عهد الرئيس حافظ الأسد، بينما ازداد الإلتفاف حول شخصية الرئيس، كما هو الحال مع زعماء عرب آخرين بالمنطقة[368].

وفى الحقبة البعثية تطورت الفكرة المزدوجة المتناقضة والمنافية التي تنادى من جانب برفض الطائفية والإقليمية والعشائرية رسمياً لكونها أفكاراً سلبية ومتخلفة إذا لم تنف وجودها نفياً كلياً وبتقبلها من جانب آخر كجزء من واقعية الحياة السياسية والإجتماعية.

9- استمرار حظر مناقشة الطائفية علانية

رغم أنه كان يُفترض أن الهويات والولاءات القومية العلمانية والإجتماعية الإقتصادية كانت تحل

---

[367] قارن

Volker Perthes, Staat und Gesellschaft in Syrien, 1970−1989, pp. 264−265, 275−280,

الذي يلاحظ أنه يبدو أن معظم السكان لا يبالون بحزب البعث والحكومة. انظر أيضاً

Hans Günther Lobmeyer, Islamismus und Sozialer Konflikt in Syrien, pp. 19, 24−25,

الذي يذكر إنه خلال الستينات نجح الكثير من معلمي المدارس ذات الاتجاهات الإسلامية في التغلغل داخل قطاع التعليم، لأنهم نجحوا في شغل الفراغات التي تركها المعلمون البعثيون والمتعاطفون الذين تم الاستعانة بهم في ذلك الوقت لتعزيز بناء البيروقراطية البعثية الجديدة. وفى السبعينات بعد تصفية صلاح جديد وأعوانه حصل الإسلاميون على فرصة مشابهة لذلك، ونجحوا في فرض المزيد من النفوذ على الطلبة لفترة ما.

[368] لقد قام أحد كُتاب سيرة حافظ الأسد بصياغة اصطلاح "الأسدية"، الذي وصفه بأنه "البعث الجديد الذي يقوده حافظ الأسد؛ إنه البعث المتجدد، المتطور فكراً ومواقف ومنجزات ... إن كلمة "الأسدية" تعني أن تياراً جديداً متميزاً قام في سوريا ... إن هذه المدرسة تجاوزت مدرسة البعث التقليدية، وحين نقول (تجاوزت) لا نعني أنها تناقضت. إن هذه المدرسة الفكرية النضالية لم تتناقض في الأصول، لا مع الناصرية ولا مع البعث، ولكنها جددت وطورت، وارتفعت إلى مستوى الأحداث التي تجددت وطورت ...". انظر: فايز اسماعيل في مقدمته لفؤاد العشا، حافظ الأسد: قائد ورسالة، دمشق، 1993، ص 37 . وقد انعكس مبدأ عبادة قيادة الأسد بوضوح من خلال وجود أكثر من 100 سير مختلفة لحياة الرئيس السوري منذ 1990، تم نشر أكثرها في دمشق، وجميعها مديح. انظر أعمال فؤاد العشا، ورياض سليمان عواد، ولوسيان بيترلان، وعادل حافظ، وهاني خليل، وصفوان قدسي، وعادل رضا، وأيمن شعبان، ومصطفى طلاس و اخرين في المراجع.

محل تلك الطائفية وغيرها من الهويات الأولية الإجتماعية في أيام العز للعروبة العلمانية الإشتراكية، إلا أنه فيما بعد أصبح شائعاً الجدل بأن العوامل المذكورة أخيراً هي القاعدة الحضارية الأكثر طبيعية للسياسة في الشرق الأوسط. إن الاهتمام السياسي خارج سوريا بموضوعات مثل الطائفية والإقليمية والعشائرية، بجانب الهوية العرقية والتنوع، أصبح بارزاً أكثر مع الإنبعاث الجلي لمثل هذه العوامل وما يمت لها بصلة خلال الثمانينات والتسعينات في غضون الصراعات المختلفة بشتى بقاع العالم[369]. أما في سوريا ذاتها، فما زال هناك حظر على التحدث والمناقشة والكتابة العلنية والصريحة حول الولاءات والتناقضات والخصومات الطائفية والإقليمية والعشائرية، خاصة في الدوائر الرسمية القومية العربية، وذلك لأسباب سياسية، وبغض النظر عن وعى الشعب الواضح بأهميتها.

---

[369] في دراسته حول الأقليات في العالم العربي التي نُشرت عام 1994، يجادل سعد الدين ابراهيم بأن "جميع الصراعات الدائرة في العالم منذ 1988، ربما باستثناء الغزو العراقي للكويت، دارت حول مسائل عرقية داخلية ... إن الوعي العالمي بالطبيعة المتفجرة للسياسات العرقية كان مما لا شك فيه عاملا معجلا بصدور "إعلان بشأن حقوق الأشخاص المنتمين إلى أقليات قومية وأثنية وإلى أقليات دينية ولغوية" من قِبل الجمعية العامة للأمم المتحدة، والذي اعتُمد في 18 ديسمبر (كانون الأول) 1992 (قرار رقم 135/47). انظر: سعد الدين ابراهيم، الملل والنحل والأعراق: هموم الأقليات في الوطن العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1994، ص 6 . ويمكن استخلاص مدى حساسية مسألة الأقليات بالنسبة للقوميين العرب وغيرها من الدوائر خلال الثمانينات والتسعينات طبقاً لسعد الدين ابراهيم من كون استغراق مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت أكثر من ستة أعوام لأخذ قرار الاعتذار عن نشر مخطوطة كتابه أخيراً، حيث أنه بعد استطلاع آراء أطراف ثالثة اتضح أنه (دون أن يكون ذلك مثيراً للدهشة) من المحال إصدار نسخة "موضوعية" ترضى جميع الأطراف.

ملحق أ : تحليل بعثي للطائفية والإقليمية والعشائرية[370]

من أجل بناء حزب ثوري ..
رد الحزب بالعروبة على الجاهلية والتعصب
فطرحت الطائفية في الحزب كمحاولة مجرمة لتحويل الحزب إلى نقيضه

عندما طرح الحزب القضية "القومية الاشتراكية" حدد هوية الصراع الذي سيخوضه في سبيل تحقيق هذه القضية، كما حدد نوعية الصراع الذي ينبغي على الشعب العربي أن ينطلق منه، واعتبر هذا الصراع وجهين متلاحمين لقضية واحدة، فهو من جهة صراع بين الطبقة الكادحة المحرومة ضد مستغليها ومن جهة أخرى صراع بين هذه الطبقة وبين الاستعمار والطبقة المستغلة التي تستفيد من التجزئة والواقع الاجتماعي المريض.

ومن هذا التحديد اعتبر الحزب ان اي صراع في المجتمع العربي يدور على غير هذا الاساس نوعا من الابتعاد عن الصراع الذي تتحقق به مصلحة الشعب، يزيد من تمزيقه ويوزع جهوده ويعيق امكانية تقدمه ومن هذا الاعتبار لقد اكد الحزب منذ البداية ان الاقليمية والطائفية والعشائرية امراض خطيرة في المجتمع ينبغي محاربتها بجميع الوسائل لما لها من خطورة في زيادة تمزيق المجتمع وترسيخ التجزئة وتعميقها.

كما اعتبر ان أي صراع في المجتمع يقوم على الاقليمية او الطائفية او العشائرية صراع يهدد قضية الشعب ووجوده، ولذلك اكد ان العروبة بمعناها الانساني هي الرابطة الاساسية بين ابناء الشعب، وان اي انتماء آخر يأخذ صفة الانحراف لأنه يكون على حساب هذه الرابطة وينافى المباديء التي تضمن وجود وتقدم الشعب العربي، ومن خلال مسيرة الحزب النضالية فقد آمن بالصراع الطبقي كحقيقة تاريخية تحقق الوجود القومي من جهة وتضفى الطابع الانساني عليه من جهة اخرى.

---

[370] وثيقة رسمية للحزب نشرت أولا في المناضل (العدد الثالث، ابريل (نيسان) 1966، ص 3)

وبعد قيام ثورتي رمضان وآذار (أي، الثورتين البعثيتين في كل من العراق وسوريا في 8 فبراير (شباط) و 8 مارس (آذار) 1963 على التوالي) فقد احس كل من الاستعمار والرجعية العربية بخطر هذا الحزب وخطر المباديء التي يطرحها ويعمل لتحقيقها، وعمل جاهدا مستخدما كل الاسلحة للتآمر على هذا الحزب وثورتيه، وان كان استطاع ان يظفر بثورة رمضان فقد عجز عن الظفر بثورة آذار كما عجز عن سحق الحزب في العراق.

وقد ادرك اعداء الشعب ان التآمر المسلح لن يزيد من الحزب الا متانة وقوة وحتى لو انتصر فان انتصاره مؤقتا، ولهذا ركزت اجهزة الاستعمار والرجعية العربية على محاربة الثورة في جميع المستويات سواء على صعيد المباديء التي تطرحها او على صعيد الحزب الذي يشكل الاداة العملية لتحقيق هذه المباديء، وانطلقت هذه الاجهزة بعناد في استغلال العقلية اليمينية والفردية (والمقصود هنا: القيادة القومية المخلوعة والرئيس السوري الأسبق الفريق أمين الحافظ) فيه لتفتيته، كما لعب بالورقة الطائفية والاقليمية والعشائرية الى ابعد الحدود كوسيلة اساسية في انهاء الحزب فكرا واداة.

فبالطائفية والاقليمية والعشائرية تستطيع هذه القوى تحقيق عدة أهداف أهمها:

1- انها السبيل لاذكاء صراع داخلي في المجتمع يلهى الشعب ويبدده عن الصراع الطبقي الذي يطرحه الحزب.

2- انها السبيل لتقسيم المجتمع عموديا كرد على الفرز الافقي الذي يطرحه الحزب بين طبقة مستَغَلة وطبقة مستَغِلة.

ففي تغذية الطائفية مثلا ينمى الروابط بين الفلاح او العامل وبين الاقطاعي او الراسمالي ابناء العائلة الواحدة بحيث يجعل من ابناء هذه الطائفة كتلة تقف في وجه طائفة اخرى وبذلك ينهى الصراع الطبقي كما يعيق من انتشار اية حركة سياسية بين جماهير الشعب، كما هو حاصل في لبنان مثلا.

3- ان الانتماء الطائفي او الاقليمي او العشائري يصبح بديلا للانتماء العربي وبذلك يعطل امكانية النضال

القومي ويتخلص من الخطر الذي يشكله مفهوم القومية العربية على الاستعمار والرجعية.

4- انها السبيل الى تمزيق الحزب والى انهاء قسم من اعضائه اذا استطاع تسريب مثل هذه المفاهيم الى عقول هؤلاء الاعضاء.

ولهذا اجد اجهزة الاعلام واجهزة بث الشائعات المرتبطة بالاستعمار والرجعية تركز باستمرار على ترسيخ معان طائفية احيانا واقليمية وعشائرية احيانا اخرى لكل خطوة تخطوها الثورة سواء الى الامام او الى الوراء.. وهى ليست حريصة على دمغ الحزب بصفة طائفية او اقليمية ثابتة بل تترك هذه الصفات مرنة للاستفادة منها في كل المناطق وحسب تأثر سكان هذه المناطق، فهي تارة تطبع الحزب بالانتصار للطائفة السنية ضد طوائف الشيعة كما حصل في العراق وفى بعض مراحل الثورة في سوريا، وتارة تطبع الحزب بالانتصار لطوائف الشيعة والمسيحية ضد الطائفة السنية كما تطرح الشائعات التي تطلقها هذه الاجهزة في سوريا.

أما المناطق التي لا تتأثر كثيرا بالطائفية فالشائعات الرائجة بينها غالبا ما تكون على أساس اقليمي او عشائري، فلان تصرف كذا لأنه تكريتي، وآخر تصرف لانه راوي، وآخر تصرف كذا لانه ديري او حموي او من حوران ... الخ.

ويذكر رفاقنا كيف كانت الشائعات تصور انتصار السنة عندما اخرج (اللواء العلوي محمد) عمران وكيف كانت تصور انتصار طوائف الشيعة عندما اعتقل (الرئيس السني السوري الفريق أمين) الحافظ رغم اعتقال عمران أيضاً وكيف تصور هذه الشائعات خطوات استيلاء وتوزيع الاراضي والتأميم أنها انتصارا لبعض الطوائف (أي، الأقليات الدينية مثل العلويين والدروز)، تصور ذلك وبالحاح شديد اثار انتباه الحزبيين وفى جميع المراحل.

والحقيقة انه ليس الاستعمار والرجعية فقط كانا مصدر هذه الشائعات بل كانت احيانا بعض الفئات التي تعطى لنفسها صفة التقدمية لا تتوانى عن استخدام هذه الاسلحة في محاربة الحزب والثورة.

وقد استغلت هذه الاجهزة التناقضات التي برزت في قيادات الحزب والثورة واخذت تطبعها بهذا الطابع الى درجة تمكنت فيها اغراء بعض القياديين باللعب بورق الطائفية والاقليمية وخصوصا اولئك

الحزبيين الذين فقدوا المنطق الحزبي والوسيط الحزبي لتدعيم مواقفهم وسلوكهم الذين اصبحوا في هذه المواقف والتصرفات في مواقع الصدام مع الحزب ومؤسساته، وقد حاول هؤلاء طرح الموقف على اساس طائفي وساهموا في تعميقه ضمن الجهاز الحزبي ورغم ان الاستجابة كانت ضعيفة عند القواعد الحزبية إلا أنها لم تعدم وجود عناصر مناعتهم الحزبية لم تكتمل بعد او وجدوا لانفسهم مصلحة بذلك. ومن هذه الثغرات تسللت هذه الامراض الى نفوس البعض وافسدت مفاهيم الكثير منهم حتى باتوا بدون تورع لا يخجلون من معالجة امور الحزب على اسس طائفية واقليمية. وبذلك وضعوا انفسهم في مزالق الانحراف واصبحوا من حيث يدرون او لا يدرون مطية للطابور الخامس.

لقد بلغت هذه الظاهرة ضمن الحزب أوجها قبيل وبعد الاجراءات التي اتخذتها القيادة القومية (في 21 ديسمبر (كانون الأول) 1965) وقد لعب أمين الحافظ ومحمد عمران دورا كبيرا في اذكائها حتى اصبح الطرح الطائفي علنا وفى الاجتماعات الحزبية كما حصل في اجتماعات الامين القطري السابق في فرع الطيران العسكري وبعض الفروع، بل لم يتوانوا عن تكتيل حزبيين وغير حزبيين على هذه الاسس وخاصة في الجيش، كما كشفت التحقيقات الاولية عن ذلك[371].

وقد كانت حركة 23 شباط ليست ردا على العقلية اليمينية والفردية وحسب بل ردا حاسما ايضا على الطرح الطائفي واثبتت قواعد الحزب بتنفيذها للحركة والانتصار لها مدى ثباتها واستنكارها لمنطق هؤلاء.

لقد كانت حركة 23 شباط برهان عملي على ان مناعة الحزب اقوى من ان تفتته مثل هذه الشعارات اللئيمة، فالذين نفذوا وايدوا كانوا من جميع محافظات القطر والذين اعتقلوا او اخرجوا من البلد ايضا لم يكونوا من فئة او طائفة معينة، بل انما الفرز كان واضحا بين المؤمنين بالحزب هدفا واداة وبين الذين لم يتورعوا عن استخدام كافة الشعارات الغريبة عن مباديء الحزب او اتصلوا بفئات سياسية اخرى من وراء ظهر الحزب واستعدوا عليه. ورغم ذلك لم تنجح حركة 23 شباط من اتهامها بالطائفية والاقليمية احيانا بل استمات الطابور الخامس في تصويرها بذلك مستفيدا من بعض الحزبيين الموتورين ومستخدما اياهم لترسيخ ذلك.

---

[371] انظر ملحق ب

اولئك الحزبيين الذين اعمتهم ارتباطاتهم وفسدت مفاهيمهم والذين اصبح بعضهم لا يتورع عن التعاون مع الشيطان في سبيل القضاء على هذا الحزب وثورته٠

ورغم ايماننا المطلق بوعي الاكثرية الساحقة من قواعد حزبنا وثباتها، ورغم ايماننا المطلق بانتصار هذا الحزب على اعدائه واعداء الشعب، فإن واجبنا كقيادة يحتم علينا استئصال اولئك الذين تسممت مفاهيمهم حتى ولو كانوا عنصرا واحدا في الحزب٠ هذا بغض النظر عن ماضيه النضالي، لأن الانسان ليس فقط ابن ماضيه بل ابن ماضيه وحاضره ونحن مؤمنون ان المناضل ليس هو الانسان الذي وقف في ماضيه وقفة مشرفة انما هو الانسان الذي لا يترك طريق النضال من اجل مباديء آمن بها مادام على قيد الحياة٠

ايها الرفاق،

ايمانا من المؤتمر القطري الاستثنائي (المنعقد في دمشق في مارس (آذار) 1966) بخطورة طرح الشعارات الغريبة عن مباديء الحزب والمنافية لها من بعض الرفاق الحزبيين فقد اقر التوصية التالية:

مطاردة كل العناصر التي تطرح مواقف طائفية او اقليمية او عشائرية واتخاذ اقصى العقوبات الزجرية وخاصة بحق الحزبي منها٠ ان هؤلاء الموتورين الذين يعالجون امور الحزب والثورة بمثل هذا المنطق يستحقون اقسى العقاب وان اي تهاون من قبل القيادات العليا او المباشرة، مع مثل هذه العناصر يعتبر جريمة بحق الحزب ومبادئه وبحق الشعب وقضيته٠

ان اللعب بورق الطائفية والعشائرية والاقليمية اسلوب لئيم لا يخدم سوى مخططات الاستعمار في تمزيق المجتمع ولا يجوز اطلاقا ان يعامل كرفيق ذلك العنصر الذي يعالج الامور بهذه المنطلقات وعقوبته يجب ان لا تقل عن عقوبة عدو الشعب٠

واستنادا لهذه التوصية فإننا نطلب من كافة القيادات الحزبية ان تشير الى عقد الاجتماعات الحزبية ومناقشة هذه الظاهرة وتوضيح معانيها والمرامي التي تسعى ورائها٠٠ ورفع المعلومات التي تتوافر لديها

عن اولئك الذين يعالجون امور الحزب من خلال المفاهيم الطائفية او الاقليمية او العشائرية، حتى يصار الى تصفية الحزب منهم وبترهم، ومن ثم تطبيق القوانين الزجرية بحق العناصر الخطيرة منهم٠

ان القيادات الحزبية في كافة المستويات مسؤولة عن اي تغاضى او تساهل مع اولئك العناصر الفاسدة، ولذلك نطلب منها التحرك والاسراع بارسال كل المعلومات بعد ان نتأكد من صحتها مع اقتراحاتها المنسجمة مع هذه التوصية٠

ايها الرفاق،

ان عهد التراخي والميوعة قد انقضى، وان بناء الحزب بناء صلبا متينا متجانسا قضية مسؤولة عنها كل القيادات، ولذلك فان اية قيادة تتراخى وتتساهل بحق العناصر الفاسدة والغريبة في مفاهيمها عن مباديء الحزب، مسؤولة عن تراخيها هذا امام القيادة القطرية بل تعتبر متواطئة على الحزب وسلامته٠

فإلى المزيد من الاشراف والتوجيه،

والى المزيد من المراقبة والحزم في المحاسبة،

والى المزيد من النضال في سبيل قضية امتنا العربية ٠٠

والخلود لرسالتنا

مكتب التنظيم والإعداد الحزبي

ملحق ب : اعترافات حول الطائفية في وحدات الجيش بحماة[372]

الطائفية

من الاساليب التي استخدمت ايضا في تهيئة الجو لعملية عسكرية هو الاسلوب النفسي بين افراد الجيش بدفعهم لاتخاذ مواقف تكون الى جانبه وخاصة اعداء الحزب، رغم مخالفة ذلك لابسط مباديء الحزب ودستوره ونظامه الداخلي والذي جاء حزبنا عليها وعلى اية تفرقة يقصد من ورائها تمزيق الشعب العربي وجماهيره الكادحة.

فاضافة الى ظهوره بين القواعد الحزبية فانه قد ظهر هذا الاسلوب بالتحقيقات الجارية مع الضباط وجنود مواقع حماة، واننا نورد هنا صورا عن هذه الاعترافات:

1- قال الملازم الاول احمد كلاس من الفوج 237م/ط:

منذ عشرين يوما تقريبا تمت هذه السهرة في منزل النقيب عبد الجواد وكان الحديث متنوعا ومن ضمنه دار النقاش اتذكره كما يلي:

(تكلمت زوجة الملازم غسان حموي حول تكتل العلويين وروت ما تعلمه من تكتل العلويات في دار المعلمات اثناء دراستها، وفى هذه الاثناء بالذات دار الحديث حول تكتل طائفي في الجيش فقال احد الاثنين "عبد الجواد غسان حموي" ان العلويين ليحاولون السيطرة على الجيش او بما قضى هذه العبارة ويجب علينا ان نتكتل بالمقابل).

---

[372] التقرير الوثائقي لأزمة الحزب والمقدم للمؤتمر الاستثنائي المنعقد بين 10/ 3 – 27/ 3/ 1966 (خاص بالأعضاء): حزب البعث العربي الاشتراكي القطر السوري القيادة القطرية، ص 88 -93 . (من الجدير بالملاحظة أن الأشخاص الوارد ذكرهم بالملحق ب مسلمون سنيون).

2 – قال الرقيب الاول مصطفى عجنبجي من نفس الفوج ما يلي:

أول انسان اتصل بي وفاتحني بهذا الموضوع هو العريف العتر وكان ذلك بتاريخ 1966/2/9 اذ قال لي بانه مسؤول امام النقيب عبد الجواد لاعلامه عن كل ما يحدث هناك من اجتماعات ثم يقول اتصل بي العريف حمشو وقال لي يجب ان تراقب العلويين ماذا يعملون حيث نعلم النقيب عبد الجواد، واتصل بي المساعد عبد الرحمن ياسين فقال لي: القضية ياعجنبجي ليست قضية حزب بل قضية دين، يجب ان تدافع عن دينك وحريمك وفى اليوم الثاني الرقيب الاول محمد حسون مكررا اقوال المساعد ياسين والعريف حمشو.

وقال ايضا:

ان التنظيم سيلغى ويحل محله تنظيم جديد.

3 – قال المجند عبد الجليل الابرش من نفس الفوج:

قبل عيد الفطر حضر لخيمتي الملازم الاول غسان حموي والرقيب محمد حسون وبجانبي المجند سليم ابازيد وابراهيم الرشيدات ولعبنا الورق واثناء ذلك قال لنا الملازم المذكور:

كونوا صاحيين وديروا بالكم وبدا ينبهنا.

هذا في الاجتماع الاول اما في الاجتماع الثاني اجتمع معي وبحضور العناصر وقال:

العلويين متسلطين على الحكم وسيأتي يوم يغدروا بالسنيين ويقضوا عليهم.

حتى انه في احد الايام حضر لخيمتي الرقيب محمد حسون بامر الملازم غسان حموي وقال لي:

خذ هذه المفاتيح الخاصة بمستودع الاسلحة واذهب واحضر بارودة مع مخزنين ملانين بالذخيرة و فعلا ذهبت وجلبتها وعلقتها بالخيمة ٠ الا ان الملازم غسان امرني باخفائها ففعلت وقال لي:

انشاء الله ونحن وضعناها اي البندقية عندك لاننا نجتمع عندك بدون سلاح ونخاف من العلويين يقومون بحركة اعتقالنا وقتلنا لذلك اخفينا هذه البندقية كي نستخدمها ضد العلويين اثناء المفاجأة٠

4 – قال الرقيب ديب بابات من نفس الفوج:

لقد سمعت من العريف محمد عباس والجندي محمد ديب سعد يقولون اننا ذابحين العلوية في السرية الثالثة ولا يستطيعون ان يرفعوا رأسهم وانه لم يكن هناك طرح طائفي قبل مجيء النقيب عبد الجواد نجار٠

5 – قال الجندي الاول ديب خليل سعد من نفس الفوج:

انني حزبي منذ ثلاث سنوات لا اعرف للطائفة من معنى الا انه ومنذ شهرين تقريبا وبعد القيادة القطرية وفى احد الاستنفارات جاء الرقيب الاول محمد حسون وقال لي ان هناك مشاكل في الجيش متأزمة وهى بين الطائفة السنية وبقية الطوائف وانه لا بد للحفاظ على ديننا من ان نكون يدا واحدة ولما شعرت بانه مقتنع عما يقول وناقلا هذه الالفاظ عن النقيب عبد الجواد ابديت استعدادي لاية مساعدة٠

6 – قال الجندي عيد برجس من نفس الفوج:

في 1966/1/1 سألني الرقباء محمد حسون رياض سالم ومحمد عباس وقالوا لي انت مسلم[373]ý٠ فقلت نعم، فقالوا اذا كنت صحيح تحافظ على دينك وعرضك ترى الجماعة العلويين و الدروز بدهم يتسلمون الحكم ويحاولون ازالة (الرئيس السوري السني الفريق أمين) الحافظ حتى يستلموا عندها اجبتهم اذا كان عملكم بقصد الدين فانا معكم واما بأمور سياسية فلا دخل لي بها وانضم اليهم الملازم غسان

---

[373] إن الكثير من المسلمين السنيين يعتبرون العلويين والاسماعيليين والدروز وغيرهم من المسلمين غير السنيين غير مسلمين٠ لذلك، فعندما يسأل سني شخصاً ما اذا كان "مسلماً" فهو يعنى ضمناً مسلماً سنياً٠

الحموي وغيرهم٠

7 – قال الرقيب الاول علي فاضل من الكتيبة:

على اثر حل القيادة القطرية (السورية) وحل محلها القيادة القومية اخذت اسمع شائعات بوجود خلاف بين القيادتين من قبل اهل المدينة ثم اخذ يؤيد لي هذه الانباء المساعد عبد الرحمن ياسين انه يوجد طائفي بين كتلة الفريق الحافظ اي الكتلة السنية والكتلة العلوية وان العلويين يعملون تكتل ضد الاسلام واذا استولوا على الحكم بهينونا وبذلونا ويجب علينا الانتباه ومراقبتهم حتى لا تتم السيطرة من قبلهم وان النقيب مصطفى عبدو يمثل الفريق في حماة ويجب علينا السير وراءه وندعمه حفاظا عن الاسلام ونصرة الدين وقال لي ان هذه الاقوال صادرة عن قائد الفوج٠

وقد سمعت عن لسان المدنيين ان النقيب مصطفى عبدو سيسلح الشعب اذا اقتضى الامر دفاعا عن كتلة الفريق الحافظ٠

8 – قال الرقيب الاول محمد حسون غير حزبي من فوج 237م/ط:

قال الرقيب عبد الجواد نجار ان القيادة القطرية عندما شكلت كانت من مختلف الفئات ولكنهم مع مرور الايام التي تحكم القطر من الطوائف الغير سنية ولكن هناك رجال من القيادة القومية شعروا بخطورة الموقف وحلوا القيادة واستولوا على حكم البلاد والجدير بالذكر ان المقدم مصطفى طلاس كيف انه يتعاون مع العلويين مع انه مسلم سني لكنه لا يلام لان والدته علوية بالاصل ثم اخذ ينبه ويلوم الفوج على عدم انتباهنا وسهرنا ومعرفتنا عن ذلك علما ان عموم بقية القطعات عارفة هذا الشيء وسهرانه جيده ونحن ننام فيجب علينا ان نصحوا من هذا السبات ونسهر دوما ونعود بالتاريخ الى الوراء ونتذكر الفتوحات الاسلامية والغزوات وما الى ذلك وكم من المسلمين استشهدوا في سبيل الدين والشريعة ونحن على شاكلتهم ولن نسمح لاحد ان يدوس على ديننا٠

وقال لي النقيب:

انني اراك متخاذل وهل فيما ألقي عليك من اوامر نطلب اليك الرد بكلمتين وذلك لتحديد موقفك اما معنا او ضدنا وفى الحالة الثانية سيكون مصيرك كمصيرهم الرش بالرصاص ثم ارسلنا الى الملازم غسان حموي وقلت له لقد ارسلني اليك النقيب عبد الجواد لانه في هذه الليلة بالذات ستقوم جماعة العلويين بذبح الاسلام ثم قال لي:

ولا تظنوا انفسكم انتم الغير حزبيين ان القيادة غير مهتمة بكم تأكدوا انه سيأتي يوم يصدر به قرار سرى من القيادة القومية بحل الحزب نهائيا واعادة تشكيله من جديد ونحن في هذه الحالة نعرف من ننظم بالحزب٠

9 – قال النقيب عبد الجواد نجار رئيس اركان الفوج 237م/ط:

خلال فترة حل القيادة القطرية اتصلت بالرقيب محمد حسون وهو غير حزبي وقلت له دير بالك بتجميع علوي وقد فاتحته بموضوع التكتل العلوي كما فاتحت بذلك الملازم غسان الحموي وغيرهم من الاشخاص٠ وقال:

لقد قمت بتعيين عناصر امن ارتباط على اساس سني وهم اخذوا بدورهم ينشطون حتى يتوسع التكتل وقد اعلمت قائد الفوج النقيب مصطفى عبدو بذلك فوافق على الفكرة٠

ملحق ج : تحليل عن القوات المسلحة السورية[374]

إن موضوع الجيش يتطلب منا وقفة طويلة وواعية لسبب بسيط هو ان الجيش اي جيش هو السياج الذي تقيمه المنظمات الحاكمة من حولها لتعمل على تطوير مكاسبها بمنأى عن المفاجآت، داخلية كانت ام خارجية، بل ولتضرب به عند اللزوم، كل من يحاول عرقلة مسيرتها، وهو بهذا المعنى سلاح ذو حدين، فاما ان يكون جيشا شعبيا، يمثل الطبقات الكادحة ويحرس منجزاتها، او ان يكون سيفا مصلتا على رقاب تلك الطبقات، ان كان جيشا محترفا او برجوازيا ٠٠ ولذلك تشترط الكتل السياسية التي تتقاسم فيما بينها "**مقاعد الحكم**" ان تتقاسم "**الوية الجيش وكتائبه**" كضمان لاستمرارها وفرض وجهة نظرها (اشترط الوحدويون الاشتراكيون على صلاح الدين البيطار للدخول في المجلس الوطني والاشتراك في الحكم مثل هذا الشرط)٠

ولذلك ايضا تستميت الامبريالية العالمية وعملاؤها، في ان يبقى تركيب الجيوش في البلدان المتخلفة، تركيبا برجوازيا، وذلك عن طريق ابعاد ابناء الطبقات الفقيرة والمحرومة عن مراكز القيادة والتأثير فيها (الضباط وضباط الصف)، وجعلها حكرا على ابناء الاقطاعيين والرأسماليين وكبار البرجوازيين، وادخال روح الاحتراف والطاعة العمياء على المفاهيم العسكرية، وابعاد الجيش عن السياسة **(عودة الجيش الى ثكنه)** لتكون مثل هذه الجيوش صمام الآمان، الذي تستخدمه الامبريالية، كلما تهددت مصالحها بالخطر كما فعلت في غانا واندونيسيا، وغيرها من بلدان العالم الثالث٠

ولقد كان احلال فكرة "**الجيش العقائدي**" "محل فكرة الجيش الاحترافي" البرجوازي الكلاسيكي هي اكبر ضربة، توجه الى مصالح الامبريالية العالمية، في الدول المتخلفة في العصر الحديث٠

ان "**القوة**" هي احد الاساليب التي يلجأ اليها الانسان في الدفاع "**عن وجهة النظر**" التي يعتقد انها الحق، وبذلك تكون قدرته على ممارسة تلك القوة تتناسب طردا، مع ايمانه باحقية وجهة نظره، وشدة

---

[374] أزمة الحزب وحركة 23 شباط وانعقاد المؤتمر القطري الأخير نشرة سرية داخلية خاصة بالأعضاء: حزب البعث العربي الاشتراكي القيادة القطرية، ص 15 – 28 ٠

العوائق التي تحول دون تحقيقها اي ان العبرة تقوم في الزند الذي يحمل السلاح، لا في السلاح نفسه، ويصبح التأهيل الفني العسكري، شرطا متأخرا على شرط التأهيل العقائدي، واذا ما تبادر الى الذهن، ان قضية الحق هي مشكلة نسبية، فالجواب ان هذا صحيح، اذا كنا مجرد علماء، نقيم وننصف الامور من خارجها، اما عندما نكون اعضاء في منظمة ثورية عن وعى وطوعية، فان قضية الحق بالنسبة لنا تغدو قضية واضحة، لا تقبل الشك او اللبس، انها قضية الاجيال العربية الكادحة المحرومة التي تمثل غالبية الشعب، قضية الدفاع عن اهداف هذه الجماهير والعمل بمختلف الوسائل الثورية على تحقيقها، انها قضية رفع الحيف والجور والظلم والهوان، التي ما برحت تربض فوق هام الانسان العربي، تنتقص من انسانيته وتلجم امكاناته وتخنق تطلعاته منذ مئات السنين٠

ان الجندي العقائدي الذي نعنى، يجب ان يتربى على هذه المباديء، كيما يصبح مؤتمنا على السلاح الذي يحمله وليكون السد المنيع في وجه كل الاعداء، اعداء الامة العربية اعداء الطبقات الكادحة المحرومة، اعداء الوحدة والحرية والاشتراكية، ما كان منهم في الداخل او كان في الخارج٠

في الجيش العقائدي – ايها الرفاق – تزول الاساليب الاحترافية الكلاسيكية القائمة على الارتزاق والقسر الاعمى وتحل محلها علاقات اخرى جديدة، علاقات قائمة على المحبة والتفاهم والايمان المشترك بالمصير المشترك٠

لقد كان من ابرز منجزات ثورة الثامن من آذار الشعبية ذلك التحويل العقائدي، بل الثورة العقائدية التي ادخلتها الى صفوف الجيش العربي السوري، ضباطا وضباط صف وافراد، حيث جعلت منه مثلا رائدا لكل بلدان العالم الثالث، بعد الجيشين الشعبيين في روسيا والصين الشعبية، ذلك ان معطيات الواقع العربي بما يحمله من ارتكاسات التخلف والتجزئة والاستعمار جعلت "**من الثورة**" الاسلوب الوحيد لتبديل ذلك الواقع المريض، والاسلوب الثوري، هو تجاوز الواقع تجاوزا "**نوعيا**" لا "**كميا**" انه تجاوز الطرق الاصلاحية الى "**حركة ثورية**" تضم طليعة ابناء الشعب ممن سبقوا غيرهم في تحسس امراض مجتمعهم وفى تصور المستقبل الامثل له تستقطب حولها معظم الجماهير الكادحة المحرومة، وتهيء نفسها للانقضاض على مواقع اليمين الاقتصادية والسياسية وعلى راسها "**تسلم الحكم**" اذن فاستلام الحكم من قبل الحركة الثورية، شرط اساسي وضروري من اجل تحقيق "**الثورة**" وتثبيتها، ومن هنا جاءت حاجتها الى "**جيش شعبي**" من طينتها وطبيعتها، سواء ليساعدها في الانقضاض "القبلي" على مواقع اليمين والرجعية

والامبريالية او في الحماية "البعدية" لعمليات التحويل الاشتراكي الاجتماعي القومي، مبرر قيام ثورة ومبرر بقائها واستمرارها، ومن هنا ايضا كانت كافة القوى المعادية للثورة، تستهدف اول ما تستهدف في مخطط استعادتها لمواقعها، الاطاحة بالثورة عن طريق "**خلخلة**" ذلك "**الاطار المسلح**" الذي يحميها والعمل على افساد "**بنيته الشعبية**" وتركيبه الاشتراكي، وذلك بمختلف الوسائل وادهاها، بدءا من فتح ابوابهم الفارهة لاستقبال عناصره واغراقها في "**بحر من المباذل**" الرخيصة الى محاولة "**الرشوة**" والشراء المباشر بالمال انهم بذلك يخترقون السياج الايديولوجي "**للعسكري**" ويفسدون التركيب النفسي الاشتراكي عنده، وشيئا فشيئا ترتخى السواعد الحاملة للسلاح والاصابع الضاغطة على الزناد ويكبو الجواد وتحل الكارثة٠

ايها الرفاق:

يجدر بنا ان نعرج قليلا على موضوع جيشنا العربي السوري، جيش ثورة آذار ثورة البعث العربي الاشتراكي، لنحلل وضعه ونضع يدنا على مواطن الصحة والمرض فيه، ونحاول ان نجنبه الانزلاق في المهاوي المخيفة التي يخططها له الاعداء٠

ان طبيعة معركة الاستقلال عندنا وعدم وجود تميز طبقي صارخ في مجتمعنا، سمح بان يتسرب الى "**الكلية العسكرية**" الى جانب كبار ابناء العائلات والتجار والبرجوازيين مجموعة من ابناء الفلاحين والعمال والكسبة غدوا فيما بعد "**النواة**" الثورية للجيش التي اهلته للقيام بدوره المشرف في حياة هذا القطر وحياة الامة العربية، بل في العالم الثالث باسره٠

ان التاريخ السياسي للقطر العربي السوري، ومنذ عام 1949، يبدو وكأنما هو "**ملحمة سياسية**" بين اليمين والرجعية والبرجوازية من جهة، وبين الطبقات الكادحة والحزب من جهة ثانية، الهدف الرئيسي فيها، تصحيح تلك **الغلطة التاريخية** بالنسبة للبرجوازية غلطة السماح لابناء الطبقات الفقيرة بالوصول الى قيادة القوات المسلحة والمحافظة على ذلك المكسب الكبير بالنسبة للحزب وللطبقات الكادحة، وليست سلسلة الانقلابات التي تتابعت على المسرح السياسي للقطر الا محصلة ذلك الصراع بين الطرفين **ولقد كان "عصيان قطنا"**[375] **(في عام 1957) نقطة تحول هامة في تاريخ الجيش العربي**

---

[375] من أجل "عصيان قطنا" انظر محمد عمران، تجربتي في الثورة، ص 13؛ سامي الجندي، البعث، ص 85؛ مصطفى

السوري، كانت لها جوانبها الايجابية، فهي من جهة اظهرت قوة تلك المجموعة من الضباط التي بدت في مجموعها مرتبطة بسياسة الحزب القومية الاشتراكية واثبتت وجودها المتميز بشكل مادي لاول مرة ومن جهة اخرى كشفت هذه القوة وجعلتها هدفا مباشرا للاستعمار والبرجوازية ٠٠ ولذلك فقد ازدادت حدة الصراع في الجيش بعد ذلك العصيان وبلغت ذروتها عند طرح موضوع الوحدة مع مصر٠ وكانت الغلبة هذه المرة كذلك الى جانب كتلة الحزب، التي منعت تسرب التمييع والمساومة الى مفاوضات الوحدة كقضية شعبية مصيرية مقدسة٠

وعندما ابعد حكم الوحدة، رفاقنا عن قيادة الجيش، واستبدلهم بعناصر من ابناء العائلات والبرجوازيين والمرتزقة والمحترفين حصلت كارثة الانفصال، التي سرعان ما حولها رفاقنا، على تشتتهم ومطاردتهم آنذاك الى نصر ساحق صبيحة الثامن من آذار عام 1963، ومعلوم ان عناصر وحدوية كثيرة غير حزبية قد ساهمت معنا في حركة 8 آذار الا انها اصطدمت مع الحزب، لاعتبارات لا مجال هنا لذكرها واصبح لا بد من تصفيتها لا لانها ليست وحدوية واشتراكية وانما لانه ليس اقتل للثورة من التناقض والتردد٠

ان الثورة سمحت لنفسها ان تلغى كافة المؤسسات البرجوازية القائمة دفعة واحدة، عليها ان تقدم ثمن ذلك مباشرة سريعة، باعمال التحول الاشتراكي والاجتماعي والقومي وبالتالي عليها العمل السريع لتحقيق الاهداف التي تسلمت الحكم من اجلها٠ وهذا لا يتأتى الا اذا عمدت الثورة الى تطهير صفوفها وازالت التناقض الذي يشل اداتها٠

ان القيادة القطرية من خلال دراستها لاوضاع الجيش في ظروف تحوله العقائدي خلال الفترة السابقة، تضع بين ايدي الرفاق ملاحظاتها الاساسية في الموضوع، والتي هي مستمدة في جوهرها من التقرير الذي قدمته القيادة القطرية المؤقتة الى المؤتمر القطري الاستثنائي الاخير٠ واقره بعد اجراء بعض التعديلات عليه:

1- ان ظروف قيام الثورة، وعدم انبثاقها المباشر عن التنظيم الحزبي الرسمي، جعلت كثيرا من

طلاس، مرآة حياتي، العقد الأول (1948-1958)، ص 630- 644؛

Rabinovich, Syria under the Ba'th 1963–66, p. 14.

الرفاق العسكريين الذين فجروا الثورة باسم الحزب، يشعرون بانهم اكثر مسؤولية حيال حماية الثورة من رفاقهم المدنيين ولقد كان لهذا الشعور آثارا سلبية على الحزب، اخذت عند البعض شكل الوصاية من الجيش على الحزب، واخذت عند البعض الآخر صورة الاستخفاف وعدم الاحترام للتنظيم المدني، كما اغلق نتيجة ذلك التنظيم العسكري بوجه القيادات النظامية ولفترة طويلة٠

2- الحت ظروف الثورة الاولى، ومرحلتها الصعبة على دعوة عدد كبير من العسكريين الاحتياطيين (ضباط وضباط صف) حزبيين ومؤيدين لملء الشواغر التي نجمت عن تصفيات الخصوم، ولتدعيم مواقف الثورة وحمايتها، ولم يسمح ذلك الالحاح آنذاك باعتماد اسس موضوعية في عملية الاستدعاء وانما كانت عوامل الصداقة والقرابة، واحيانا مجرد المعرفة الشخصية هي الاساس، مما ادى الى تسرب عدد معين من العناصر الغريبة البعيدة، عن منطق الحزب ومنطلقاته، وسبب بالنتيجة وبعد تجاوز المرحلة الصعبة استخدام هذا الموضوع سلاحا للطعن في نوايا بعض الرفاق والتشكيك بهم٠

3- بدأ التنظيم الحزبي يتسع بعد الثورة، دون ان يكون له نظام داخلي يوضح العلاقات الحزبية، ويضع الحدود بينهما وبين العلاقات العسكرية، مما سهل خلق الفوضى٠ وعدم التجانس في اسلوب العمل الحزبي بين قطاعات الجيش المختلفة، بحيث كان مزاج العناصر القيادية في كل قطعة وفهمها الخاص للعمل الحزبي يحدد اسلوب التنظيم فيها٠

4- ان تنسيب عناصر غير حزبية، ومنحها مرتبة العضو العامل مباشرة ومن ثم اعطاء اولوية القيادة الحزبية الى الرتبة الاعلى، بصرف النظر عن الارتباط الحزبي ومدته ودرجته ونوعيته، سهل على الكثيرين من غير الكفوئين، وأحيانا من غير المضمونين، التوصل الى الاشتراك في المؤتمرات الحزبية والمساهمة في تقرير مصير الحزب ترشيحا وانتخابا، والوصول بالتالي الى اعلى قياداته، ولقد ساعد عدد من امثال هؤلاء فيما بعد، على تسهيل سيادة المنطق المغاير لمنطق الحزب، بوقوعهم في فخ الارتباطات الجانبية والتكتيلية والفردية، بسبب عدم انسلاخهم التام عن وسط وظروف ما قبل الانتماء الى الحزب٠

5- بالنظر للدور القيادي الذي اضطلعت به "اللجنة العسكرية" الاولى، بعد قيام الثورة ولكثرة الصلاحيات والادوار التي قامت بها على مستوى الحزب والجيش والسلطة مما جعل لعناصرها مركزا معينا في تلك المستويات كل ذلك خلق نوعا من الحساسية بين هؤلاء الرفاق، وبين رفاق لهم ادنى منهم

رتبة ممن حملوا السلاح صبيحة الثامن من آذار من جهة، وبينهم وبين رفاق آخرين ومن رتب مختلفة لم يتيسر لهم لاسباب متعددة سابقة للثورة حمل السلاح من جهة اخرى.

6- ان تلك الحساسية كانت تتضخم بين الرفاق المذكورين يوما بعد يوم وقد كان اهمال اللجنة العسكرية امور التنظيم، وانغماسها بامور الحكم عنه، ودخولها دوامة الصراع الذي كان قائما في قيادة الحزب والثورة وانقطاعها عن القواعد العسكرية، سببا في تعميق تلك الحساسية، وتعبئة القواعد العسكرية في خلق رأى شبه عام ضد اللجنة، ادى الى سحب الثقة منها كمؤسسة في مؤتمر الكسوة (ابريل (نيسان) أو مايو (ايار) 1965)[376].

7- ان التنظيم الحزبي في الجيش، نتيجة الاخطاء التي تراكمت والتي لم تسمح التناقضات التي كانت قائمة في قمة الحزب والثورة، كما ذكرنا بمعالجتها في حينها، والتي شجعها البعض واستغلها، في محاربة الآخرين، وبسبب التباين في مستوى العضوية، وفى فهم واستيعاب عقيدة الحزب من خلال الممارسة العملية للنضال، اصبح يعانى ضعفا عاما في جميع مستوياته ودرجاته، وتسود فيه عند كثير من الرفاق مفاهيم خاصة بعيدة كل البعد، وغريبة كل الغرابة، عن المفاهيم الحزبية والمنطق الحزبي، كالطائفية والعشائرية، والاقليمية وغيرها، حتى ان كثيرا ممن فقدوا المناعة "الذاتية" من الرفاق، قد اصبح مناخهم ملائما لكل متصيد يجيد حبك الشائعات، وتشويه الحقائق، وتنميق الكلام، وقد كان موضوع الطائفية، من أبشع والأم "الافخاخ" التي نصبها الاعداء والاستعمار لمثل هؤلاء الرفاق.

8- في جملة المخططات التي اتبعت في تفسيخ الجيش، ومحاولة افقاده دوره الطليعي، هو موضوع الطائفية، ولسنا هنا في مجال دراسة هذه الظاهرة دراسة علمية اجتماعية، وانما المؤكد ان شعبنا في هذا القطر بحكم درجة النضج السياسي التي وصل اليها، قد تجاوز مثل هذه الهرطقات الاستعمارية البالية الى قيم اجتماعية وسياسية جديدة، قائمة على احلال الروابط القومية والطبقية، محل تلك الروابط

---

[376] من أجل مؤتمر الكسوة العسكري انظر منيف الرزاز، التجربة المرة، ص 132 -133؛ Rabinovich, Syria under the Ba'th 1963–66, p. 158; Van Dam, De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme, pp. 115–17; Van Dam, 'The Struggle for Power in Syria and the Ba'th Party (1958–1966)', p. 14.

البالية، التي عفا عليها الزمن٠

ان هذا لا يمنع من ان تكون اخطاء معينة قد وقعت وان اعتبارات لا حزبية وبصور شتى اقليمية وطائفية وعشائرية وغيرها كانت تحل احيانا محل القيم الثورية والحزبية الصحيحة سواء على مستوى الجيش، او على مستوى التنظيم المدني٠

ان ما جعل من هذه الاخطاء امورا "خارقة" في مستوى الجيش هو ركوب هذه الظواهر المرضية واستغلالها من قبل بعض عناصر "قمة الجيش" والثورة، في محاولة الوصول الى مآرب خاصة، وتنفيذ خطط معينة٠

ايها الرفاق:

ان محاولة الايقاع بيننا، عن طريق طرح مثل تلك الشعارات المهترئة اكبر امتهان لكرامتنا من قبل الاعداء، فسلاح الطائفية كان يصلح استخدامه في القرون الوسطى، او في عصور الانحطاط، واما في القرن العشرين وفى حزب البعث العربي الاشتراكي بالذات، فتلك ابشع مهانة يمكن ان توجه لا الى نضال الحزب طيلة ربع قرن، وانما الى نضال الامة العربية بأسرها منذ فجر النهضة، الى كل شهيد مات في سبيل القضية العربية بل الى كل قطرة دم اريقت على مذبح الوحدة والحرية والاشتراكية٠

اننا نحذر الرفاق جميعا، من مغبة الوقوع في شرك مثل هذه الافخاخ الاستعمارية البالية ومسؤولية تجاوز هذا الموضوع تقع على عاتق الجميع كل بمفرده، ضابطا كان او ضابط صف او جندي او مجند، وان كانت قيادة الجيش اولا والرفاق الضباط ثانيا يتحملون القسط الاوفى من المعالجة ما كان منها على المدى القريب وكان على المدى البعيد٠

9- ان بقاء القواعد الحزبية العسكرية، بعيدة عن صراعات القيادات المدنية والعسكرية الفوقية، لم يستمر طويلا اذ تمكن بعض المستغلين من زج تلك القواعد البكر في معترك الصراع، وكان اولها ابان الازمة بين القيادة القومية والقيادة القطرية، في العام الماضي حيث نشط المتنازعون على كسب قواعد الجيش وطرح المشاكل عليها وباساليب مختلفة جعلها غير حزبية مما ساعد بسهولة على ادخال عامل

التكتل الى صفوف الرفاق وغدا وسيلة تستخدم لتغطية الخلافات والتنازعات الشخصية والتكتلية والانتهازية احيانا، وانعكس ذلك على (عسكرية الجيش) فماع الانضباط، وهبط مستوى التدريب من خلال الانشغال بهذه الخلافات والمجاملات التي تفرضها مصلحة التكتلات٠

10- ان انعدام الرقابة والمحاسبة الحزبية، سهل نمو الشعور باللامبالاة واضاع المسؤولية، الامر الذي جر كثيرا من خيرة رفاقنا، الى السقوط في منزلقات خطيرة، اصبح معها البتر هو العلاج الوحيد لبعض تلك الحالات٠

11- ان عدم الوضوح في فهم التجربة الحزبية في الجيش، جعل الكثيرين يخلطون بين المفهوم الحزبي والمفهوم العسكري، ويسقطون كلا منهما على الاخر، خلال الممارسة اليومية الحزبية او العسكرية، الامر الذي كان له منعكساته السلبية على المفهومين معا٠

12- ان شعور بعض الرفاق العسكريين بان اترابهم من الرفاق المدنيين، قد توصلوا الى درجات معينة، وتسلموا مسؤوليات هامة في الثورة، فتح اعينهم على الطموح غير المشروع ودفع بهم على تعويض ما فاتهم عن طريق المراكز الحزبية، في لجنة عسكرية او مكتب عسكري او اي مجال آخر٠

13- ولا بد من الاشارة الى ان كافة الفئات السياسية المعادية، والطابور الخامس قد عملوا جاهدين على خلق وتنمية وتعميق كافة الجوانب السلبية في الجيش وقاموا بالتركيز بصورة خاصة على بعض رفاقنا البارزين، واحاطوهم بجو كثيف من الشائعات والاقاويل، بغية تشويه سمعتهم وفرض تصفيتهم، وبالتالي النيل من سمعة الحزب والثورة، واضعاف مقاومتها نتيجة ذلك٠

14- واما مجموعة غير الحزبيين في الجيش والتي استمرت تعمل في النطاق العسكري البحت، مدة طويلة ومنذ قيام الثورة، دون ان تتجرأ او ان تساهم في اي نشاط سياسي او تكتلي، بالنظر لظروف الثورة الاولى، وتماسك رفاقنا في الحزب، وعدم وجود الثغرات بين صفوفهم، تلك المجموعة تململت وتحركت اخيرا بشكل واضح وملموس عندما شعرت ان بين الحزبيين من يدغدغها ويغازلها ويطريها، ويطالب بانصافها ومنحها حقوقها المهضومة والتي لم تكن هي نفسها لتطالب بها، لولا انها وجدت بين القادة الحزبيين من يشجعها، ويفتح امامها الطريق لهذه المطالبة، وشعرت باهميتها كذلك في مجال الصراع الدائر بين كتل الحزب، وبانها اضحت قوة يحسب حسابها، ويخطب ودها من قبل المتنازعين

وان تلك المجموعة وان ساهمت في تعميق الخلافات واذكاء نارها فان هدفها يبقى واحدا ومحددا، وهو التخلص من كل الفئات الحزبية المتنازعة ليعيدوا الجيش فريسة لهم ولاعداء الثورة كما كان قبل ثورة الثامن من آذار٠

15- واخيرا ايها الرفاق، فان المؤتمر القطري انطلاقا من ضرورة تجاوز كافة النواحي والامور السلبية التي رافقت تجربة جيشنا العقائدي خلال الفترة الماضية، فقد وضع الاسس التي رآها كفيلة بتحقيق ذلك الغرض، والوصول الى وضع جديد متميز بالدرجة والنوع، سواء على المستوى الحزبي، او على المستوى العسكري وهي:

(1) يدين المؤتمر كافة المحاولات السابقة الرامية لتفشيل التجربة العقائدية في الجيش والعودة به الى صورة الجيوش المحترفة، في بعض الدول النامية حيث تعتمده الاحتكارات الاجنبية والراسمالية، قوة تخنق بها الحركات التحررية، كما يدين المحاولات المشبوهة لتغيير بنية الجيش الطبقية، ويقرر ضرورة تحقيق التوصيات الاساسية التالية في هذا القطاع:

1- تطبق الصيغ التي اقرتها المؤتمرات الحزبية، في تحديد ميدان وظيفة الجيش، في فصل السلطات العسكرية عن المدنية، على ان يستثنى ايضا رئيس الاركان العامة من شروط التخلي عن وظيفته العسكرية اضافة الى وزير الدفاع٠

2- المحافظة على التركيب الطبقي للجيش وتطوير اطاراته الحالية باتجاه شعبي وثوري٠

3- التركيز على التثقيف العقائدي والتوعية السياسية ونجاحه في اوساط ضباط الصف والجنود٠

4- الوقوف بحزم في وجه مظاهر البذخ والبيروقراطية، والحد من الاسراف في النفقات، وتطبيق مبدأ المحاسبة الصارمة٠

5- اتاحة الفرصة للجيش ان يساهم في عملية البناء والتحويل الاشتراكي، وذلك بوضع شعار الجيش والاعمار موضع التنفيذ، وفق خطة عملية مدروسة٠

6- اتاحة الفرصة للجيش العقائدي ان يساهم في رسم سياسة الحزب، عن طريق تمثيله في المؤتمرات الحزبية، وفق المقررات المتخذة سابقا في المؤتمرات.

(2) ربط الجيش بالحزب ربطا عضويا عن طريق اتباع الاساليب الآتية:

أ- انشاء مكتب عسكري ينحصر عمله بالامور الحزبية، ويتألف من عدد من العسكريين والمدنيين على ضوء الحاجة، وتقرر القيادة القطرية عدد ونسبة المتفرغين فيه، ويرأس المكتب احد اعضاء القيادة القطرية، (لا يشترط ان يكون عسكريا طبعا).

ب- تعيين موجهين سياسيين متفرغين في كل فرع عسكري، تختارهم القيادة القطرية من ذوى الكفاءة، ويرتبطون بها عن طريق المكتب العسكري.

ج- اشراك الجيش في مؤتمرات الحزب ضمن النسبة التي حددها المؤتمر القومي الثامن[377] ويتم الاختيار بالتمثيل وليس بالتعيين.

د- تعميق تجربة الجيش العقائدي والخط الاشتراكي، عن طريق تدريس عقيدة الحزب ومبادئه في مدارس ومعاهد وكليات الجيش، وضمن البرامج التوجيهية له.

هـ- اشراك العسكريين الحزبيين في مدارس الاعداد الحزبي.

و- اعادة دراسة النظام الحزبي العسكري المعمول به حاليا وعرضه على اول مؤتمر قطري عادى، او الدعوة الى مؤتمر قطري استثنائي، لاقرار التعديلات المقترحة على ضوء التجربة السابقة.

---

[377] تم انعقاد المؤتمر القومي الثامن لحزب البعث بدمشق في ابريل (نيسان) 1965، وقرر المؤتمر انه خلال المؤتمرات القطرية السورية القادمة للحزب لا بد من تمثيل تنظيم الحزب العسكري بنسبة لا تزيد عن 20٪ من مجموع ممثلي المؤتمر. انظر بشير الداعوق، نضال حزب البعث العربي الاشتراكي عبر مؤتمراته القومية: المؤتمر القومي الثامن (نيسان 1965)، ص 235-236.

ز- ادانة اسلوب الاتصالات الجانبية، ويوصى المؤتمر باستخدام الحزم واشد العقوبات للقضاء على هذه الظاهرة التي تهدد سلامة التنظيم٠

ح- ان ضباط الصف والجنود، يشكلون القاعدة الاساسية في الجيش، التي يجب ان تكون في صف الثورة والحزب، ولذلك يوصى المؤتمر، بضرورة العناية بهذا القطاع الكادح وتثقيفه ونشر التجربة الحزبية فيه٠

(3) اعادة النظر بالتنظيم الحزبي في الجيش على ضوء التجربة، بشكل يضمن ابعاد العناصر المندسة والمخربة، ضمن اسس موضوعية تضعها القيادة٠

(4) التأكيد على ان سلوك الحزبي هو ملك للحزب وليس لنفسه، ومحاسبة كل من يسيء لاخلاقية الحزب وسلوكيته، محاسبة قاسية٠

ايها الرفاق

ان عقائدية الجيش لا بد ان تكون تمتينا لعسكريته لا تمييعا لها، ان معركة فلسطين على الابواب ولا بد من اتخاذ كافة الترتيبات العسكرية لخوضها٠

ان حزبية العسكري يجب ألا تعطيه امتيازا على غيره، ولا بد ان تكون العلاقات انضباطية بين الحزبيين وغير الحزبيين٠ ان عناصر الاحترام والمحبة والديمقراطية التي دخلت على العلاقات العسكرية يجب الا تكون على حساب الانضباط العسكري، والتأهيل الحزبي لخوض معركة التحرير٠ وعلى قيادة الجيش ان تكون حازمة في الامور التي تمس امن الجيش وعسكريته٠

جدول 1: التمثيل الاقليمي والطائفي في الوزارات السورية (1942-1963)

وزارة رقم:		31-65	66-69	70-75	31-75
الفترة:		1942/1-1958/2	1958/2-1961/9	1961/9-1963/3	1942/1-1963/3
المنطقة	الديانة				
دمشق*	سني	36،9٪ (117)	36،8٪ (21)	37،1٪ (33)	37،3٪ (171)
(21٪)	مسيحي	6،1٪ (19)		7،9٪ (7)	5،7٪ (26)
	شيعي				
	المجموع	43،6٪ (136)	36،8٪ (21)	44،9٪ (40)	43،0٪ (197)
حلب	سني	17،0٪ (53)	14،0٪ (8)	13،5٪ (12)	15،9٪ (73)
(20٪)	مسيحي	5،8٪ (18)		2،2٪ (2)	4،4٪ (20)
	المجموع	22،8٪ (71)	14،0٪ (8)	15،7٪ (14)	20،3٪ (93)
ادلب	سني	1،0٪ (3)			7،0٪ (3)
(7٪)	المجموع	1،0٪ (3)			7،0٪ (3)
حماة	سني	5،8٪ (18)	8،8٪ (5)	5،6٪ (5)	6،1٪ (28)
(8٪)	اسماعيلي	0،3٪ (1)			0،2٪ (1)
	علوي				
	مسيحي				
	المجموع	6،1٪ (19)	8،8٪ (5)	5،6٪ (5)	6،3٪ (29)
حمص	سني	8،0٪ (25)	7،0٪ (4)	3،4٪ (3)	7،0٪ (32)
(10٪)	علوي				
	مسيحي				
	المجموع	8،0٪ (25)	7،0٪ (4)	3،4٪ (3)	7،0٪ (32)
اللاذقية	سني	1،9٪ (6)		10،1٪ (9)	3،3٪ (15)

(13٪)	علوي	2،6٪ (8)	1،8٪ (1)	2،2٪ (2)	2،4٪ (11)
	اسماعيلي				
	مسيحي			4،5٪ (4)	0،9٪ (4)
	المجموع	4،5٪ (14)	1،8٪ (1)	16،9٪ (15)	6،6٪ (30)
دير الزور	سني	6،7٪ (21)	7،0٪ (4)	6،7٪ (6)	6،8٪ (31)
(12٪)	المجموع	6،7٪ (21)	7،0٪ (4)	6،7٪ (6)	6،8٪ (31)
درعا	سني		1،8٪ (1)	2،2٪ (2)	0،7٪ (3)
(4٪)	مسيحي				
	المجموع		1،8٪ (1)	2،2٪ (2)	0،7٪ (3)
القنيطرة	سني				
(2٪)	درزي	1،0٪ (3)			0،7٪ (3)
	المجموع	1،0٪ (3)			0،7٪ (3)
السويداء	سني				
(3٪)	درزي	1،9٪ (6)	3،5٪ (2)	3،4٪ (3)	2،4٪ (11)
	المجموع	1،9٪ (6)	3،5٪ (2)	3،4٪ (3)	2،4٪ (11)
غير سوري	سني	4،2٪ (13)			2،8٪ (13)
	مسيحي	0،3٪ (1)			0،2٪ (1)
	المجموع	4،5٪ (14)			3،1٪ (14)
غير معلوم	سني		19،3٪ (11)	1،3٪ (1)	2،6٪ (12)
المجموع		100،0٪ (312)	100،0٪ (57)	100،0٪ (89)	100،0٪ (458)

* النسبة المئوية التي تتبع اسماء المناطق مباشرة تشير الى نسبة سكان كل منطقة على التوالي بالنسبة للمجموع الكلي.

جدول 2: التمثيل الاقليمي والطائفي في الوزارات السورية (1963- 1995)

وزارة رقم:		83-76	88-84	95-89	95-76
الفترة:		3/ 1963-2/ 1966	1966/2-1970/11	1970/11-1976/8	1963/3-1976/8
المنطقة	الديانة				
دمشق*	سني	٪20،2 (34)	٪20،0 (24)	٪20،0 (36)	٪20،1 (94)
(٪21)	مسيحي	٪4،2 (7)			٪1،5 (7)
	شيعي		٪0،8 (1)		٪0،2 (1)
	المجموع	٪24،4 (41)	٪20،8 (25)	٪20،0 (36)	٪21،8 (102)
حلب	سني	٪13،1 (22)	٪4،2 (5)	٪5،0 (9)	٪7،7 (36)
(٪20)	مسيحي	٪0،6 (1)			٪0،2 (1)
	المجموع	٪13،7 (23)	٪4،2 (5)	٪5،0 (9)	٪7،9 (37)
ادلب	سني	٪3،0 (5)	٪2،5 (3)	٪3،3 (6)	٪3،0 (14)
(٪7)	المجموع	٪3،0 (5)	٪2،5 (3)	٪3،3 (6)	٪3،0 (14)
حماة	سني	٪7،1 (12)	٪10،0 (12)	٪7،8 (14)	٪8،1 (38)
(٪8)	اسماعيلي	٪3،6 (6)	٪0،8 (1)	٪1،1 (2)	٪1،9 (9)
	علوي	٪1،2 (2)		٪2،8 (5)	٪1،5 (7)
	مسيحي				
	المجموع	٪11،9 (20)	٪10،8 (13)	٪11،7 (21)	٪11،5 (54)
حمص	سني	٪7،1 (12)	٪5،0 (6)	٪10،6 (19)	٪7،9 (37)
(٪10)	علوي	٪1،2 (2)			٪0،4 (2)
	مسيحي	٪0،6 (1)	٪2،5 (3)		٪0،9 (4)
	المجموع	٪8،9 (15)	٪7،5 (9)	٪10،6 (19)	٪9،2 (43)
اللاذقية	سني	٪7،1 (12)	٪9،2 (11)	٪16،7 (30)	٪11،3 (53)
(٪13)	علوي	٪4،8 (8)	٪12،5 (15)	٪6،7 (12)	٪7،5 (35)
	اسماعيلي	٪1،2 (2)	٪2،5 (3)	٪1،1 (2)	٪1،5 (7)

	مسيحي		٪1،7 (2)	٪1،1 (2)	٪0،9 (4)
	المجموع	٪13،1 (22)	٪25،9 (31)	٪25،6 (46)	٪21،2 (99)
دير الزور (٪12) (26)	سني	٪4،2 (7)	٪9،2 (11)	٪4،4 (8)	٪5،6 (26)
	المجموع	٪4،2 (7)	٪9،2 (11)	٪4،4 (8)	٪5،6
درعا (٪4)	سني	٪8،9 (15)	٪8،3 (10)	٪6،7 (12)	٪7،9 (37)
	مسيحي	٪1،2 (2)	٪4،2 (5)	٪2،8 (5)	٪2،6 (12)
	المجموع	٪10،0 (17)	٪12،5 (15)	٪9،4 (17)	٪10،5 (49)
القنيطرة (٪2)	سني		٪3،3 (4)	٪2،2 (4)	٪1،7 (8)
	درزي				
	المجموع		٪3،3 (4)	٪2،2 (4)	٪1،7 (8)
السويداء (٪3)	سني				
	درزي	٪6،0 (10)	٪3،3 (4)	٪2،2 (4)	٪3،8 (18)
	المجموع	٪6،0 (10)	٪3،3 (4)	٪2،2 (4)	٪3،8 (18)
غير سوري	سني				
	مسيحي				
	المجموع				
غير معلوم	سني	٪4،8 (8)		٪5،6 (10)	٪3،8 (18)
المجموع (468)		٪100،0 (168)	٪100،0 (120)	٪100،0 (180)	٪100،0

* النسبة المئوية التي تتبع اسماء المناطق مباشرة تشير الى نسبة سكان كل منطقة على التوالي بالنسبة للمجموع الكلي.

جدول 3: التمثيل الاقليمي والطائفي في القيادات القطرية السورية لحزب البعث (1963-1995)

قيادة قطرية رقم: الفترة:		4-1 1966/2-1963/3	8-5 1970/11-1966/3	13-9 1995-1970/11	13-1 1995-1963 /3
المنطقة	الديانة				
دمشق* (٪21)	سني	٪2،0 (1)		٪21،4 (21)	٪10،4 (22)
	مسيحي				
	شيعي				
	المجموع	٪2،0 (1)		٪21،4 (21)	٪10،4 (22)
حلب (٪20)	سني	٪8،0 (4)		٪ 6،1 (6)	٪ 4،7 (10)
	مسيحي				
	المجموع	٪8،0 (4)		٪ 6،1 (6)	٪ 4،7 (10)
ادلب (٪7)	سني	٪4،0 (2)		٪ 5،1 (5)	٪ 3،3 (7)
	المجموع	٪4،0 (2)		٪ 5،1 (5)	٪ 3،3 (7)
حماة (٪8)	سني			٪ 4،1 (4)	٪ 1،9 (4)
	اسماعيلي	٪10،0 (5)	٪9،4 (6)		٪ 5،2 (11)
	علوي			٪ 3،1 (3)	٪ 1،4 (3)
	مسيحي			٪ 1،0 (1)	٪ 0،5 (1)
	المجموع	٪10،0 (5)	٪9،4 (6)	٪ 8،2 (8)	٪ 9،0 (19)
حمص (٪10)	سني	٪10،0 (5)	٪9،4 (6)	٪ 6،1 (6)	٪ 8،0 (17)
	علوي	٪2،0 (1)		٪ 1،0 (1)	٪ 1،0 (2)
	مسيحي				
	المجموع	٪12،0 (6)	٪9،4 (6)	٪ 6،1 (7)	٪ 9،0 (19)
اللاذقية (٪13)	سني	٪10،0 (5)	٪6،3 (4)	٪ 5،1 (5)	٪ 6،6 (14)
	علوي	٪12،0 (6)	٪23،4 (15)	٪16،3 (16)	٪17،4 (37)
	اسماعيلي				
	مسيحي			٪ 5،1 (5)	٪ 2،4 (5)
	المجموع	٪22،0 (11)	٪29،7 (19)	٪26،5 (26)	٪26،4 (56)
دير الزور	سني	٪12،0 (6)	٪15،6 (10)	٪ 7،1 (7)	٪10،8 (23)

(٪12)	المجموع	٪12،0 (6)	٪15،6 (10)	٪7،1 (7)	٪10،8 (23)
درعا (٪4)	سني	٪6،0 (3)	٪14،0 (9)	٪9،2 (9)	٪9،9 (21)
	مسيحي	٪2،0 (1)	٪6،3 (4)	٪1،0 (1)	٪2،8 (6)
	المجموع	٪8،0 (4)	٪20،3 (13)	٪10،2 (10)	٪12،7 (27)
القنيطرة (٪2)	سني	٪2،0 (1)	٪6،3 (4)	٪1،0 (1)	٪2،8 (6)
	درزي				
	المجموع	٪2،0 (1)	٪6،3 (4)	٪1،0 (1)	٪2،8 (6)
السويداء (٪3)	سني			٪2،0 (2)	٪1،0 (2)
	درزي	٪20،0 (10)	٪9،4 (6)	٪4،1 (4)	٪9،4 (20)
	مسيحي				
	المجموع	٪20،0 (10)	٪9،4 (6)	٪6،1 (6)	٪10،4 (22)
غير معلوم	سني			٪1،0 (1)	٪0،5 (1)
	المجموع			٪1،0 (1)	٪0،5 (1)
المجموع		٪100،0 (50)	٪100،0 (64)	٪100،0 (98)	٪100،0 (212)

* النسبة المئوية التي تتبع اسماء المناطق مباشرة تشير الى نسبة سكان كل منطقة على التوالي بالنسبة للمجموع الكلي.

جدول 4: التمثيل الطائفي في الوزارات السورية (1942-1995)

وزارة رقم:	65-31	69-66	75-70	75-31
الفترة:	1958/2-1942/1	1961/9-1958/2	1963/3-1961/9	1963/3-1942/1
الديانة				
سني	(256) ٪82،1	(54) ٪94،7	(71) ٪79،8	(381) ٪83،2
علوي	(8) ٪2،6	(1) ٪1،8	(2) ٪2،2	(11) ٪2،4
درزي	(9) ٪2،9	(2) ٪3،5	(3) ٪3،4	(14) ٪3،1
اسماعيلي	(1) ٪0،3			(1) ٪0،2
مسيحي	(38) ٪12،2		(13) ٪14،6	(51) ٪11،1
شيعي				
المجموع	(312)٪100،0	(57)٪100،0	(89)٪100،0	(458)٪100،0

وزارة رقم:	83-76	88-84	95-89	95-76
الفترة:	1966/2-1963/3	1970/11-1966/2	1976/8-1970 /11	1976/8-1963/3
الديانة				
سني	(127) ٪75،6	(86) ٪71،7	(148) ٪82،2	(361)٪77،1
علوي	(12) ٪7،1	(15) ٪12،5	(17) ٪9،4	(44)٪9،4
درزي	(10) ٪6،0	(4) ٪3،3	(4) ٪2،2	(18)٪3،8
اسماعيلي	(8) ٪4،8	(4) ٪3،3	(4) ٪2،2	(16)٪3،4
مسيحي	(11) ٪6،5	(10) ٪8،3	(7) ٪3،9	(28)٪6،0
شيعي		(1) ٪0،8		(1)٪0،2
المجموع	(168) ٪100،0	(120) ٪100،0	(180) ٪100،0	(468) ٪100،0

جدول 5: التمثيل الطائفي في القيادات القطرية السورية لحزب البعث (1963-1995)

قيادة قطرية رقم:	4-1	8-5	13-9	13-1
الفترة:	1966/2-1963/9	1970/11-1966/3	1995-1970/11	1995-1963/9
الديانة				
سني	54،0٪ (27)	51،6٪ (33)	68،4٪ (67)	59،9٪ (127)
علوي	14،0٪ (7)	23،4٪ (15)	20،4٪ (20)	19،8٪ (42)
درزي	20،0٪ (10)	9،4٪ (6)	4،1٪ (4)	9،4٪ (20)
اسماعيلي	10،0٪ (5)	9،4٪ (6)		5،2٪ (11)
مسيحي	2،0٪ (1)	6،3٪ (4)	7،1٪ (7)	5،7٪ (12)
المجموع	100،0٪ (50)	100،0٪ (64)	100،0٪ (98)	100،0٪ (212)

جدول 6: الخلفيات الطائفية للاعضاء العسكريين بالقيادات القطرية السورية لحزب البعث (1963-1995)

قيادة قطرية رقم:	1-4	5-8	9-13	1-13
الفترة:	9/ 1963-2/ 1966	3/1966-11/ 1970	11/ 1970-1995	9/ 1963-1995
الديانة				
سني	35،0٪ (7)	42،1٪ (8)	56،5٪ (13)	45،1٪ (28)
علوي	30،0٪ (6)	42،1٪ (8)	43،5٪ (10)	38،7٪ (24)
درزي	25،0٪ (5)			8،1٪ (5)
إسماعيلي	10،0٪ (2)	15،8٪ (3)		8،1٪ (5)
مسيحي				
المجموع	100،0٪ (20)	100،0٪ (19) 0	100،٪ (23)	100،0٪ (62)

جدول 7: الخلفيات الاقليمية والطائفية للأعضاء العسكريين بالقيادات القطرية السورية لحزب البعث (1995-1963)

قيادة قطرية رقم:		4-1	8-5	13-9	13-1
الفترة:		1966/2-1963/9	1970/11-1966/3	1995--1970/11	1995-1963/9
المنطقة	الديانة				
دمشق	سني			13،0٪ (3)	4،8٪ (3)
حلب	سني	15٪ (3)		13،0٪ (3)	9،7٪ (6)
حماة	اسماعيلي	10٪ (2)	15،8٪ (3)		8،1٪ (5)
حمص	سني	5٪ (1)	10،5٪ (2)	21،7٪ (5)	12،9٪ (8)
	علوي	5٪ (1)			1،6٪ (1)
	المجموع	10٪ (2)	10،5٪ (2)	21،7٪ (5)	14،5٪ (9)
اللاذقية	سني	15٪ (3)	21،1٪ (4)		11،3٪ (7)
	علوي	25٪ (5)	42،1٪ (8)	43،5٪ (10)	37،1٪ (23)
	المجموع	40٪ (8)	63،2٪ (12)	43،5٪ (10)	48،4٪ (30)
دير الزور	سني			8،7 ٪ (2)	3،2٪ (2)
درعا	سني		10،5٪ (2)		3،2٪ (2)
السويداء	درزي	25٪ (5)			8،1٪ (5)
المجموع		100،0٪ (20)	100،0٪ (19)	100،0٪ (23)	100،0٪ (62)

جدول 8: توزيع الجهاز الحزبي في 1984/10/31 *

الفروع	الأعضاء العاملين	الأنصار	مجموع الجهاز الحزبي
دمشق	6963	31832	38795
ريف دمشق	6693	29148	35841
درعا	4837	15766	20603
السويداء	5586	16975	22561
القنيطرة	4842	14491	19333
حمص	9994	47541	57535
حماة	7378	45387	52765
طرطوس	9259	35013	44272
اللاذقية	8489	43255	51744
ادلب	6572	27240	33812
حلب	7564	45529	53093
الرقة	3915	18088	22003
دير الزور	3468	14599	18067
الحسكة	6533	28119	34652
قوى الأمن	4205	3900	8105
جامعة دمشق	3301	8640	11941
جامعة حلب	1466	38 54	6904
جامعة تشرين	1327	4511	5838
المجموع	102392	435472	537864

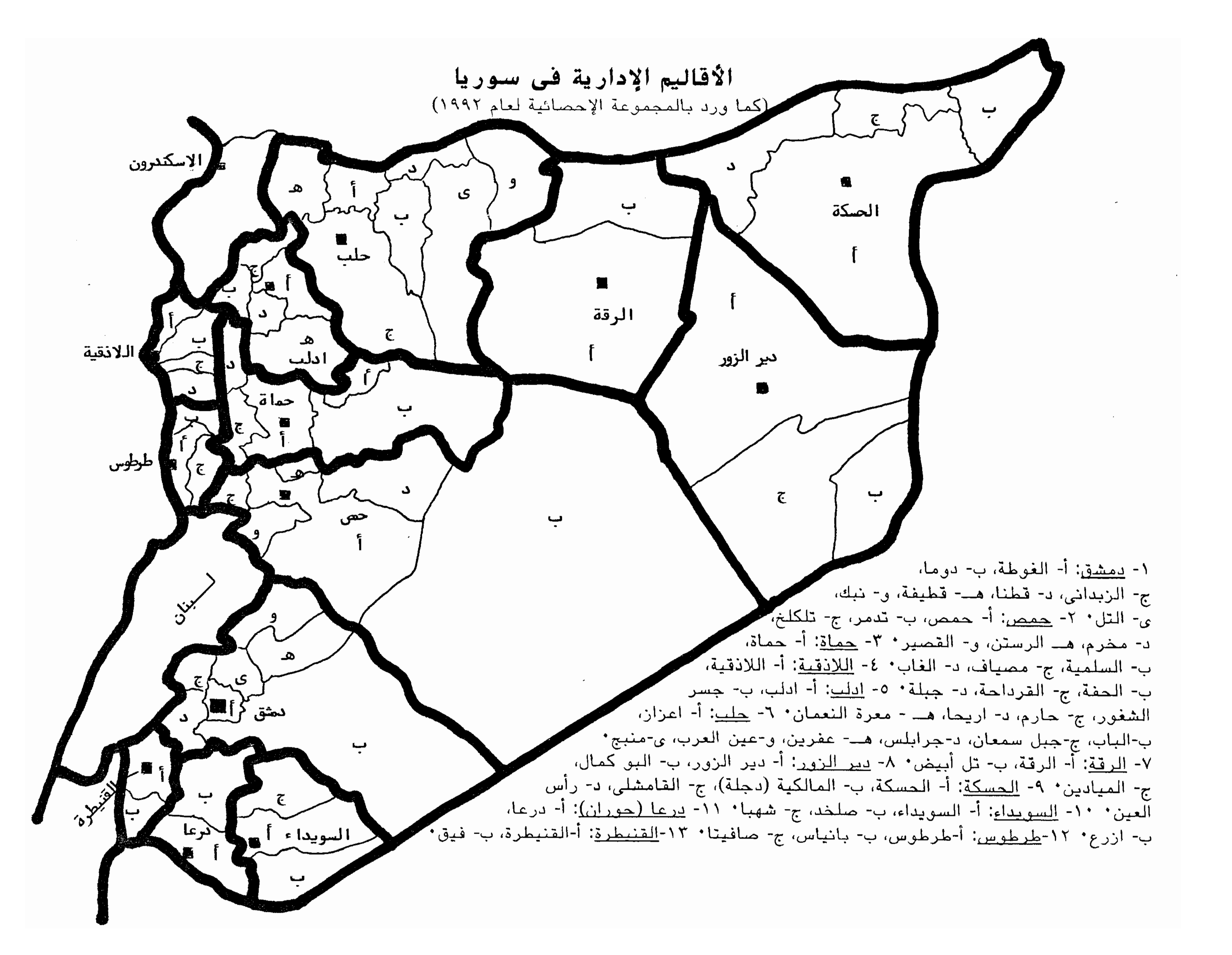
* التقرير التنظيمي 1985، ص 57

جدول 9: توزيع الجهاز الحزبي والسكان حسب الفروع ونسبة الجهاز الحزبي في السكان في عمر التنسيب في نهاية 31/ 10/ 1984* :

توزيع الجهاز الحزبي والسكان الحزبي	توزيع الجهاز الحزبي	عدد السكان العام		عدد السكان في عمر التنسيب		نسبة الجهاز الحزبي في السكان في عمر التنسيب	نسبة مجموع الجهاز
الفروع		عدد	%	عدد	%	%	%
دمشق	51314	1057073	9،49	837000	13،02	6،13	9،54
ريف دمشق	36420	845285	7،59	621000	9،66	5،86	6،77
درعا	21182	428838	3،85	232000	3،61	9،23	3،94
السويداء	23140	294076	2،64	140000	3،18	16،53	4،30
القنيطرة	19912	229928	2،06	141000	2،19	14،12	3،70
حمص	58114	1033965	9،28	546000	8،49	10،64	10،81
حماة	53344	974343	8،75	551000	8،57	9،68	9،91
طرطوس	44851	556336	5،00	302000	4،70	14،85	8،34
اللاذقية	58161	702861	6،31	390000	6،07	14،91	10،81
ادلب	34391	837613	7،52	384000	5،98	8،96	6،39
حلب	60576	2485637	22،32	1117000	17،37	4،60	11،26
الرقة	22582	371812	3،34	244000	3،79	9،25	4،20
دير الزور	18646	637774	5،73	293000	4،54	6،36	3،47
الحسكة	35231	681533	6،12	468000	7،28	7،53	6،56
المجموع	537864	11137114	100	6430000	100	8،36	100

نلاحظ أن نسبة الحزبيين لعدد السكان الذين هم في عمر التنسيب بلغت 8،36٪ وكانت عند انعقاد المؤتمر القطري السابع 8،20٪ وكانت الزيادة 16،٪ عما كانت عليه. مع ملاحظة أن جامعة دمشق أضيفت الى فرع دمشق وكذلك جامعة حلب الى فرع حلب وجامعة تشرين الى فرع اللاذقية وفرع الأمن تم توزيعه على كافة الفروع.

* التقرير التنظيمي 1985، ص 56 .


الأقاليم الإدارية فى سوريا
(كما ورد بالمجموعة الإحصائية لعام ١٩٩٢)
الإسكندرون
حلب
الرقة
الحسكة
دير الزور
ادلب
اللاذقية
حماة
طرطوس
حمص
لبنان
دمشق
القنيطرة
درعا
السويداء
١- دمشق: أ- الغوطة، ب- دوما،
ج- الزبدانى، د- قطنا، هـ- قطيفة، و- نبك،
ى- التل• ٢- حمص: أ- حمص، ب- تدمر، ج- تلكلخ،
د- مخرم، هـ- الرستن، و- القصير• ٣- حماة: أ- حماة،
ب- السلمية، ج- مصياف، د- الغاب• ٤- اللاذقية: أ- اللاذقية،
ب- الحفة، ج- القرداحة، د- جبلة• ٥- ادلب: أ- ادلب، ب- جسر
الشغور، ج- حارم، د- اريحا، هـ - معرة النعمان• ٦- حلب: أ- اعزاز،
ب-الباب، ج-جبل سمعان، د-جرابلس، هـ- عفرين، و-عين العرب، ى-منبج•
٧- الرقة: أ- الرقة، ب- تل أبيض• ٨- دير الزور: أ- دير الزور، ب- البو كمال،
ج- الميادين• ٩- الحسكة: أ- الحسكة، ب- المالكية (دجلة)، ج- القامشلى، د- رأس
العين• ١٠- السويداء: أ- السويداء، ب- صلخد، ج- شهبا• ١١- درعا (حوران): أ- درعا،
ب- ازرع• ١٢-طرطوس: أ-طرطوس، ب- بانياس، ج- صافيتا• ١٣-القنيطرة: أ-القنيطرة، ب- فيق•

المراجع

الجرائد والنشرات العربية المذكورة بالكتاب

الأحرار، بيروت

الإحياء العربي، باريس

الأخبار، القاهرة

أخبار اليوم، القاهرة

اقتصاديات حلب

أكتوبر، القاهرة

الأنباء، بيروت

الأهرام، القاهرة

البعث، دمشق

بيروت، بيروت

تشرين، دمشق

الثورة، بغداد

الثورة، دمشق

الجديد، بيروت

الجريدة، بيروت

الجمهورية، بغداد

الجمهورية، القاهرة

الحياة، بيروت، لندن

الحوادث، بيروت

الدستور، القدس

الدفاع، القدس

الراية، بيروت

الزمان، بيروت
السياسة، الكويت
الصفاء، بيروت
الصمود، بيروت
الصوت الحيوي، باريس
الصياد، بيروت
الفرسان، دمشق
الفكر العسكري، دمشق
فلسطين، القدس
فنون، دمشق
الكفاح، بيروت
الكفاح العربي، بيروت
المحرر، بيروت
المناضل، دمشق
النذير، دمشق
نضال الشعب، دمشق
النهار، بيروت
النهار العربي والدولي، باريس
الوسط، لندن

المراجع العربية

ابراهيم سلامة – "البعث من المدارس إلى الثكنات"، ملف النهار، رقم 25، 18 مارس (آذار) 1969
احمد عبد الكريم – أضواء على تجربة الوحدة، دمشق، 1962
الإخوان المسلمون – الإخوان المسلمون ·· يكشفون حقيقة الأوضاع في سوريا، غير

معلوم المكان والتاريخ
– حماة، مأساة العصر، غير معلوم المكان والتاريخ

ادوارد صعب – "البعث: حزب أم حكم"، القضايا المعاصرة، المجلد 1، يوليو (تموز) 1969، ص 129– 135

اديب خضور – الصحافة السورية، دمشق، 1973

اديب سليمان باغ – الجولان: دراسة في الجغرافية الإقليمية، دمشق، 1984

اسكندر لوقا – حافظ الأسد: قيم فكرية إنسانية، دمشق، 1987

الحسيني عبد الله – الجذور التاريخية للنصيرية العلوية، القاهرة، 1980

الياس فرح – في السياسة العربية الثورية قبل النكسة وبعدها، بغداد، 1970
– الفكر العربي الثوري أمام تحديات المرحلة، بغداد، 1973
– نظرات في الملامح الأساسية للمرحلة الراهنة، بيروت، 1971
– تطور الفكر الماركسي، عرض ونقد، بيروت، 1971
– تطور الإيديولوجية العربية الثورية (الفكر القومي)، الطبعة الثانية، بيروت 1972

أيمن شعبان – الحلم الثوري، دمشق، 1995

برهان غليون – نظام الطائفية: من الدولة إلى القبيلة، بيروت، 1990

بشير الداعوق – نضال (حزب) البعث، 11 مجلداً، بيروت، 1963– 1974
– نضال حزب البعث العربي الإشتراكي عبر بيانات قيادته القومية (1955–1962)، بيروت، 1971

بهجت سليمان – المنظومة الفكرية للبطل باسل، دمشق، 1994

تقي شرف الدين – النصيرية: دراسة تحليلية، بيروت، 1983

تمام البرازي – ملفات المعارضة السورية، القاهرة، 1994

توفيق عنداني – البعث في دروب النضال، دمشق، 1965

الجامعة الأمريكية في بيروت – الوثائق العربية، 1963– 1973، بيروت، 1964 – 1975

جلال السيد – حقيقة الأمة العربية وعوامل حفظها وتمزيقها، بيروت، 1973
– حزب البعث العربي، بيروت، 1973

جلال فاروق الشريف – موجز التاريخ النضالي لحزب البعث العربي الإشتراكي، دمشق،

1983

جمال الاتاسي - في الفكر السياسي، مجلدان، دمشق، 1963

جورج جبور - صافيتا ومحيطها في القرن التاسع عشر، دمشق، 1993

جورج فارس - من هو في سوريا، 1949، دمشق، 1949

- من هو في سوريا، 1951، دمشق، 1951

- من هم في العالم العربي، المجلد الأول، سوريا، دمشق، 1957

حافظ الأسد - مجموعات خطب الفريق القائد حافظ الأسد، الكتاب الأول، 24 /1970/11 - 1971/8/30، دمشق، 1971

حبيب عيسى - السقوط الأخير للاقليميين في الوطن العربي، بيروت، 1979

حربي موسى حسين وفؤاد يوسف قز نجى - مصادر تراث حزب البعث العربي الاشتراكي، بغداد، 1977

حزب الإتحاد الإشتراكي العربي في سوريا - القطر السوري يمر بأزمة وطنية خطيرة، نشرة داخلية خاصة بالأعضاء فقط، دمشق، 1979

حزب البعث العربي الاشتراكي - في التنظيم والتربية الحزبية، بيروت، 1971

- القيادة القومية، بعض المنطلقات النظرية التي أقرها المؤتمر القومي السادس في تشرين الأول 1963، الطبعة الثانية، دمشق، 1967

- دراسة تحليلية موجزة لنضال حزب البعث العربي الإشتراكي 1943-1971 ، دمشق، 1973

- احتفالات الذكرى الخامسة والعشرين لتأسيس حزب البعث العربي الإشتراكي، دمشق، 1973

- مقررات المؤتمر القومي التاسع المنعقد في النصف الثاني من أيلول 1966، دمشق، غير معلوم التاريخ

- سلسلة التوعية الإشتراكية، المجلد الثالث، التحويل الإشتراكي في الريف، دمشق، 1967

- القيادة القومية، لجنة التوجيه الحزبي، سلسلة التوجيه الحزبي (1)، الحزب الثوري، دمشق، 1970
- القيادة القومية، لجنة التوجيه الحزبي، سلسلة التوجيه الحزبي (2)، الإنحراف والظواهر الإنقسامية في الحزب ودور اليمين التخريبي، دمشق، غير معلوم التاريخ
- القيادة القومية، لجنة التوجيه الحزبي، سلسلة التوجيه الحزبي (3)، مفهوم الإدارة الديمقراطية لوسائل الإنتاج، دمشق، 1970
- القطر السوري، القيادة القطرية، أزمة الحزب وحركة 23 شباط وانعقاد المؤتمر القطري الأخير، دمشق، 1966
- القطر السوري، القيادة القطرية، مقررات المؤتمر القطري العادي الثاني للقطر السوري والمنعقد بين 3/18
1965/4/4 • التقرير التنظيمي، التقرير السياسي، التقرير الإقتصادي الإجتماعي دمشق، 1966
- القطر السوري، القيادة القطرية، التقرير الوثائقي لأزمة الحزب والمقدم للمؤتمر القطري الإستثنائي المنعقد بين
10 /3-1965/4/4 • التقرير التنظيمي، التقرير السياسي،
- التقرير الإقتصادي الإجتماعي، دمشق، 1966
- القطر العربي السوري، القيادة القطرية، تقرير المؤتمر القطري الثامن ومقرراته، المنعقد في دمشق في الفترة الواقعة بين
5 /1985/1- 1985/1/20: التقرير التنظيمي، التقرير السياسي،
- التقرير الاقتصادي، دمشق، 1985

حسن الحكيم - مذكراتي، صفحات من تاريخ سوريا الحديث 1920- 1958، مجلدان، بيروت، 1965، 1966

خالد العظم - مذكرات خالد العظم، ثلاثة مجلدات، بيروت، 1973

خليل مصطفى - من ملفات الجولان؟ ··· عمان، 1970
- سقوط الجولان، عمان، 1969

خيرية قاسمية - مذكرات فوزي القاوقجي 1914-1932، المجلد الأول، بيروت، 1975
- فلسطين في مذكرات القاوقجي، المجلد الثاني، بيروت، 1975
رياض المالكي - ذكريات على درب الكفاح والهزيمة، دمشق، 1972
رياض سليمان عواد - الشهيد الحي باسل الأسد، دمشق، 1994
- الديمقراطية والسلام في نهج حافظ الأسد، دمشق، 1992
- حافظ الأسد وتجربة الجبهة الوطنية التقدمية في سوريا، دمشق، 1992
زكى الارسوزي - المؤلفات الكاملة، أربعة مجلدات، دمشق، 1972-1974
ساطع الحصري - الإقليمية، جذورها وبذورها، الطبعة الثانية، بيروت، 1964
سامي الجندي - اتحدى ·· واتهم، بيروت، 1970
- البعث، بيروت، 1969
- كسرة خبز، بيروت، 1969
- سوريا ·· رائدة كفاح، بيروت، 1971
سعد الدين ابراهيم - المِلل والنِحل والأعراق: هموم الأقليات في الوطن العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1994
- تأملات في مسألة الأقليات، القاهرة، 1992
سعد جمعه - مجتمع الكراهية، بيروت، غير معلوم التاريخ
سلامة عبيد - الثورة السورية الكبرى 1925-1927، دمشق، 1971
سليمان الخش
وانطون مقدسي - الماركسية، عرض وتحليل، دمشق، 1968
شبلي العيسمي - بعض القضايا القومية، بيروت، 1975
- في الثورة العربية، الطبعة الثانية، بيروت، 1969
- حول الوحدة العربية، الطبعة الثانية، بيروت، 1974
- حول الوحدة والتضامن والتسوية، بغداد، 1976
- حزب البعث العربي الإشتراكي، 1، مرحلة الأربعينات التأسيسية 1940- 1949، الطبعة الثانية، بيروت، 1975

-حزب البعث العربي الإشتراكي، 2، مرحلة النمو والتوسع، 1949-1958 ، بيروت، 1978
- رسالات الأمة العربية، بيروت، 1978
-الوحدة العربية من خلال التجربة، بيروت، 1971
- العلمانية والدولة الدينية، بغداد، 1986
- عروبة الإسلام وعالميته، الطبعة الرابعة، بغداد، 1986

صابر فلحوط - المسألة الفلسطينية والموقف العربي السوري، دمشق، 1977

صلاح الدين البيطار - السياسة العربية بين المبدأ والتطبيق، بيروت، 1960

صفوان القدسي - البطل والتاريخ: قراءة في فكر الأسد السياسي، دمشق، 1984

عادل حافظ - حافظ الأسد: قائد وأمة، دمشق، 1993

عادل رضا - التاريخ لا تحركه الصدفة: قراءة في فكر الأسد، القاهرة، 1993

عارف النكدي - التعريف بمحافظة السويداء، دمشق، 1962

عباس أبو صالح - تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي، بيروت، غير معلوم التاريخ

الشيخ عبد الرحمن الخير - عقيدتنا وواقعنا نحن المسلمين الجعفريين "العلويين"، دمشق، الطبعة الثالثة، 1992
- كتاب الصلاة والصيام وفق المذهب الجعفري (العلوي)، الطبعة الثامنة، دمشق، 1991
- من نداء الإيمان، دمشق، الطبعة الثالثة، 1985
- نقد وتقريظ كتاب تاريخ العلويين (من تراث الشيخ عبد الرحمن الخير)، دمشق، 1992
- رسالة تبحث في مسائل مهمة حول المذهب الجعفري: (العلوي)
- (من تراث الشيخ عبد الرحمن الخير)، دمشق، الطبعة الثالثة، 1994

عبد الكريم زهر الدين - مذكراتي عن فترة الإنفصال في سوريا ما بين 28 أيلول 1961 و 8 آذار 1963، بيروت، 1968

عبد الله الأحمد - الى السفير نيقولاوس فان دام, السفير, 8 يونيو (حزيران) 1995

عبد الله الحسيني - الجذور التاريخية للنصيرية العلوية، القاهرة، 1980

عز الدين دياب – التحليل الاجتماعي لظاهرة الانقسام السياسي في الوطن العربي: "حزب البعث العربي الاشتراكي نموذجا"، القاهرة، 1993

عماد فوزي شعيبي – رد على السفيرالهولندي في مصر – الصراع على السلطة في سوريا كتاب لا يحترم قارئه, الديار,11 يونيو (حزيران) 1995

– مناقشة لكتاب السفيرالهولندي في مصر : (الصراع على السلطة في سوريا) معالجة بروح التفكيك... و الفتنة, السفير, 28 ابريل (نيسان) 1995

عزت السعدني – باسل في عيون المصريين، القاهرة، 1995

غازي الموسى – منارة الأجيال: باسل حافظ الأسد، دمشق، 1994

غالب كيالي – حافظ الأسد: قائد ورسالة، بيروت، 1977

فاروق الباشا – جوهر القومية العربية، دمشق، 1972

فضل الله ابو منصور – أعاصير دمشق، بيروت، 1959

فؤاد العشا – حافظ الأسد: قائد ورسالة، الطبعة الثانية، دمشق، 1993

فؤاد الأطرش – الدروز، مؤامرات وتاريخ وحقائق، بيروت، 1975

قاسم سلاَّم – البعث والوطن العربي، باريس، غير معلوم التاريخ

قحطان عبد الرحمن الدوري وآخرون – النصيرية حركة هدمية، بغداد، 1986

قدري القلعجي – وثائق النكسة تحت أضواء، التجربة المرة، بيروت، 1969

قيادة الثورة الإسلامية في سوريا – بيان الثورة الإسلامية في سوريا ومنهاجها، دمشق، 1980

كريم الشيباني – حافظ الأسد، شخصية تاريخية في مرحلة صعبة، بيروت، 1972

لجنة الدفاع عن المعتقلين السياسيين في سوريا – من قوافل المعتقلين السياسيين وأخبارهم في السجون السورية، غير معلوم المكان، 1976

لوسيان بيترلان – حافظ الأسد: مسيرة مناضل (ترجمة عن الفرنسية)، دمشق، الطبعة الثانية، 1992

ليلى الصباغ – المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني، دمشق، 1973

مجهول
–تدمر المجزرة المستمرة، غير معلوم المكان، الطبعة الثانية،1984
– حقائق عن الطائفة النصيرية في سوريا، غير معلوم المكان والتاريخ
– قصة الثورة في العراق وسوريا، بغداد، 1963
– قضايا الخلاف في الحزب الشيوعي السوري، بيروت، 1972
– مجزرة حماة، القاهرة، 1984
– محاضر جلسات مباحثات الوحدة، القاهرة، 1963
– محاكمة بائع الجولان، غير معلوم المكان (دار بردى للنشر)، 1982
– الفارس الباسل٠ الذكرى الأولى للرحيل، إصدار جريدة تشرين، دمشق، 1995
– شهادات معالم الشهيد باسل الأسد، وزارة الإعلام، دمشق، 1994

محمد ابراهيم العلي
– الغجرية >المرابي الجزء الخامس<، دمشق، 1995

محمد أمين غالب الطويل
–تاريخ العلويين، الطبعة الثانية، بيروت، 1966

محمد سعيد النجدي
– حصيلة الإنقلابات الثورية في بعض الأقطار العربية، بيروت، 1966

محمد طلب هلال
– دراسة عن محافظة الجزيرة من النواحي القومية، الإجتماعية، السياسية، غير معلوم المكان والتاريخ

محمد عمران
– تجربتي في الثورة، بيروت، 1970

محمود أمين
– سلمية في خمسين قرناً، دمشق، 1983

محمود صادق
– حوار حول سوريا، لندن: دار عكاظ، 1993

محي الدين صبحي
– ملامح الشخصية العربية في التيار الفكري المعادي للامة العربية، غير معلوم المكان (الدار العربية للكتاب)، غير معلوم التاريخ (1987؟)

مصطفى الشكعه
– إسلام بلا مذاهب، القاهرة (الطبعة الثامنة)، 1991

مصطفى طلاس
– حرب العصابات، بيروت، 1969
– الكفاح المسلح والتحدي الصهيوني، بيروت، غير معلوم التاريخ
– الرسول العربي وفن الحرب، دمشق، 1972

- كذلك قال الأسد، الطبعة السادسة، دمشق 1993
- مرآة حياتي: العقد الأول 1948- 1958، دمشق، الطبعة الثانية، 1991
- مرآة حياتي: العقد الثاني 1958-1968، دمشق، 1995

مصلح سالم
- من يصنع الأقدار، دمشق، 1975

مطاع الصفدي
- حزب البعث، مأساة المولد ومأساة النهاية، بيروت، 1964
- "نحو سوريا حديثة"، ملف النهار، رقم 61، العالم العربي اليوم (7)، 6 مارس (آذار) 1971

منير الشريف
- المسلمون العلويون: من هم؟ وأين هم؟، الطبعة الثالثة، دمشق، 1961

منيف الرزاز
- الأعمال الفكرية والسياسية، 3 أجزاء، عمان (مؤسسة منيف الرزاز للدراسات القومية)، 1985- 1986
- ألف باء البعث، بيروت، 1970
- فلسفة الحركة القومية العربية، مجلدان، بيروت، 19771978
- فلسطين والوحدة 1969- 1975، بيروت، 1975
- حول سياسة التحويل الإشتراكي لحزب البعث العربي الإشتراكي، بيروت، 1973
- الحرية ومشكلتها في البلدان المتخلفة، بيروت، 1965
- معالم الحياة العربية الجديدة، الطبعة الخامسة، بيروت، 1966
- السبيل إلى تحرير فلسطين، بيروت، 1971
- التجربة المرة، بيروت، 1967
- تطور معنى القومية، بيروت، 1960
- الوحدة العربية، هل لها من سبيل؟ بيروت، 1971
- "الوحدة بعد حرب رمضان"، قضايا عربية، رقم 1، أبريل (نيسان) 1974، ص 167

ميشيل عفلق
- أحاديث الأمين العام الرفيق ميشيل عفلق خلال زيارته لبغداد ايار 1969، بغداد، 1969

- في سبيل البعث، الطبعة الثالثة، بيروت، 1963
- معركة المصير الوحيد، بيروت، 1963
- نقطة البداية، بيروت، 1971

ناجى علوش - الثورة والجماهير، بيروت، 1962

ناصيف نصار - نحو مجتمع جديد• مقدمات أساسية في نقد المجتمع الطائفي، الطبعة الخامسة، بيروت، 1995

نذير فنصة - أيام حسنى الزعيم، 137 يوماً هزت سوريا، الطبعة الثالثة، دمشق، 1993

نيقولاوس فان دام - 'إذا استُثنيت دمشق من السلام استحال السلام'، الحياة، 13 نوفمبر (تشرين الثاني) 1993
- 'العرب اكتشفوا أن السلام سلاح أقوى من الحرب'، القبس، 24 مارس (آذار) 1994
- 'اسرائيل والاندماج القومي'، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية (بغداد)، 1979، ص 100 - 107
- 'سوريا تود الانسحاب من لبنان والطائفية غير موجودة رسمياً، الحياة، 12 مارس (آذار) 1995
- كيف تناقشون كتابا ممنوعا من التداول؟, السفير, 24 مايو (ايار) 1995
- رد على المفكر العربي السوري عماد فوزي شعيبي حول الصراع على السلطة في سوريا, الديار,11 يوليو (تموز) 1995
- تاريخ ((الصراع على السلطة في سوريا..)) (1) اطلب القراءة المحايدة , السفير, 17 يوليو (تموز) 1995
- تاريخ ((الصراع على السلطة في سوريا..)) (2) اشكره على الترويج! , السفير, 18 يوليو (تموز) 1995

هاشم عثمان - العلويون بين الأسطورة والحقيقة، بيروت، الطبعة الثانية، 1985

هاني خليل - حافظ الأسد: الإدانة التاريخية الثورية للإرهاب الدولي، دمشق،

1990
- حافظ الأسد: الإيديولوجية الثورية والفكر السياسي، دمشق، الطبعة الثالثة، 1992
- حافظ الأسد: الدولة الديمقراطية الشعبية، دمشق، الطبعة الثالثة، 1992

هاني الخير - أديب الشيشكلي، صاحب الانقلاب الثالث في سوريا، دمشق، 1994

هاني الفكيكي - أوكار الهزيمة• تجربتي في حزب البعث العراقي، لندن، 1993

هاني الهندي - جيش الإنقاذ، بيروت، 1974

هيثم العودات - انتفاضة العامية الفلاحية في جبل العرب، دمشق، 1976

مراجع مختارة عن حافظ الأسد و عائلته

al-'Abd Allah, Hamidi, *Istratijiyat al-Asad: Dirasah fi al-Tawazun al-Istratiji bayn Suriyah wa Isra'il*, Beirut, 1995.
'Adaymah, Salih, *Tahlil Rif'at al-Asad. Maqulah fi Hikmat al-Siyasah wa Siyasat al-Hikmah*, Paris, 1992.
al-'Ajalani, Shams al-Din, *Kadhalik al-Asad: Ayyam .. wa Waqa'i'*, Damascus, 2002.
al-Akhras, Muhammad Safuh, *al-Hurriyah wa al-Rumuz al-Hadariyah al-Kubra fi Falsafah wa Fikr al-Qa'id al-Ramz Hafiz al-Asad*, Damascus, 1995.
'Ali, Ahmad, *Suriyah Masirat al-Huzn al-Watani*, n.p., n.d.
'Ali, Ma'n Salah al-Din (ed.), *Ahdab Fajrik*, Damascus, 1998.
---, *al-Hikmah fi Fikr al-Ra'is Hafiz al-Asad*, Damascus, 1998.
al-Amin, Fawzi, *Hafiz al-Asad wa Dawruhu al-Qawmi fi Lubnan*, Beirut, 1983.
al-Asad, Bashar, *al-Naw'iyah fi al-Mumarasah al-'Askariyah*, military thesis, Damascus, al-Akadimiyah al-'Askariyah al-'Ulya, 1997.
---, *Malamih Nahj al-Tatwir wa al-Tahdith fi Kalimat al-Sayyid al-Ra'is Bashar al-Asad wa Ahadithih wa Liqa'atih*, Damascus, 2001.
al-Asad, Hafiz, *Majmu'at Khutab al-Fariq al-Qa'id Hafiz al-Asad, al-Kitab al-Awwal, 24/11/1970-30/8/1971*, Damascus, 1971.
Al-Asad, Rif'at, *al-Tatawwur al-Iqtisadi wa al-Ijtima'i wa al-Siyasi fi al Qutr al-'Arabi al-Suri bayn al-Thawrah al-Wataniyah wa al-Thawrah al-Tabaqiyah 1946-1963*, Damascus, 1973.
al-As'ad, Ahmad, *al-Takamul bayn Marhalatayn: Qira'ah Minhajiyah fi Masirah Kifahiyah lil-Qa'idayn al-'Arabiyayn Jamal 'Abd al-Nasir wa Hafiz al-Asad*, Damascus (The Arab Socialist Democratic Party), 1981.
---, *al-Wahdah Tariq al-'Arab lil-Mustaqbal: Qira'ah Wahdawiyah fi Fikr al-Qa'idayn al-'Arabiyayn Hafiz al-Asad wa Jamal 'Abd al-Nasir*, Damascus, 1995.
al-'Asha, Fu'ad, *Hafiz al-Asad: Qa'id wa Risalah*, 2nd ed., Damascus, 1993.
'Awwad, Riyad Sulayman, *al-Fada' 'Arin al-Asad*, Damascus, 1987.
---, *Nidal al-Munazzamat al-Sha'biyah min Fajr al-Tashih hatta al-Yawm*, Damascus, 1990.
---, *al-Dimuqratiyah wa al-Salam fi Nahj Hafiz al-Asad*, Damascus, 1992.
---, *Hafiz al-Asad wa Tajribat al-Jabhah al-Wataniyah al-Taqaddumiyah fi Suriyah*, Damascus, 1992.
---, *al-Nafis fi Siyasat Hafiz al-Asad*, Damascus, 1993.
---, *Dhikrayat Wafa' lil-Faris al-Ramz Basil al-Asad*, Damascus, 1994.
---, *al-Shahid al-Hayy Basil al-Asad*, Damascus, 1994.
---, *Harakat al-Tarikh wa Wahdat al-Ummah fi Fikr Hafiz al-Asad*, Damascus, 1995.
---, *Hafiz al-Asad wa al-Nizam al-Dawli al-Jadid*, Damascus, 1995.
---, *Hafiz al-Asad wa al-Salam fi al-Sharq al-Awsat*, Damascus, 1995.
---, *Harakat al-Tarikh wa Wahdat al-Ummah fi Fikr Hafiz al-Asad*, 2 Vols, Damascus, 1995.
---, *al-Nahj al-Qawmi fi Fikr Hafiz al-Asad*, Homs, 1996.
---, *Hafiz al-Asad, Rajul al-Sharq al-Awsat*, Damascus, 1996.
---, *Hafiz al-Asad, Rajul al-Sharq al-Awhad*, Damascus, 1996.
---, *Hafiz al-Asad wa Tajribat al-Idarah al-Mahalliyah fi Suriya*, Damascus, 1996.
Babilli, Ahmad 'Ali, *Shams Tishrin*, Damascus, 1998.
al-Barazi, Riyad Ibrahim, *al-Asad... Sayyid al-Sharq al-Awsat*, Damascus, 1997.

Basil al-Asad fi Dhakirat al-Watan, Damascus, n.d.
al-Basil lan Yaghiba Abadan (special issue of *Iqtisadiyat Halab*, Aleppo, January 1995).
Basil al-Asad: Malhamat Faris, Damascus, n.d.
Basil al-Asad: Sirat Faris Miqdam wa Hayat Mubdi' Khallaq, Damascus, 1995.
Baylunah, ‘Adnan Mustafa, *al-Qa’id al-Asad wa al-Amn al-Qawmi. Dirasah Tahliliyah Naqdiyah Muwaththaqah fi al-Fikr al-Siyasi al-Stratiji*, Damascus: Dar Bilal lil-Tiba’ah wa al-Nashr, 1999.
Bitterlin, Lucien, *Hafiz al-Asad: Masirat Munadil*, 2nd ed., Damascus, 1992.
----, *al-Hurub wa al-Salam fi al-Sharq al-Awsat: Hafiz al-Asad wa al-Tahaddiyat al-Thalath: Lubnan - Filastin - al-Khalij*, Damascus, 1997.
Dabbas, Ahmad 'Abd al-Salam, *Adwa' 'ala al-Mas'alah al-Idariyah. Muqtatafat Idariyah min Aqwal al-Ra'is Hafiz al-Asad*, Damascus, 1992.
al-Dayah, Ibrahim, *al-Asad fi al-Khitab al-Misri. Al-'Ilaqat al-Suriyah al-Misriyah*, Cairo, 1995.
Fadil, 'Imad, *Hafiz al-Asad wa 'Abd al-Nasir: Dirasah Muqarinah*, Damascus, 1990.
Al-Dirris, Ahmad & Isma’il Taha, *al-Hasakah fi Bay’at al-Asad*, n.p., n.d.
---, *al-Hasakah fi Rahil al-Qa’id*, n.p., 2001.
al-Faris al-Basil. Al-Dhikra al-Ula lil-Rahil (Special issue of *Tishrin*, Damascus, 21 January 1995).
Hafiz, 'Adil, *Hafiz al-Asad: Qa'id wa Ummah*, Damascus, 1993.
Hammadi, Hashim & Hasan Qutrayb (ed.), *Anta lana Watan*, Damascus, 1997.
al-Hajj 'Ali, Ahmad, 'Qiyadat Hafiz al-Asad - Muqawwimat al-Bina' wa Muqaddimat al-Tafa'ul wa al-Iqtida", *al-Nadwah al-Fikriyah al-Rabi'ah*, al-Qiyadah al-Qutriyah, Damascus, 1992.
al-Hariri, Marwan, *Basil Hafiz al-Asad. Dirasah wa Tawthiq*, Damascus (Master's Thesis, University of Damascus), 1995.
al-Harrah, Ahmad As'ad, *Jinahahu Tishrinan*, Damascus, 1998.
Hiblis, ‘Abir & Ghassun Qawj, *Baqin fi al-Qulub wa al-‘Uqul*, Damascus, 2002.
Hizb al-Ba'th al-'Arabi al-Ishtiraki, al-Qutr al-'Arabi al-Suri, al-Qiyadah al-Qutriyah, *Al-Basil Mawkib al-Majd wa al-Shahadah*, Damascus, n.d.
'Isa, Ayyub, *Alf Nashid wa Ughniyah li-Hafiz al-Asad*, 2 Vols, Damascus, 1997, 1998.
'Izz al-Din, Fayiz Hilal, *Hafiz al-Asad wa al-Jamahir*, Damascus, 1992.
---, *Hafiz al-Asad al-Dimuqratiyah wa al-Mutaghayyirat al-Duwaliyah*, Damascus, 1997.
Jabbur, Georges, *Hafiz al-Asad wa Qadiyat Filastin*, Damascus, 1988.
Jarrad, Khalaf al- (ed.), *Thalatat A’wam, ’Ala al-Intilaqah al-Wathiqah*, Damascus, 2003.
Kayyali, Ghalib, *Hafiz al-Asad: Qa'id wa Risalah*, Beirut, 1977.
Khalil, Hani, *Hafiz al-Asad: al-Idanah al-Tarikhiyah al-Thawriyah lil-Irhab al-Duwali*, Damascus, 1990.
---, *Hafiz al-Asad: al-Dawlah al-Dimuqratiyah al-Sha'biyah*, Damascus, 3rd ed., 1992.
---, *Hafiz al-Asad: al-Idiyulujiyah al-Thawriyah wa al-Fikr al-Siyasi*, Damascus, 3rd ed., 1992.
Khuri, Nasir al-, *li-Majdika Yahlu al-Wafa'*, Damascus, 1997.
Luqa, Iskandar, *Hafiz al-Asad: Qiyam Fikriyah Insaniyah*, Damascus, 1986.
---, *Sha'b wa Qa'id*, Damascus, 1992.
---, 'Afkar wa Qiyam Hafiz al-Asad', *al-Nadwah al-Fikriyah al-Rabi'ah*, al-Qiyadah al-Qutriyah, Damascus, 1992.
Majallat Basil al-Asad li-'Ulum al-Handasah, Wizarat al-Ta'lim al-'Ali, Damascus, 1998- .
Majallat Basil al-Asad lil-'Ulum al-Handasiyah al-Zira'iyah, Wizarat al-Ta'lim al-'Ali, Damascus, 1998- .

Majallat Basil al-Asad li-'Ulum al-Lughat wa Adabiha, Wizarat al-Ta'lim al-'Ali, Damascus, 1998- .
Majlis al-Sha'b, *al-Majalis al-Tashri'iyah fi al-Jumhuriyah al-'Arabiyah al-Suriyah min 'Am 1919 hatta 'Am 2000*, Damascus, 2000.
Makarim, Hamdan & Tawfiq Kuttab, *Masirat al-Wafa' wa al-'Ata'*, n.p., 1988.
Ma'rad al-Mulassaqat al-Fanniyah bi-Munasabat Tajdid al-Bay'ah, *al-Ba'th*, 25 March 1999.
Markaz al-Ma'lumat al-Qawmi, *Waqa'i' al-Sayyid al-Ra'is Hafiz al-Asad, Ra'is al-Jumhuriyah al-'Arabiyah al-Suriyah, al-Mujallad al-Awwal, "1966-1994"*, Damascus, 1996.
---, *Waqa'i' al-Sayyid al-Ra'is Hafiz al-Asad, Ra'is al-Jumhuriyah al-'Arabiyah al-Suriyah, al-Mujallad al-Thani, "1995"*, Damascus, 1996.
---, *al-Qa'id al-Qawmi Hafiz al-Asad*, Damascus, 1996.
---, *Khutab wa Kalimat wa Tasrihat al-Sayyid al-Ra'is Hafiz al-Asad, Ra'is al-Jumhuriyah, 1966-1995*, 10 Vols (including CD-ROM), Damascus, 1997.
Masalimah, Kamal, *Rijal tahaddathu 'an al-Qa'id al-Rahil wa Najlihi Bashar*, Damascus, 2001.
Muhakamat Ba'i' al-Jawlan, n.p. (Dar Barada lil-Nashr), 1982.
al-Musa, Ghazi, *Manarat al-Ajyal: Basil Hafiz al-Asad*, Damascus, 1994.
Mustashfa al-Asad al-Jami'i, *al-Asad fi 'Uyun al-'Alam, Muhadarat Thaqafiyah Ulqiyat ' ala Mudarraj Basil al-Asad fi Mustashfa al-Asad al-Jami'i bi-Dimashq*, Damascus, 1999.
al-Naqib, Mahmud, *al-Basil al-Khalid*, n.p., n.d.
al-Qudsi, Safwan, *al-Batal wa al-Tarikh: Qira'ah fi Fikr Hafiz al-Asad al-Siyasi*, Damascus, 1984.
---, *al-Shaja'ah al-'Aqilah wa al-Hikmah al-Jasurah. Ta'ammulat fi Madrasat Hafiz al-Asad al-Fikriyah wa al-Siyasiyah*, Damascus, 2nd ed., 1993.
---, *Hafiz al-Asad: al-Mathabah al-Wataniyah wa al-Marja'iyah al-Qawmiyah*, Damascus, 1999.
al-Rabdawi, Qasim, *Hafiz al-Asad wa al-Qawmiyah al-'Arabiyah*, Damascus, 1995.
Rida, 'Adil, *al-Tarikh la Tuharrikuh al-Sudfah: Qira'ah fi Fikr al-Asad*, Cairo, 1993.
al-Rifa'i, Muhammad Ihsan, al-Qa'id al-Ramz: *Dirasah fi Susiyulujiyat al-Qiyadah 'ind Hafiz al-Asad*, Damascus, 1997.
Sabbagh, Mazin Yusuf, *Liqa' al-Nusur: al-Qahirah - Dimashq .. 'Ilaqah Mutamayyizah*, n.p., 1997.
al-Sa'dani, 'Izzat, *Basil fi 'Uyun al-Misriyin*, Cairo, 1995.
al-Sa'igh, Fa'iz, *Ma'ak 'ala al-Tariq*, Damascus, 1999.
Salamah, Pierre, *al-Qunsul. Jil Hafiz al-Asad*, Damascus, 2002.
Sallum, Anwar Salim & George 'Ayn Malik, *Hafiz al-Asad: al-Qiyadah wa al-Tarikh*, Damascus, 1985.
Sammuni, Furayz Hasan, *Sutur Khalidah*, Damascus, 2001.
Sanqar, Salihah, *al-Ma'alim al-Tarbawiyah fi Fikr al-Qa'id Hafiz al-Asad*, Damascus, 1992.
Sayf, Riyad, *al-Dara'ib al-Zalimah wa al-Mu'amalah al-Kaydiyah min qibal Hukumat Mahmud al-Zu'bi*, Damascus, 2000.
Seale, Patrick, *al-Asad: al-Sira' 'ala al-Sharq al-Awsat*, Beirut, 1992.
Sha'ban, Ayman, *al-Hilm al-Thawri*, Damascus, 1995.
Shahin, Kawthar, *Qasa'id ila Basil Hafiz al-Asad al-Faris al-Dhahabi al-Ra'id*, n.p., n.d.
al-Shammas, 'Isa, *Madrasat al-Qa'id Hafiz al-Asad: Dirasah Tahliliyah Muqarinah min Manzur Tarbawi li-Khutab al-Qa'id wa Kalimatihi wa Ahadithihi ma bayn 1970-1990*, Damascus, 1997.
al-Shaybani, Karim, *Hafiz al-Asad, Shakhsiyah Tarikhiyah fi Marhalah Sa'bah*, Beirut, 1972.

---, *Hafiz al-Asad Za'im al-'Urubah al-Mu'asirah*, n.p., 1985.
---, *Hafiz al-Asad, al-Ummah wa al-Rihan al-Tarikhi*, Latakia, 1991.
---, *al-Asadiyah: Tariq al-Hadir ... Rihan al-Mustaqbal*, Latakia, 1997.
Shu'aybi, 'Imad Fawzi, 'al-Ra'is al-Asad Madrasah fi al-Hakim al-Mas'ul wa Abna'uh Tullab Nujaba' fi Madrasatih', *al-Diyar*, 20 April 1994.
---, 'Kayfa Yahkum al-Ra'is al-Asad ... Biladah?', *al-Diyar*, 23 August 1994.
---, 'Bashar al-Asad Najm Akhlaqi fi 'Alam al-Siyasah', *al-Shu'lah*, 16 September 1994.
Shudud, Majid Muhammad, *Hafiz al-Asad wa al-Sira' al-'Arabi al-Sahyuni*, Damascus, 1998.
Sulayman, Bahjat, *al-Manzumah al-Fikriyah lil-Batal Basil al-Asad*, Damascus, 1994.
---, *Hafiz al-Asad al-Qa'id al-Insan, 1995, al-'Id al-Faddi lil-Harakah al-Tashihiyah*, Damascus, 1995.
Talas, Mustafa, (ed.), *Kadhalika Qal al-Asad*, Damascus, 2001.
Turkmani, Muhammad, *Hafiz al-Asad, Rajul al-Salam wa al-Husam*, Damascus, 1995.
'Uthman, Aws, *Qadat al-'Alam wa Istithna'iyat al-Asad*, Damascus, 1995.
'Al-Wilayah al-Dusturiyah al-Jadidah', Mulhaq Yawmi li-Munasabat al-Istifta', *al-Ba'th*, 25 January - 11 February 1999.
Wizarat al-I'lam, *Wa minka yantaliq al-Ghad*, Damascus, n.d.
---, *Wa tabqa Shamsan*, Damascus, n.d.

المراجع الأجنبية

Abd-Allah, Umar F., *The Islamic Struggle in Syria*, Berkeley, 1983.
Abu Jaber, Kamel S., *The Arab Ba'th Socialist Party: History, Ideology and Organization*, Syracuse, New York, 1966.
Abyad, Malakah, *Values of Syrian Youth. A Study Based on Syrian Students in Damascus University*, MA thesis, American University of Beirut, Beirut, 1968.
Agha, Hussein J., and Ahmad S. Khalidi, *Syria and Iran: Rivalry and Cooperation*, London, 1995.
al-Akhrass, Safouh, *Revolutionary Change and Modernization in the Arab World: A Case from Syria*,, Damascus, 1972.
Akili, M. Talal. *Die Syrischen Küstengebiete. Eine Modelluntersuchung zur Regionalplanung in den Entwicklungsländern*, Berlin, 1968.
Antoun, Richard T., and Quataert, Donald, (eds), *Syria: Society, Culture and Polity*, New York, 1991.
Aoyama, Hiroyuki, Wafiq Khansa & Maher al-Charif, *Spiritual Father of the Ba'th. The Ideological and Political Significance of Zaki al-Arsuzi*, Damascus, 2000.
Arab Report & Record, London, 1966-1978.
The Arab World, Beirut, 1963-1975.
Ashour, Issam Y. *The Remnants of the Feudal System in Palestine, Syria and the Lebanon*, MA thesis, American University of Beirut, Beirut, 1946.
Audo, Antoine, *Zaki al-Arsouzi: Un Arabe Face A la Modernité*, Beirut, 1988.

Aoyoma, Hiroyuki 'The Propaganda of the Syrian Muslim Brotherhood: In the Anti-Regime Movement from 1976 to 1982', *Ann. of Japanese Association for Middle East Studies*, No. 9 (1994), pp. 117-141.
Badr al-Din, Salah, *Westkurdistan (Syrien)*, Dresden, 1994.
Bahout, Joseph, *Les Entrepreneurs Syriens. Economie, affaires et politique*, Beirut (Les Cahiers du CERMOC No. 7), 1994.
Baer, Gabriel, *Population and Society in the Arab East*, London, 1964.
Baram, Amatzia, *Culture, History & Ideology in the Formation of Ba'thist Iraq, 1968-89*, London, 1991.
---, 'Neo-Tribalism in Iraq: Saddam Hussein's Tribal Policies 1991-96', *International Journal of Middle East Studies*, Vol. 29, No. 1 (1997), pp. 1-31.
al-Barazi, Riad Ibrahim, *Al-Assad: Grand Master of the Middle East*, Damascus, 1997.
Başar, Cem, *The Terrorism Dossier & Syria*, Lefkoşa, 1996.
Batatu, Hanna, *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq. A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes and of its Communists, Ba'thists and Free Officers*, Princeton, 1978.
---, 'Some Observations on the Social Roots of Syria's Ruling Military Group and the Causes for its Dominance', *The Middle East Journal*, Vol. 35, no.3 (1981), pp.331-44.
---, 'Syria's Muslim Brethern', *MERIP Reports* No. 110, Vol. 12, No. 9 (November-December 1982), pp. 12-20, 34.
---, *The Egyptian, Syrian, and Iraqi Revolutions. Some Observation on Their Underlying Causes and Social Character*, Washington, 1984.
---, *Syria's Peasantry, the Descendants of Its Lesser Rural Notables, and Their Politics*, Princeton, N.J., 1999.
Beany, C.H., 'The Turkic Peoples of Syria', in: Margareth Brainsbridge (ed.), *The Turkic Peoples of the World*, London, 1993, pp. 207-213.
Be'eri, Eliezer, *Army Officers in Arab Politics and Society*, New York and London, 1970.
Behnstedt, Peter, *Sprachatlas von Syrien*, 2 Vols, Wiesbaden, 1997.
Bell, Gertrude, *The Desert and the Sown*, New York, 2001.
Ben-Tsur, Avraham, 'Composition and Membership of the Ba'th Party in the Kuneitra Region', *Hamizrah Hehadash*, XVIII (1968), pp. 269-273.
---, 'The Neo-Ba'th Party of Syria', *Journal of Contemporary History*, Vol. 3, No. 3, July 1968, pp. 161-181.
Berey, George, 'Syria: Prospects of Democracy', *Civil Society*, Cairo, Vol. 4, No. 42, June 1995, pp. 9-11.
Berger, Maurits, *Islam is een sinaasappel*, Amsterdam, 1999.
Berger, Morroe, *The Arab World Today*, New York, 1962.
Betts, Robert B., *Christians in the Arab East*, Athens, 1978.
---, *The Druze*, New Haven, 1988.
Biegel, L.C., *Minderheden in het Midden-Oosten, hun betekenis als politieke factor in de Arabische wereld*, Deventer, 1972.
Bill, James A., 'Class Analysis and the Dialectics of Modernization in the Middle East', *International Journal of Middle East Studies*, 3 (1972), pp. 417-434.
Bitar, Salaheddin, 'The Rise and Decline of the Baath', *Middle East International*, June 1971, pp. 12-15, July 1971, pp. 13-16.
Bitterlin, Lucien, *Hafez el-Assad: Le Parcours d'un Combattant*, Paris, 1986.

Bleany, C.H., *Modern Syria: An Introduction to the Literature*, Durham (Centre for Middle Eastern and Islamic Studies), n.d.
Bolz, Reinhardt and Thomas Koszinowski, 'Die syrisch-irakischen Einigungsbestrebungen. Hintergründe, Grenzen und Auswirkungen', *Orient*, Vol. 20, No. 3, September 1979, pp. 63-86.
Böttcher, Annabelle, *Syrische Religionspolitik unter Asad*, Freiburg, 1998.
Bouchain, Julie D., *Juden in Syrien. Aufstieg und Niedergang der Familie Farhi von 1740 bis 1995*. Hamburg, 1996.
Bou-Nacklie, N.E., 'Les Troupes Spéciales: Religious and Ethnic Recruitment, 1916-46', *International Journal of Middle East Studies*, Vol. 25, 1993, pp. 646-660.
Büren, Rainer, *Syrien und Hafiz al-Asad*, Ebenhausen, 1976.
Cahun, Léon, 'Les Ansariés', *Le Tour du Monde*, Vol. 38, 1878, pp. 368-400.
Caldenborgh, Paulus P.T.W. van, *Savage human beasts or the purest Arabs? The incorporation of the Alawi community into the Syrian state during the French mandate period (1918-1946)*, University of Nijmegen (PhD Thesis), 2005.
Carlton, Alfred, 'The Syrian coups d'état of 1949', *The Middle East Journal*, Vol. 4, No. 1, January 1950, pp. 1-11.
Carré, Olivier and Gérard Michaud (i.e. Michel Seurat), *Les Frères musulmans*, Paris, 1983.
Chouet, Alain, 'L'espace tribal alaouite à l'épreuve du pouvoir. La désintégration par le politique', *Maghreb-Machrek*, No. 147, January-March 1995, pp. 93-119.
---, 'Syria: Impact of Wielding Power on 'Alawi Cohesiveness', *FBIS-NES, Daily Report Supplement*, 3 October 1995.
Cobban, Helena, *The Israeli-Syrian Peace Talks. 1991-96 and Beyond*, Washington, 1999.
Cohen, Hayyim J., *The Jews of the Middle East 1960-1972*, Jerusalem, 1973.
Comités de Défense des Libertés Démocratiques et les Droits de l'Homme en Syrie, *Les droits de l'homme en Syrie. Conférence le 18 octobre 1993*, Paris (Amnesty International), 1993.
---, 'Rapport Annuel 1994: Syrie', *Rapport CDF/Syrie*, No. 193, 2nd ed., April 1994.
---, *Rapport Annuel 1995*, Malakoff, 1996.
Cowell, Mark W. *A Reference Grammar of Syrian Arabic*, Washington DC, 1964.
Crow, Ralph, 'A Study of Political Forces in Syria based on a Survey of the 1954 Elections', Beirut (unpublished), May 1955.
Dam, Nikolaos van, 'De opkomst van de Arabisch Socialistische Ba'thpartij in Syrie (1940-1958)', *Internationale Spectator*, XXIII-20, 22 November 1969, pp. 1785-1804.
--- ,'De Ba'th ideologie. Deel I: De orthodoxe richting van 'Aflaq', *Internationale Spectator*, XXV-4, 22 February 1971, pp. 388-408.
---, 'De Ba'thpartij in Syrië (1958-1966)', *Internationale Spectator*, XXV-20, 22 November 1971, pp. 1889-1933.
---, 'The Struggle for Power in Syria and the Ba'th Party (1958-1966)', *Orient*, 1973/1, March 1973, pp. 10-20.
---, 'Integration Problems of the Federation of Arab Republics', *Orient*, 1973/3, September 1973, pp. 112-115.
---, *De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme bij de Strijd om de Politieke Macht in Syrië (1961-1976)*, PhD thesis, University of Amsterdam, 1977.
---, 'Israeli Sectarian Propaganda during the October, 1973, War', *The Muslim World*, Vol. LXVII, No. 4, October 1977, pp. 295-305. Also in: Ron D. McLaurin (ed.), *Military Propaganda: Psychological Warfare and Operations*, New York, 1982, pp. 356-365.
---, 'Sectarian and Regional Factionalism in the Syrian Political Elite', *The Middle East Journal*, Vol. 32, No. 2, Spring 1978, pp. 201-210.

---, *The Struggle for Power in Syria: Sectarianism, Regionalism and Tribalism in Politics, 1961-1979,* 1st ed., London, 1979.
---, 'Israel and Arab National Integration: Pluralism versus Arabism', *Asian Affairs,* Vol. 10 (Old Series Vol. 66), Part 2, June 1979, pp. 144-50.
---, 'Union in the Fertile Crescent', *Middle East International*, No. 104, 20 July 1979.
---, 'Middle Eastern Political Clichés: "Takriti" and "Sunni rule" in Iraq; "Alawi rule" in Syria. A critical appraisal', *Orient*, Vol. 21, No. 1, January 1980, pp. 42-57.
---, 'Das Emporkommen der Alawiten als ein Politischer Machtfaktor im Gegenwärtigen Syrien', *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft*, Supplement IV (1980), pp. 554-556.
---, *The Struggle for Power in Syria: Sectarianism, Regionalism and Tribalism in Politics, 1961-1980,* 2nd ed., London, 1981.
---, 'Minorities and Political Elites in Iraq and Syria', in: Talal Asad and Roger Owen (eds), *Sociology of "Developing Societies": The Middle East*, London, 1983, pp. 127-144.
---, Review of Dr. Umar F. Abd-Allah, *The Islamic Struggle in Syria*, Berkely, 1983, in: *Middle East Studies Association Bulletin*, Vol. 18, No. 1, 1984, pp. 57-59.
---, Review of David Roberts, *The Ba'th and the Creation of Modern Syria*, New York, 1987, in: *The Middle East Journal*, Vol. 42, No. 1, 1988, pp. 113-114.
---, Review of Gregor Voss, *"'Alawiya oder Nusairiya?" - Schiitische Machtelite und sunnitische Opposition in der Syrischen Arabischen Republik,* Disseration, Hamburg, 1987, in: *Die Welt des Islams*, XXIX (1989), pp. 207-209.
---, *The Struggle for Power in Syria: Politics and Society under Asad and the Ba'th Party*, London, 1996.
---, Review of Böttcher, Annabelle, *Syrische Religionspolitikunter Asad*, Freiburg, 1998, in: *Bibliotheca Orientalis*, May-August 1999, pp. 505-507 .
---, *Suriye'de İktidar Mücadelesi. Esad ve Baas Partisi Yönetiminde Siyaset ve Toplum*, Istanbul: İletişim Yayınları, 2000.
David, Jean-Claude, 'Ingénieurs, urbanisme et pouvoirs locaux à Alep', in: E. Longuenesse (ed.), *Bâtisseurs et Bureaucrates. Ingéniers et Société au Maghreb et au Moyent-Orient*, Lyon, 1990.
Dawisha, Adeed I., *Syria and the Lebanese Crisis,* London, 1980.
Dawn, C. Ernest, 'The Rise of Arabism in Syria', *The Middle East Journal*, Vol. 16, No. 4, Autumn 1962, pp. 145-168.
Deeb, Marius, *Syria's Terrorist War on Lebanon and the Peace Process*, New York, 2003.
Dekmejian, R. Hrair, 'The Anatomy of Islamic Revival: Legitimacy Crisis, Ethnic Conflict and the Search for Islamic Alternatives'. *The Middle East Journal*, Vol. 34, No. 1, Winter 1980, p. 1-12.
Devlin, John F., *The Ba'th Party. A History from its Origins to 1966,* Standord, California, 1976.
---, *Syria: Modern State in Ancient Land,* London, 1983.
---, 'Effects of leadership style on oil policy: Syria and Iraq', *Energy Policy*, November 1992, pp. 1048-1054.
Dewdney, J.C., 'Syria: Pattern of Population Distribution', in J.I. Clarke and W.B. Fischer (eds), *Populations of the Middle East and North Africa*, New York, 1972, pp. 130-142.
Dishon, Daniel (ed.), *Middle East Record 1967,* Jerusalem, 1971.
---, *Middle East Record 1968*, Jerusalem, 1973.
---, *Middle East Record 1969-1970,* 2 Vols, Jerusalem, 1977.
Donohue, John J., 'La Nouvelle Constitution Syrienne et ses Détracteurs', *Travaux et Jours*, Beirut, April-June 1973, pp. 93-111.

Douwes, Dirk, *Justice and Oppression: Ottoman rule in the province of Damascus and the district of Hama, 1785-1841* (doctoral dissertation), Nijmegen, 1994.

---, *The Ottomans in Syria. A History of Justice and Oppression*, London: 2000.

Drysdale, Alasdair, 'Ethnicity in the Syrian Officer Corps: A Conceptualisation'. *Civilisations*, Vol. 29, no. 3/4 (1979), pp. 359-73.

---, 'The Syrian Political Elite, 1966-1976: A Spatial and Social Analysis.', *Middle Eastern Studies*, Vol.17, no.1 (1981), pp.3-30.

---, 'The Regional Equalization of Health Care and Education in Syria since the Ba'thi Revolution', *International Journal of Middle East Studies*, Vol. 13, (1981), pp. 93-111.

---, 'The Asad Regime and its Troubles'. *MERIP Reports*, No. 110, Vol.12, No. 9 (November-December 1982), pp. 3-11.

---, 'The Syrian Armed Forces in National Politics: The Role of the Geographic and Ethnic Periphery', in: R. Kolkowicz and A. Korbonski (ed.), *Soldiers, Peasants, and Bureaucrats*, London, 1982, pp. 52-76.

---, 'The Succession Question in Syria', *The Middle East Journal*, Vol. 39, no. 2 (1985), pp. 246-62.

---, and Hinnebusch, Raymond A., *Syria and the Middle East Peace Process*, New York, 1991.

---, 'Syria since 1988: From Crisis to Opportunity', in: Robert O. Friedman (ed.), *The Middle East After the Invasion of Kuwait*, Gainsville (University Press of California), 1993, pp. 276-296.

---, 'Transboundary interaction and political conflict in the central Middle East: The case of Syria', in: Clive H. Schofield and Richard N. Schofield (eds), *The Middle East and North Africa*, London, 1994, pp. 21-34.

Dussaud, René, *Histoire et Religion des Nosairis*, Paris, 1900.

Esman, Milton J., and Rabinovich, Itamar (eds), *Ethnicity, Pluralism, and the State in the Middle East*, London, 1988.

Faksh, Mahmud A., 'The Alawi Community of Syria: A New Dominant Political Force', *Middle Eastern Studies*, Vol. 20, No. 2, 1984, pp. 133-153.

Fawaz, Leila Tarazi, *An Occasion for War - Civil Conflict in Lebanon and Damascus in 1860*, London, 1994.

Fisk, Robert, *Pity the Nation. Lebanon at War*, London, 1990.

Freitag, Ulrike, *Geschichtsschreibung in Syrien 1920-1990. Zwischen Wissenschaft und* Ideologie, Hamburg, 1991.

---, 'Writing Arab History: The Search for the Nation', *British Journal of Middle Eastern Studies*, Vol. 21, No. 1, 1994, pp. 19-37.

Friedman, Thomas, *From Beirut to Jerusalem*, London, 1989.

Gelvin, James L., *Divided Loyalties. Nationalism and Mass Politics in Syria at the Close of Empire*, Los Angeles, 1998.

George, Alan, *Syria. Neither Bread nor Freedom*, London, 2003.

Ghadbian, Najib, ‘The New Asad: Dynamics of Continuity and Change in Syria’, *The Middle East Journal*, Vol. 55, No. 4, Autumn 2001, pp. 624-641.

Ginat, Joseph, Yoram Shalit & Onn Winckler, *Modern: Syria: a Pivotal Role in the Middle East*, Sussex, 1998.

Gubser, Peter, 'Minorities in Power: The Alawites of Syria', in: R.D. McLaurin (ed.), *The Political Role of Minority Groups in the Middle East*, New York, 1979, pp. 17-48.

Guingamp, Pierre, *Hafez El Assad et le parti Baath en Syrie*, Paris, 1996.

Haddad, George M., *Revolutions and Military Rule in the Middle East, Vol. II: The Arab States*, New York, 1971.
Hanafi, Sari, *Les ingénieurs en Syrie, modernisation, technobureaucratie et identité*, Thèse pour le doctorat en sociologie, Paris (EHESS), 1994.
---, *La Syrie des ingénieurs technobureaucrates. Enquête d'identité*, Paris, 1996.
---, *La Syrie des ingénieurs. Une perspective comparée avec l'Egypte*, Paris, 1997.
Harik, Ilya F., 'The Ethnic Revolution and Political Integration in the Middle East', *International Journal of Middle East Studies*, 3 (1972), pp. 303-323.
Heydemann, Steven, 'Taxation without Representation: Authoritarianism and Economic Liberalization in Syria', in: E. Goldberg, R. Kasaba, & J. Migdal (eds), *Rules and Rights in the Middle East: Democracy, Law, and Society*, Seattle & London, 1993, pp. 69-101.
---, *Authoritarianism in Syria. Institutions and Social Conflict*, 1946-1970, Ithaca & London, 1999.
Hill, Fiona E., 'Reverse Orientalism?: Tribe and Nation in Syria', *Journal of Arabic, Islamic & Middle Eastern Studies*, Vol. 1 (1994), No. 2, pp. 59-75.
Hinnebusch, Raymond A., 'Elite-Mass Linkage: The Role of the Mass Organizations in the Syrian Political System', n.p., n.d.
---, 'Local Politics in Syria: Organisation and Mobilisation in Four Village Cases', *The Middle East Journal*, Vol. 30, No. 1, Winter 1976, pp. 1-24.
---, 'Party and Peasant in Syria', *Cairo Papers in Social Science*, November 1979.
---, *Peasant and Bureaucracy in Ba'thist Syria: the Political Economy of Rural Development*, San Francisco, 1989.
---, *Authoritarian Power and State Formation in Ba'thist Syria: Army, Party and Peasant*, San Francisco, 1990.
---, 'Class and State in Ba'thist Syria', in: Richard T. Antoun and Donald Quataert (eds), *Syria: Society, Culture and Polity*, New York, 1991, pp. 29-47.
---, and A. Drysdale, *Syria and the Middle East Peace Process*, New York, 1991.
---, 'State and Civil Society in Syria', *The Middle East Journal*, Vol. 47, no. 2 (1993), pp. 243-57.
---, 'Liberalization in Syria: the Struggle of Economic and Political Reality', in: Eberhard Kienle, *Contemporary Syria*, London, 1994, pp. 97-113.
---, 'State, Civil Society, and Political Change in Syria', in: A.R. Norton (ed.), *Civil Society in the Middle East*, Vol. 1, Leiden, 1995, pp. 214-242.
---, 'The Political Economy of Economic Liberalization in Syria', *International Journal of Middle East Studies*, Vol. 27, 1995, pp. 305-320.
---, 'Syria: The Politics of Peace and Regime Survival', *Middle East Policy*, Vol. 3, No. 4, April 1995, pp. 74-87.
---, 'Does Syria want Peace? Syrian Policy in the Syrian-Israeli Peace Negotiations, *Journal of Palestine Studies*, Vol. 26, No. 1, Autumn 1996, pp. 42-57.
---, and Anoushiravan Ehteshami, *Syria and Iran: Middle powers in a penetrated regional system*, London & New York, 1997.
---, 'Syria: the politics of economic liberalisation', *Third World Quarterly*, Vol. 18, No. 2, 1997, pp. 249-265.
---, *Syria: Revolution From Above*, London & New York, 2001.
Hitti, Philip K., *The Origins of the Druze People and Religion*, New York, 1928.

Hopfinger, Hans and Marc Boeckler, 'Step by Step to an Open Economic System: Syria Sets Course for Liberalization', *British Journal for Middle Eastern Studies*, Vol. 23, No. 2, November 1996, pp. 183-202.

Hopwood, Derek, *Syria 1945 - 1986: Politics and Society*, London, 1988.

Hourani, A.H. *Minorities in the Arab World*, London, 1947.

---, *Syria and Lebanon, A Political Essay*, 3rd ed., London, 1954.

---, & Philip S. Khoury & Mary C. Wilson (ed.), *The Modern Middle East*, Berkeley and Los Angeles, 1993.

Hudson, Michael H., *Arab Politics. The Search for Legitimacy*, New Haven and London, 1977.

Human Rights Watch/Middle East, Vol. 7, No. 4, July 1995, *Syria, The Price of Dissent*.

---, Vol. 8, No. 2(E), April 1996, *Syria's Tadmor Prison. Dissent Still Hostage To A Legacy of Terror.*

---, Vol. 8, No. 4(E), October 1996, *Syria: The Silenced Kurds*.

---, Vol. 9, No. 3(E), May 1997, *Syria/Lebanon. An Aliance Beyond the Law: Enforced Disappearances in Lebanon.*

Human Rights Watch World Report 1995, New York, 1994.

Humphreys, R. Stephen, 'Islam and Political Values in Saudi Arabia, Egypt and Syria', *The Middle East Journal*, Vol. 33, No. 1, Winter 1979, pp. 1-19.

Hurewitz, J.C. *Middle East Politics: The Military Demension*, New York, Washington, London, 1969.

Janowitz, Morris, *The Military and Political Development of New Nations*, Chicago, 1964.

Joris, Lieve, *De Poorten van Damascus*, Amsterdam, 1993.

---, *Les Portes de Damas*, Arles, 1994.

Kaylani, Nabil M., 'The Rise of the Syrian Ba'th, 1940-1958: Political Success, Party Failure', *International Journal of Middle East Studies*, 3 (1972), pp. 3-23.

Kedar, Mordechai, *The public and political language of the Asad regime in Syria: messages and means of communication*, PhD Thesis, Bar Ilan University, 1998.

Kedourie, Elie, *The Chatham House Version and other Middle Eastern Studies*, London, 1970.

Kelidar, A.R., 'Religion and State in Syria, *Asian Affairs*, Vol. 61 (new series Vol. 5), Part I, February 1974, pp. 16-22.

Kerr, Malcolm, *The Arab Cold War 1958-1967, A Study of Ideology in Politics*, 2nd ed., London, 1967.

---, 'Hafiz Asad and the Changing Patterns of Syrian Politics', *International Journal*, Vol. 28, 1972-3, pp. 689-706.

---, 'Coup and clan in Syria', *Gazelle Review of Literature on the Middle East*, No. 7, 1980, pp. 45-47.

Kessler, Martha Neff, *Syria: Fragile Mosaic of Power*, Washington, DC, 1987.

Khadduri, Majid, *Arab Personalities in Politics*, Washington, 1981.

Khalidi, Tarif, 'A Critical Study of the Political Ideas of Michel Aflak', *Middle East Forum*, Vol. XLII, No. 2, pp. 55-68.

Khoury, Philip S., *Urban notables and Arab nationalism: The politics of Damascus 1860 - 1920*, Cambridge, 1983.

---, *Syria and the French Mandate: The Politics of Arab Nationalism, 1920-1945*, London, 1987.

---, & Joseph Kostiner (ed.), *Tribes and State Formation in the Middle East*, Berkely and Los Angeles, 1990.

Khuri, Fuad I., 'The Alawis of Syria: Religious Ideology and Organization', in: Richard T. Antoun and Donald Quataert (eds), *Syria: Society, Culture, and Polity*, Albany, 1991, pp. 49-62.
Kienle, Eberhard, 'The Conflict Between the Baath Regimes of Syria and Iraq Prior to Their Consolidation: From Regime Survival to Regional Domination', *Ethnizität und Gesellschaft,* Occasional Papers no. 5 (1985).
---, 'Ethnizität und Machtkonkurrenz in inter-arabischen Beziehungen: Der syrisch-irakische Konflikt unter den Ba'th-Regimen', *Ethnizität und Gesellschaft*, Occasional Papers no. 12 (1987).
---, *Ba'th v Ba'th: The Conflict between Syria and Iraq 1968-1989*, London, 1990.
---, 'Entre jama'a et classe. Le pouvoir politique en Syrie contemporaine', *Revue du Monde Musulman et la Méditerranée,* Vol. 59-60, 1991, No. 1-2, pp. 211-239.
---, (ed.), *Contemporary Syria. Liberalization between Cold War and Cold Peace*, London, 1994.
---, 'Arab Unity Schemes Revisited: Interest, Identity, and Policy in Syria and Egypt', *International Journal of Middle East Studies*, Vol. 27 (1995), pp. 53-71.
---, 'Imagined Communities Legislated: Nationalism and the Law of Nationality in Syria and Egypt', in: E. Cotran & C. Mallat (eds), *Yearbook of Islamic and Middle Eastern Law*, Vol. 1, 1994, London, 1995, pp. 47-67.
---, 'Middle East Peace and Normalization: The Political Consequences of Unequal Solutions', in: L. Blin & Ph. Fargues (eds), *L'ecchemie de la paix au Proche-Orient*, Paris, 1995, pp. 55-75.
Kischli, Muhammad, *Kapitalismus und Linke im Libanon*, Frankfurt, 1970.
Koszinowski, Thomas, 'Rif'at al-Asad', *Orient 4* (1984), pp. 465-70.
---, 'Die Krise der Ba'th-Herrschaft und die Rolle Asads bei der Sicherung der Macht', *Orient 26* (1985), pp. 549-71.
Kramer, Martin, 'Syria's Alawis and Shi'ism', in: Martin Kramer (ed.), *Shi'ism, Resistance, and Revolution*, Boulder, 1987, pp. 237-254.
Landis, Joshua, 'The Political Sociology of Syria reconsidered: a response to Volker Perthes', *The Beirut Review*, 5, 1993, pp. 143-151.
---, *Nationalism and the Politics of Za'ama: The Collapse of Republican Syria, 1945-1949*, PhD Thesis, Princeton University, 1997.
Lawson, Fred H., 'Social Bases for the Hamah Revolt', *MERIP Reports*, No. 110, Vol. 12, No. 9 (November-December 1982), pp. 24-28.
---, 'Domestic Transformation and Foreign Steadfastness in Contemporary Syria', *The Middle East Journal*, Vol. 48, No. 1, 1994, pp. 47-64.
---, *Why Syria Goes to War. Thirty Years of Confrontation*, Ithaca, 1996.
Le Gac, Daniel, *La Syrie du général Assad*, Brussels, 1991.
Lenczowski, George, *The Middle East in World Affairs*, New York, 1956.
---, (ed.), *Political Elites in the Middle East*, Washington, 1975.
Lerner, Daniel, *The Passing of Traditional Society*, New York, 1964.
Lesch, Daniel W., *The New Lion of Damascus. Bashar al-Asad and Modern Syria*, New Haven & London, 2005.
Leverett, Flynt, *Inheriting Syria. Bashar's Trial by Fire*, Washington, 2005.
Lewin, Bernard, *Notes on Cabali: The Arabic dialect spoken by the Alawis of "Jebel Ansariye"*, Göteborg, 1969.
Lewis, Norman N., *Nomads and Settlers in Syria and Jordan, 1800-1980*, Cambridge, 1987.
Lindisfarne, Nancy, *Dancing in Damascus*, Albany, 2000.

Lobmeyer, Hans Günther, 'Islamic ideology and secular discourse: the Islamists of Syria', *Orient*, Vol. 32, 1991, pp. 395-418.
---, *Islamismus und sozialer Konflikt in Syrien*, Berlin, 1993. (*Ethnizität und Gesellschaft*, Occasional Papers No. 26).
---, '*Al dimuqratiyya hiyya al-hall?* The Syrian Opposition at the End of the Asad Era', in: Eberhard Kienle (ed.), *Contemporary Syria*, London, 1994, pp. 81-96.
---, *Opposition und Widerstand in Syrien*, Hamburg, 1995.
Longrigg, S.H., *Syria and Lebanon under French Mandate*, London, 1958.
Longuenesse, Elisabeth, 'Bourgeoisie, Petite-Bourgeoisie et Couches Moyennes en Syrie', *Peuples Méditerranéens*, No. 4, July-September 1978, pp. 21-42.
---, 'The Class Nature of the State in Syria', *MERIP Reports* No. 77, May 1979, pp. 3-11.
---, 'The Syrian Working Class Today', *MERIP Reports*, No. 134, July-August 1985, pp. 17-24.
---, (ed.), *Bâtisseurs et Bureaucrates. Ingéniers et Société au Maghreb et au Moyent-Orient*, Lyon, 1990.
---, 'Ingénieurs et médecins dans le changement social en Syrie. Mobilité sociale et recomposition des élites', *Maghreb-Machrek*, No. 146, October-December 1994, pp. 59-71.
---, 'Labor in Syria: The Emergence of New Identities', in: E. Goldberg (ed.), *The Social History of Labour in the Middle East*, New York, 1995.
---, 'Les médecins syriens, des médiateurs dans une société en crise?', in: Elisabeth Longuenesse (ed.), *Santé, Médecine et Société dans le Monde Arabe*, Paris, 1995.
Lyde, Samuel, *The Asian Mystery, Illustrated in the History, Religion and Present State of the Ansaireeh or Nusairis of Syria*, London, 2005.
Macintyre, Ronald R., *The Arab Ba'th Socialist Party: Ideology, Politics, Sociology and Organization*, PhD thesis, Australian National University, 1969.
---, 'Syrian Political Age Differentials 1958-1966', *The Middle East Journal*, Vol. 29, Spring 1975, No. 2, pp. 207-213.
Mahayni, M. Mohammed Sabet, *L'Evolution Constitutionelle de la Syrie Indépendante*, Thèse pour le Doctorat d'Etat, Paris, 1972.
Mahr, Horst, *Die Baath-Partei; Portrait einer Panarabischen Bewegung*, München, 1971.
Makarem, Sami Nasib, *The Druze Faith*, New York, 1974.
Maler, Paul, (i.e. Michel Seurat), 'La société Syrienne contre son état', *Le Monde Diplomatique*, April 1980.
Manna, Haytham, 'Histoire des Frères Musulmans en Syrie', *Sou'al*, No. 5, April 1985, pp. 67-82.
---, 'Syria: Accumulation of Errors?', *Middle Eastern Studies*, Vol. 23, No. 2, April 1987, pp. 211-214.
Ma'oz, Moshe, 'Attempts at Creating a Political Community in Modern Syria', *The Middle East Journal*, Vol. 26, Autumn 1972, No. 4, pp. 389-404.
---, 'Society and State in Modern Syria', in Menahem Milson (ed.), *Society and Political Structure in the Arab World*, New York, 1973, pp. 29-91.
---, ''Alawi Military Officers in Syrian Politics, 1966-1974', in *Military and State in Modern Asia*, Jerusalem, 1976.
---, 'Hafiz al-Asad: A Political Profile', *The Jerusalem Quarterly*, no. 8, Summer 1978, pp. 16-31.
---, and Yaniv, Avner (eds), *Syria under Assad*, London, 1986.
---, *Asad the Sphinx of Damascus*, London, 1988.
---, *Syria and Israel: From War to Peacemaking*, Oxford, 1995.

---, Joseph Ginat & Onn Winkler (eds), *Modern Syria. From Ottoman Rule to Pivotal Role in the Middle East*, Brighton & Portland, 1999.
---, *Middle Eastern Minorities: between integration and conflict*, Washington, 1999.
Marcus, Abraham, *The Middle East on the Eve of Modernity. Aleppo in the Eighteenth Century*, New York, 1989.
Mayer, Thomas, 'The Islamic opposition in Syria, 1961-1982', *Orient*, Vol. 24, No. 4, December 1983, pp. 589-609.
McLaurin, R.D. (ed.), *The Political Role of Minority Groups in the Middle East*, New York, 1979.
---, (ed.), *Military Propaganda: Psychological Warfare and Operations*, New York, 1982.
Meriwether, Margaret L., *The Kin Who Count: Family and Society in Ottoman Aleppo, 1770-1840*, Austin, 1999.
Métral, Françoise, 'Ingénieurs et agronomes dans un projet de développement rural en Syrie', in: E. Longuenesse (ed.), *Batisseurs et Bureaucrates. Ingénieurs et Société au Maghreb et au Moyent-Orient*, Lyon, 1990, pp.231-254.
---, 'State and Peasants in Syria: a Local View of a Government Irrigation Project', in: Saad Eddin Ibrahim & Nicholas Hopkins (eds), *Arab Society, Social Science Perspectives*, Cairo, 3rd printing, 1992, pp. 336-354.
Michaud, Gérard, (i.e. Michel Seurat), 'The Importance of Bodyguards', *MERIP Reports*, No. 110, Vol. 12, No. 9 (November-December 1982), pp. 29-31.
Middle East Watch, *Syria Unmasked: The Suppression of Human Rights by the Asad Regime*, New Haven, 1991.
Mitchell, R.P., *The Society of the Muslim Brothers*, London, 1969.
Moualem, Walid al-, 'Fresh Light on the Syrian-Israeli Peace Negotiations', *Journal of Palestine Studies*, Vol. XXVI, No.2, Winter 1997, Issue 102.
Mousa, Munir Mushabik, *Etude Sociologique des 'Alaouites ou Nusairis*, Thèse Principale pour le Doctorat d'Etat, 2 Vols, Paris, 1958.
Moubayed, Sami M., *Damascus Between Democracy and Dictatorship*, Lanham, Maryland, 2000.
---, *Steel & Silk. Men and Women Who Shaped Syria 1900-2000*, Seattle, 2006.
Mufti, Malik, *Sovereign Creations: Pan-Arabism and Political Order in Syria and Iraq*, Ithaca, New York, 1996.
Nadim, Mustafa, 'Riyad Seif, ein Syrischer Unternehmer der besonderen Art', *INAMO*, No. 23/24, Autumn/Winter 2000, pp. 89-92.
Nashabi, Hisham A., *The Political Parties in Syria*, MA thesis, American University of Beirut, Beirut, 1951-52.
Nasr, Nicolas, *Faillite Syrienne au Liban 1975-1981*, 2 Vols, Beirut, 1982.
Nazdar, Mustafa, 'Die Kurden in Syrien', in: Gérard Chaliand (ed.), *Kurdistan und die Kurden*, Vol. 1, Göttingen, 1988, pp. 395-412; also in: Gerard Chaliand (ed.), *People Without A Country. The Kurds and Kurdistan*, London, 1980, pp. 211-219, as 'The Kurds in Syria'.
Nieuwenhuijze (ed.), C.A.O. van, *Commoners, Climbers and Notables. A Sampler of Studies on Social Ranking in the Middle East*, Leiden, 1977.
'La Nomenklatura Syrienne', *Les Cahiers de l'Orient*, Paris, 1986, pp. 233-245.
Nouss, I., *La population de la République Syrienne, Etude démographique*, Thèse d'Etat, Paris, 1951.
Office Arabe de Presse et de Documentation, *2e Cabinet Mahmoud Ayoubi (1er Septembre 1974), Structure, Analyse et Biographies*, Damascus, 1974.

---, *Le 1er Cabinet de M. El-Halabi, Structure et Biographies*, Damascus, 1978.
---, *Le 1er Cabinet de M. Abdel Raouf Al-Kassem, Structure et Biographies*, Damascus, 1980.
---, *Le 1er Cabinet de M. Abdel Raouf Al-Kassem, Structure et Biographies*, Damascus, 1980.
---, *Le 2e Cabinet de M. Mahmoud Al-Zou'bi du 29 Juin 1992*, Damascus, 1992.
Olson, Robert, *The Ba'th and Syria, 1947 to 1982. The Evolution of Ideology, Party and State*, Princeton, N.J., 1982.
Oron, Y. (ed.), *Middle East Record: Volume II, 1961*, Jerusalem, 1966.
Palazzoli, Claude, *La Syrie, le rêve et la rupture*, Paris, 1977.
Palmer, Monte, 'The United Republic - an Assissment of its Failure', *The Middle East Journal*, Vol. 20, No. 1, Winter 1966, pp. 50-67.
Patterson, Charles, *Hafiz Al-Asad of Syria*, Englewood Cliffs, NJ, 1991.
Perthes, Volker, *Staat und Gesellschaft in Syrien, 1970-1989*, Hamburg, 1990.
---, 'Einige kritische Bemerkungen zum Minderheitenparadigma in der Syrienforschung', *Orient* 31/4 (1990), pp. 571-582.
---, 'The Bourgeois and the Ba'th', *Middle East Report*, May-June 1991, pp. 31-37.
---, 'The Political Sociology of Syria: a bibliographical essay', *The Beirut Review*, 4, 1992, pp. 105-113.
---, 'Syria's Parliamentary Elections: remodeling Asad's Political Base', *Middle East Report*, January-February 1992, pp. 15-18, 35.
---, 'The Syrian Private Industrial and Commercial Sectors and the State', *International Journal of Middle East Studies*, Vol. 24, (1992), pp. 207-230.
---, 'Syrie: les élections de 1990', *Maghreb-Machrek*, No. 137, 1992, pp. 3-14.
---, 'The Private Sector, Economic Liberalization, and the Prospects of Democratization: the case of Syria and some other Arab countries', in: Ghassan Salamé (ed.), *Democracy without Democrats?*, London, 1994.
---, 'Stages of Economic and Political Liberalization', in: Eberhard Kienle (ed.), *Contemporary Syria*, London, 1994, pp. 44-71.
---, 'Kriegsdividende und Friendensrisiken: Überlegungen zu Rente und Politik in Syrien', *Orient*, Vol. 35, No. 3, September 1994, pp. 413-424.
---, 'From War Dividend to Peace Dividend? Syrian Options in a New Regional Environment', *Al-Nadwah*, January 1995, pp. 6-18.
---, *The Political Economy of Syria under Asad*, London, 1995.
---, 'Arab Unity Schemes Revisited: Interest, Identity, and Policy in Syria and Egypt', *International Journal of Middle East Studies*, Vol. 27 (1995), pp. 53-71.
---, (ed.), *Scenarios for Syria: Socio-Economic and Political Choices*, Baden-Baden, 1998.
---, *Vom Krieg zur Konkurrenz, Regionale Politik und die Suche nach einer neuen arabisch-nahöstlichen Ordnung* , 2000.
---, ‘The Political Economy of the Syrian Succession’, *Survival*, No. 43 (Spring 2001) 1, pp. 143-154.
---, *Geheime Gärten. Die neue arabische Welt*, Berlin, 2002.
---, *Syria Under Bashar Al-Asad Modernisation and the Limits of Change* (Adelphi Papers, No. 366), London, 2005.
Peters, Rudolph, *Islam and Colonialism. The Doctrine of Jihad in Modern History*, The Hague, 1979.
Petran, Tabitha, *Syria*, London, 1972.

Philipp, Thomas & Birgit Schaebler (ed.), *The Syrian land: processes of integration and fragmentation. Bilad Al-Sham from the 18th to the 20th century*, Stuttgart, 1998.

Picard, Elizabeth, 'Clans Militaires et Pouvoir Ba'thiste en Syrie', *Orient*, Vol. 20, No. 3, September 1979, pp. 49-62.

---, 'Y a-t-il un problème communautaire en Syrie?', *Maghreb-Machrek* 87 (janvier-mars 1980), pp. 7-21.

---, 'Critique de l'usage du concept d'*ethnicité* dans l'analyse des processus politiques dans le monde arabe', in: *Etudes politiques du monde arabe*, Cairo (CEDEJ), 1991, pp. 71-84.

---, 'Arab Military in Politics: from Revolutionary Plot to Authoritarian State', in Albert Hourani, Philip S. Khoury and Mary C. Wilson (eds), *The Modern Middle East: A Reader*, London, 1993, pp. 551-578.

---, 'Infitâh économique et transition démocratique en Syrie', in: R. Bocco & M-R. Djalili (ed.), *Moyen-Orient: migrations, démocratisation, médiations*, Paris, 1994, pp. 221-236.

Pipes, Daniel, 'The Alawi Capture of Power in Syria', *Middle Eastern Studies*, Vol. 25 (1989), pp. 429-450.

---, *Greater Syria: The History of an Ambition*, Oxford, 1990.

---, *Damascus Courts the West: Syrian Politics, 1989-1991*, Policy Papers, No. 26, The Washington Institute for Near East Policy, 1991.

---, 'Syrie: L'Après Assad', *Politique Internationale*, 1993, pp. 97-110.

---, 'Understanding Asad', *Middle East Quarterly*, December, 1994.

---, *Syria beyond the Peace Process*, Policy Papers, No. 40, The Washington Institute for Near East Policy, 1996.

Quilliam, Neil, *Syria and the New World Order*, Reading, 1999.

Rabinovich, Itamar, *Syria under the Ba'th 1963-66; The Army-Party Symbiosis*, Jerusalem, 1972.

---, 'Historiography and Politics in Syria', *Asian Affairs*, Vol. 9, (Old Series Vol. 65), Part 1, February 1978, pp. 57/66.

---, 'The Compact minorities and the Syrian State, 1918-1945, *Journal of Contemporary History*, Vol. 14, No. 4, October 1979, pp. 693-712.

---, and Esman, Milton J. (eds), *Ethnicity, Pluralism, and the State in the Middle East*, London, 1988.

---, *The Road Not Taken: Early Arab-Israeli Negotiations*, Oxford, 1991.

---, 'Stability and Change in Syria', in: R.B. Satloff, *The Politics of Change in the Middle East*, Boulder, 1993, pp. 11-29.

---, *The Brink of Peace: The Israeli-Syrian Negotiations*, Princeton, N.J., 1998.

Rabo, Annika, *A Shop of One's Own. Independence and Reputation among Traders in Aleppo*, London, 2005.

Rathmell, Andrew, *Secret War in the Middle East. The Covert Struggle for Syria, 1949-1961*, London, 1995.

Raymond, André (ed.), *La Syrie d'Aujourd'hui*, Paris, 1980.

Receuil des Archives Biographiques Permanentes du Monde Arabe, 2ème Edition, Damascus, n.d.

Reilly, James A., 'Inter-Confessional Relations in Nineteenth-Century Syria: Damascus, Homs and Hama compared', *Islam and Christian-Muslim Relations*, Vol. 7, No. 2, 1996, pp. 213-224.

Reissner, Johannes, 'Die andere Ablehnungsfront: Stimmen radikal-islamischer Kreise zur Friedensinitiative Anwar as-Sadats', *Orient*, Vol. 21, No. 2, June 1979, pp. 19-41.

---, *Ideologie und Politik der muslimbrüder Syriens. Von den Wahlen 1947 bis zum Verbot unter Adib as^v-Svis^vakli 1952*, Freiburg, 1980.

Roberts, David, *The Ba'th and the Creation of Modern Syria*, London, 1987.
Rugh, Andrea B., *Within the Circle. Parents and children in an Arab Village*, New York, 1997.
Saab, Edouard, *La Syrie ou la Révolution dans la Rancoeur*, Paris, 1968.
Saint-Prot, Charles, *Les Mystères Syriens*, Paris, 1984.
Sadowski, Yahya M., 'Cadres, Guns and Money: The Eighth Regional Congress of the Syrian Ba'th', *MERIP Reports 134* (July-August 1985), pp.3-8.
---, 'Patronage and the Ba'th: Corruption and Control in Contemporary Syria', *Arab Studies Quarterly,* Vol. 9. no. 4, Fall 1987, pp. 442-461.
Salamandra, Christa, *A New Old Damascus. Authenticity and Distinction in Urban Syria*, Bloomington, 2004.
Salih, Shakeeb, 'The British-Druze Connection and the Druze Rising of 1896 in the Hawran', *Middle Eastern Studies*, Vol. 13, May 1977, No. 2, pp. 251-257.
Schäbler, Birgit, *Aufstände im Drusenbergland: Ethnizität und Integration einer ländlichen Gesellschaft Syriens vom Osmanischen Reich bis zur staatlichen Unabhängigkeit*, Gotha, 1996.
Seale, Patrick, *The Struggle for Syria; A Study of Post-War Arab Politics (1945-1958),* London, 1965.
---, *Asad: the Struggle for the Middle East*, London, 1988.
---, 'Asad: Between Institutions and Autocracy', in Richard T. Antoun and Donald Quataert (eds), *Syria, Society, Culture and Polity*, New York, 1991, pp. 97-110.
---, 'Asad's Regional Strategy and the Challenge from Netanyahu', *Journal of Palestine Studies*, Vol. 26, No. 1, Autumn 1996, pp. 27-41.
Seurat, Marie, *Salons, coton, révolutions… Promenade à Alep*, Seuil, 1995.
Seurat, Michel, *L'Etat de Barbarie*, Paris, 1989.
Seymour, Martin, 'The Dynamics of Power in Syria since the Break with Egypt', *Middle Eastern Studies*, Vol. 6, January 1970, No. 1, pp. 35-47.
Shambrook, Peter A., *French Imperialism in Syria: 1927-1936*, Reading, 1998.
Sluglett, Peter and Marion Farouk-Sluglett, 'Some Reflections on the Sunni/Shi'i Question in Iraq', *British Society for Middle Eastern Studies Bulletin*, Vol. 5, No. 2, 1978, pp. 79-87.
---, 'Sunnis and Shi'is Revisited: Sectarianism and Ethnicity in Authoritarian Iraq', in: John P. Spagnolo (ed.), *Problems of the Modern Middle East in Historical Perspective. Essays in Honour of Albert Hourani*, Reading, 1992, pp. 259-273.
Statistisches Bundesamt Wiesbaden: Allgemeine Statistik des Auslandes, Länderkurzberi chte, *Syrien*, Stuttgart/Mainz, 1967, 1969.
Schweizer, Gerhard, *Syrien: Religion und Politik im Nahen Osten*, Stuttgart, 1998.
Syrian Arab News Agency, *Syria, the Cradle of Civilizations. Ambition for Reform and Modernization*, Damascus, 2001.
Syrian Arab Republic, Office of the Prime Minister, Central Bureau of Statistics, *Statistical Abstract 1971*, Damascus, 1971.
---, *Statistical Abstract 1976*, Damascus, 1976.
---, *Statistical Abstract 1992*, Damascus, 1992.
Tauber, Eliezer, *The Formation of Modern Syria and Iraq*, London, 1995.
Tlass, Mustapha, (ed.), *Paroles d'Assad. Discours et propos du Président de la République Arabe Syrienne*, Paris, 1986.
Thompson, Elisabeth, *Colonial Citizens. Republican Rights, Paternal Privilege, and Gender in French Syria and Lebanon*, New York, 2000.
Torrey, Gordon H., *Syrian Politics and the Military 1945-1958*, Colombus, Ohio, 1964.
---, 'The Ba'th - Ideology and Practice', *The Middle East Journal*, Vol. 23, 1969, pp. 445-470.

---, 'Aspects of the Political Elite in Syria', in George Lenczowski (ed.), *Political Elites in the Middle East*, Washington, 1975, pp. 151-161.

U.S. Army Area Handbook for Syria, Washington DC, 1965.

Valter, Stéphane,*La Construction nationale syrienne*, Paris, 2002.

Van Dusen, Michael H., *Intra- and Inter-Generational Conflict in the Syrian Army*, PhD dissertation, Baltimore, Maryland, 1971.

---, 'Political Integration and Regionalism in Syria', *The Middle East Journal*, Vol. 26, Spring 1972, No. 2, pp. 123-136.

---, 'Syria: Downfall of a Traditional Elite', in Frank Tachau (ed.), *Political Elites and Political Development in the Middle East*, New York, 1975.

Vanly, Ismet Chérif, *La Persécution du Peuple Kurde par la Dictature du Baas en Syrie*, Amsterdam, 1968.

---, *Le Problème Kurde en Syrie: Plans pour le génocide d'une minorité nationale*, n.p., 1968.

---, *Kurdistan und die Kurden*, Vol. 3, Göttingen, 1988.

Vatikiotis, P.J., 'The Politics in the Fertile Crescent', in P.Y. Hammond & S.S. Alexander (eds), *Political Dynamics in the Middle East*, New York, 1972, pp. 225-242.

Velud, Christian, 'Syrie, Etat mandataire, mouvement national et tribus (1920-1936)', *Maghreb-Machrek*, No. 147, Janv.-mars 1995, pp. 48-71.

Vernier, Bernard, 'Le rôle politique de l'armée en Syrie', *Politique Etrangère*, XXIX (1965), pp. 458-511.

---, *Armée et Politique au Moyen Orient*, Paris, 1966.

Voss, Gregor, "*'Alawiya oder Nusairiya?" - Schiitische Machtelite und sunnitische Opposition in der Syrische Arabischen Republik*, dissertation, Hamburg, 1985.

Watenpaugh, Keith D., '"Creating Phantoms": Zaki al-Arsuzi, the Alexandretta Crisis, and the Formation of Modern Arab Nationalism in Syria', *International Journal of Middle East Studies*, Vol. 28 (1996), pp. 363-389.

Wedeen, Lisa, *Ambiguities of Domination: Politics, Rhetoric, and Symbols in Contemporary Syria*, Chicago, 1999.

---, 'Ambiguities after Asad', *ISIM Newsletter*, No. 6, October 2000, p. 25.

Weismann, Itzchak, 'Sa'id Hawwa: The Making of a Radical Muslim Thinker in Modern Syria', *Middle Eastern Studies*, Vol. 29, No. 4, October 1993, pp. 602-623.

Weulersse, Jacques, *Le Pays des Alaouites*, Tours, 1940.

---, *Paysans de Syrie et du Proche Orient*, Paris, 1946.

Who's Who in the Arab World, second edition, 1967-1968, Beirut, n.d.

Winder, Bayly, 'Syrian Deputies and Cabinet Ministers, 1919-1959', *The Middle East Journal*, Vol. 16, Autumn 1962, No. 4, pp. 407-429; Vol. 17, Winter 1963, No. 1, pp. 35-54.

Wirth, Eugen, *Syrien*, *Eine Geographische Landeskunde*, Darmstadt, 1971.

Wurmser, Meyrav, *The Schools of Ba'athism: A Study of Syrian Textbooks*, Washington, 2000.

Yaffe-Schatzmann, Gitta, 'Alawi Separatists and Unionists: The Events of 25 February 1936', *Middle Eastern Studies*, Vol. 31, No. 1, January 1995, pp. 28-38.

Yaniv, Avner, and Ma'oz, Moshe (eds), *Syria under Assad*, London, 1986.

Zisser, Eyal, 'Asad of Syria: The Leader and the Image', *Orient* 2, 1994, pp. 247-260.

---, 'The succession struggle in Damascus', *Middle East Quarterly*, Vol. 2, No. 3, 1995, pp. 57-64.

---, 'Toward the post-Asad era in Syria', *Japanese Institute of Middle Eastern Economics Review*, No. 28, 1995, pp. 5-16.

---, *Decision making in Asad's Syria*, Washington, 1998.

---, ‘The ‘Alawis, Lords of Syria: From Ethnic Minority to Ruling Sect’, in: Ofra Bengio & Gabriel Ben-Dor, *Minorities and State in the Arab World*, Columbia, 1999, pp. 129-145.
---, *Asad’s Legacy*. *Syria in Transition*, London, 2001.
Zuwiyya-Yamak, L., *The Syrian Social Nationalist Party: An Ideological Analysis*,

الفهرس

(الألف)

(الباء)

(التاء)

(الثاء)

(الجيم)

(الحاء)

(الذال)

(الراء)

(الزاء)

(السين)

(الضاد)

(الطاء)

(العين)

(الغين)

(الفاء)

(القاف)

(الكاف)

(اللام)

(الميم)

محمد الأسد

محمد ابراهيم العلي

محمد بن نصير

محمد توفيق الجهني

محمد جراح

محمد الحاج رحمون

محمد حربا

محمد حسون

محمد الخولي

محمد ديب سعد

محمد رباح الطويل

محمد الزعبي

محمد سلمان

محمد الصوفي

محمد عباس

محمد علي الحلبي

محمد عمران

محمد عيد

محمد غرة

محمد الفاضل

محمد ناصيف (خير بك)

محمد نبهان

محمود حمرا

محمود الزعبي

مختار

مخرم

مدْنَنَة

(النون)

(الهاء)

(الواو)

(الياء)

يوسف صائغ
الشيخ يوسف صارم
يوسف عيد

نبذة عن المؤلف

الدكتور نيقولاوس فان دام

- ولد عام 1945 في أمستردام بهولندا
- درس اللغة العربية والعلوم السياسية والاجتماعية بجامعة أمستردام، حيث حصل على درجة الدكتوراه في الأدب عام 1977
- قام بتدريس تاريخ الشرق الأوسط الحديث بجامعة أمستردام (1970–1975)
- التحق بوزارة الخارجية بهولندا عام 1975، حيث عمل بقسم الشرق الأوسط التابع للادارة العامة للشؤون السياسية
- سكرتير أول بالسفارة الملكية الهولندية ببيروت – لبنان (1980–1983)
- قائم بأعمال السفارة الملكية الهولندية بطرابلس – ليبيا (1983–1985)
- نائب مدير الشؤون الافريقية والشرق الأوسط بوزارة الخارجية الهولندية (1985–1988)
- سفير هولندا في بغداد – العراق (1988–1991)
- سفير هولندا في القاهرة – مصر (1991–1996)
- سفير هولندا في أنقرا – تركيا (1996–1999)
- سفير هولندا في بون و برلين – المانيا (1999–2005)
- سفير هولندا في جاكارتا – اندونيسيا (2005–)

الصراع على السلطة في سوريا

"كتاب ممتاز موسع ومواكب للاحداث الأخيرة بشكل كبير": باتريك سيل

"كتاب الشهر": المحور الثالث 2006

"أوسع الكتب انتشاراً": جريدة الشرق الأوسط 1995

" إن كتاب فان دام قد تقبله أو تختلف معه، لكن لا غني عنه لمن يهتم بالشئون العربية المعاصرة": جريدة الأهرام

"قراءة الكتاب ضرورة، ليس فقط للباحثين والمتخصصين ولكن للقاريء ذي الاهتمام السياسي العام، أيضاً": جريدة القبس

"كتاب لا بد منه للمهتم بالشأن السياسي السوري، وبعلاقات سوريا بجوارها، فضلا عن تطور الجدل السياسي المجتمعي، القديم الحديث في داخلها": جريدة الحياة

"لأول مرة يظهر مؤرخ جريء يتحدث عن قطر عربي ·· يواكب أيامه الحاضرة يوماً بيوم بكل موضوعية ودقة": جريدة الدستور، عمان

"القيمة الحقيقية للكتاب ··· في المعلومات التي يقدمها وبالأرقام عن التقسيمات الطائفية والعشائرية والاقليمية لسكان سوريا، وهي معلومات قد لا تتوفر للقاريء العربي بنفس هذه الدقة، من مصادر أخرى": جريدة الجمهورية، القاهرة

"مما لا شك فيه أن كتاب فان دام سوف يصبح مرجعاً قياسياً لتاريخ سوريا السياسي الحديث، وهو يستحق ان يُقرأ من قِبل كل من هو مهتم بسوريا المعاصرة":

Alasdair Drysdale, *Middle East Studies Association Bulletin*

"أكثر التفسيرات تثقيفاً حول آثار الطائفية والإقليمية على السياسات السورية ":

Philip Khoury, ***MERIP Reports***

"دراسة جديدة رائعة ٠٠٠ نفيسة بالنسبة لأي شخص مولع بسياسات الشرق الأوسط":

Peter Mansfield, ***8 Days***

"لهؤلاء الذين يسعون لفهم جيد لدور سوريا في الوضع الحالي في الشرق الأوسط، يعتبر هذا العمل لا غني عنه": **Gordon Torrey,** ***The American Historical Review***

"يقدم المؤلف سرداً مفيداً ومقنعاً للاحداث المتعلقة بأحد وجوه الحياة السياسية في سوريا ٠٠٠ والسبب في وقوعها ٠٠٠ يتناول الدكتور فان دام هذه القضية بموضوعية":

Michael H. Van Dusen, ***The Middle East Journal***

"٠٠٠ يساعدنا على تفهم طبيعة الخلافات والانحيازات المتغيرة وراء العديد من الانقلابات السورية، والأسباب وراء إخمادها": **Malcolm Kerr,** ***Gazelle Review***

"(أحد) أعظم البيانات عن تسلق البعث السلطة": **Alasdair Drysdale & Raymond A. Hinnebusch,** ***Syria and the Middle East Peace Process***

"يُعتبر الصراع على السلطة في سوريا لفان دام بمثابة الدراسة الكلاسيكية حول العامل العلوي في سياسات هذه الحقبة٠ لقد رفض فان دام بثبات أي تفسيرات فجة حول السياسات السورية يكون من شأنها اختزال جميع التحليلات ليبقي العامل العلوي وحده":

Middle East Watch, ***Syria Unmasked***

"(يتضمن) بعض وثائق الحزب المشوقة (السرية أصلا) والتي تلقى الضوء على سيكولوجية الولاءات العشائرية والطائفية ٠٠٠ من الواضح ان فان دام ملم كل الإلمام بالسياسات السورية":

The Middle East